

Proverbs of the Prophet

Collection Classification and Literary Analysis

Submitted to the University of Calicut

For the award of the degree of

Doctor of Philosophy

In Arabic

By

Muhamed.VM

Assistant Professor

P.T.M.Govt.College, Perinthalmanna

Malappuram.Dt, Kerala

Under the Supervision of

Dr. Ahammed Syed. P

Associate Professor (Retired) and Research Guide

Department of Arabic, Farook College

Calicut, Kerala, India

SEPTEMBER-2014

قسم الماجستير والبحوث للغة والآداب العربية
كلية فاروق، كيرالا، الهند

**PG TEACHING & RESEARCH DEPT. OF ARABIC
FAROOK COLLEGE
P.O. FAROOK COLLEGE, KOZHIKODE, KERALA – 673 632**

Date:.....

CERTIFICATE

This is to certify that this thesis on “**Proverbs of the Prophet – Collection Classification and Literary Analysis**” submitted for the degree of Doctor of Philosophy in the Department of Arabic is a record of bonafide study and Research work carried out by **Mr. Muhamed.VM** under my guidance and Supervision and that this research thesis in full or in part has not been previously formed the basis for the award of any degree or diploma in any university.

Dr. Ahammed Syed. P

Associate Professor (Retired) and Research Guide

DECLARATION

I hereby declare that this thesis entitled “**Proverbs of the Prophet – Collection Classification and Literary Analysis**” has been written by me under the supervision of **Dr. Ahammed Syed. P** Associate Professor (Retired), Department of Arabic, Farook College, Calicut, for the degree of PhD in Arabic, in the Faculty of Languages, University of Calicut.

I also declare that this thesis is the result of my own effort and that any part of it has not been previously submitted for the award of any degree or diploma in any university.

Muhamed. V.M

Farook College

Date :

المحتويات

| الموضوع | الصفحة |
|--|--------|
| مقدمة | ٤ |
| الباب الأول : اللغة العربية نشأتها وتطورها | ١٢ |
| الباب الثاني : محمد ﷺ وسننه | ٢٣ |
| الفصل الأول: من المولد إلى المبعث | ٢٤ |
| الفصل الثاني : الهجرة إلى المدينة | ٣٣ |
| الفصل الثالث : تأسيس الدولة الإسلامية | ٣٦ |
| الفصل الرابع : الغزوات | ٣٧ |
| الفصل الخامس: حجته ووفاته ﷺ | ٤٠ |
| الفصل السادس : شمائل الرسول ﷺ | ٤٢ |
| الفصل السابع : السنة النبوية | ٤٩ |
| الفصل الثامن : علم الحديث | ٥٧ |
| الباب الثالث : الأمثال وما يتعلق بها | ٦١ |
| الفصل الأول: المثل وما يتعلق به لغة واصطلاحا | ٦٢ |
| الفصل الثاني : أنواع الأمثال | ٧٢ |
| الفصل الثالث : أهمية الأمثال وفوائدها | ٧٥ |
| الباب الرابع : الأمثال النبوية | ٨٧ |
| الفصل الأول: أغراض الأمثال النبوية وخصائصها التربوية | ٩١ |
| الفصل الثاني : التأليف في الأمثال | ٩٤ |
| الفصل الثالث : أقسام الأمثال النبوية | ١٠٠ |

| | |
|-----|--|
| ١١٥ | الباب الخامس : مجموعة من الأمثال النبوية |
| ١١٦ | الفصل الأول : الأمثال القياسية |
| ١٣٣ | الفصل الثاني : الأمثال السائرة |
| ١٥٠ | الباب السادس : شرح الأمثال النبوية الأدبية |
| ٢٦١ | الباب السابع : الموازنة بين الأمثال النبوية وغيرها |
| ٢٧٨ | خاتمة |
| ٢٨٦ | المصادر والمراجع |

INTRODUCTION

Muhammed V.M."Proverbs of the Prophet : Collection Classification and Literary Analysis" Thesis. Research Department of Arabic,Farook College,University of Calicut, 2014.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وعلى آله وأصحابه والذين اتبعوهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد

فهذه أطروحة عنوانها "الأمثال النبوية جمعها وتقسيمها وتحليلها الأدبي". دراسة عن الأمثال النبوية أعدها الباحث لنيل شهادة الدكتوراة في الفلسفة في اللغة العربية وآدابها ومقدمة إلى جامعة كالكوت.

تحليل العنوان :

اسم هذا البحث "الأمثال النبوية جمعها وتقسيمها وتحليلها الأدبي". الأمثال جمع مثل، المفتش في المعاجم يرى معاني كثيرة متعددة للفظة (مثل) كالصفة والشبه والصورة. فالمثل لغة "الشيء الذي يضرب لشيء مثلا فيجعله مثله". وفي الاصطلاح "المثل عبارة عن قول في شيء يشبهه قولا في شيء آخر، بينهما مشابهة ليبين أحدهما الآخر ويصوره نحو قولهم "الصيف ضيعت اللبن". وأن كل كلمة حكمة سائرة يسمى مثلا. وقد يأتي القائل بما يحسن من الكلام أن يتمثل به، إلا أنه لا يتفق أن يسير فلا يكون مثلا.

أما 'النبوية' فيراد بها ما ينسب إلى النبي ﷺ ويرفع إليه وذلك أن هناك أمثالا كثيرة تروى من الأدباء، ولكن الباحث يريد أن يكشف هنا الأمثال المنسوبة إلى النبي ﷺ من كتب الأدباء والأحاديث النبوية. المثل أروع فن من فنون الأدب والأحاديث النبوية أروع مثال للأدب العربي فقيمة الأمثال النبوية ينبغي أن تكون أحسن من أمثال الأدب العربي الأخرى. أما ما ينسب إلى النبي ﷺ لم يصح سند كثير منها، فالباحث هنا يجتهد أن يجمع ما نسب إلى النبي ﷺ في الأسانيد الصحيحة أو الحسنة.

أما 'التقسيم' فيريد به الباحث أن هناك ثلاثة أنواع من الأمثال، وذلك السائرة والقياسية والخرافية، فأولها أهم منها ولا دخل للمثل الخرافي في الأحاديث النبوية. فيقسم هنا الباحث الأحاديث التي جمعها إلى قسمين وذلك السائرة والقياسية.

أما المراد بـ'التحليل الأدبي' فبيان معانيها ومفهومها بيانا أدبيا خصوصا جانبها البلاغي.

الأمثال النبوية :

يوجد في كتب الأدب أمثال كثيرة ينسب إلى أعلام الأدب العربي وإلى محمد ﷺ ولكن لم يثبت رفعها إلى النبي ﷺ. وفي هذا البحث يورد الباحث من الأمثال النبوية التي وجدت في مؤلفات الأدباء والمحدثين إذا وجدها صحيحة أو حسنة حسب نظر نقاد الأحاديث من العلماء الكبار والمحدثين وآرائهم، وكان من مهمة الباحث تمييز صحيحها من الموضوع والضعيف والموقوف.

قام الباحث بعد ما جمع الأمثال النبوية بتقسيمها إلى قسمين السائرة والقياسية وذلك بعد البحث العميق عن جميع أنواع الأمثال النبوية. لأن جميع أنواعها يندرج تحت هذين القسمين. وبعد التقسيم خاض في بيان معنى مفرداتها الهامة وشرحها شرحا أدبيا حسب طاقته ومعرفته المتواضعة. وفي بعض الأحاديث التي وجدت في متونها بعض الخفاء بينها بيانا خاصا فوق البيان الأدبي. ولم يبين الباحث هنا جميع الأمثال التي جمعها ولم يحللها تحليلا لأن ذلك يطيل البحث إطالة كبيرة. ومع ذلك إن شرح بعض الأمثال وبيانها الأدبي كاف لفهم قيمة الأمثال النبوية وعلوها على سائرها.

مشكلة البحث :

شروح الأحاديث النبوية كثيرة مملوءة في المكاتب وكذلك شروح الأمثال النبوية شرحت وبينت شرحا لغويا وفقهيا، ولكن البيان الأدبي لها لا يوجد إلا نادرا، وكذلك

لم يجمع من المحدثين أحد الأمثال النبوية إلا أبو عيسى الترمذي رحمه الله وأنه جمع ما وجد منها في باب خاص.

جمع الأدباء العرب الأمثال النبوية مع سائر الأمثال العربية في كتبهم ومؤلفاتهم، ولكن لم يفرقوا المرفوعة منها إلى النبي ﷺ صحيحة من غيرها، ولم يبينوها بيانا أدبيا إلا نادرا، وذلك حينما يبينون أهمية الأحاديث وقيمتها الأدبية وعلوها على سائر إنتاجات العرب. وكذلك لم يقسم الأدباء الذين جمعوا الأمثال النبوية تقسيما جامعا مانعا.

يريد الباحث هنا أن يجمع الأمثال الصحيحة والحسنة متمسكا على آراء المحدثين الأجلاء على صحتها وضعفها وأن يقسمها إلى السائرة والقياسية وأن يبينها بيانا أدبيا حسب معرفته القصيرة وقدرته الأدبية المتواضعة.

دوافع اختيار الموضوع :

كان الباحث محبا الأمثال المحلية المليالية حينما كان دارسا في المدارس الثانوية. وحينما التحق بالكلية العربية عرف أن الأمثال العربية كثيرة جدا بالنسبة إلى الأمثال المحلية. وحينما تعلم القرآن والأحاديث وجد فيهما أمثالا رائعة لم توجد مثلها ولم تسمع في اللغة العربية والمحلية، وفهم كذلك أن الأمثال العربية أحسن أنواع الأدب وأروعها فجمعها وبيانها يفيد عشاق العلم واللغة والأدب ويتخذونها ذخرا ويتلذذون روعتها وجمالها ويتلذذون ويذوقون هو نفسه. ويقدر أن يبلغ الناس أن الأحاديث يعلو جميع الكلام - سوى القرآن الكريم لأنه كلام الله عز وجل - لغويا وأدبيا، كما يعلمون تفوقه العلمي على سائر العلوم، يل سيعلمون أن محمدا ﷺ سيد البيان.

وكذلك إذا كان عند العلماء والأساتذة مجموعة من الأمثال يستفيدون في أحوال مختلفة ومناسبات شتى خصوصا حينما يلقون الدروس أو يعظون الناس وينصحونهم

وذلك يقرب المواد الشاققة من قلوبهم وأفهامهم ويبعدهم عن النفور منها يجعل التعليم عملا مريحا، وهذا وذاك حملني على أن أقوم بهذه المهمة.

منهج البحث :

اللغة العربية إحدى اللغات الهامة الستة العالمية، ولم تبلغ اللغة إلى هذا المستوى إلا بفضل القرآن وشرف الأحاديث ومساهمة أعلام اللغة والأدب. فالمستقرئ عن نشأة اللغة وتطورها يفهم بالبداهة أن النبي ﷺ له اليد الطولى في توحيدها وتطورها وحفظها عن الانحطاط والفناء، كما حصل على سائر اللغات السامية الأخرى. ولذلك بدأ الباحث أن يشير في أول بحثه عن نشأة اللغة العربية وتطورها ومكانتها في العصر الحديث وما أعانها على تطورها وانتشارها، فبين مكانة النبي ﷺ بين الأدباء ومنزلته بينهم فهو يتربع على قمته وهو سيد البيان.

أشار الباحث بعد ذلك إلى حياته ﷺ و عما لاقى في سبيل الدعوة ثم دخل إلى الموضوع فهو الأمثال وما يتعلق بها من التعريف والفرق بينها وبين الحكمة وعن أقسام المثل ثم عن الأمثال النبوية وأغراضها وخصائصها وعن أقسام الأمثال النبوية.

جمع الباحث أمثالا كثيرة من كتب الأحاديث والأدب التي تبحث عن الأدب النبوي وبلاغته ولغته وفقهه وغيرها ومن كتب الأمثال النبوية ثم درس عن هذه الأمثال واستقرأ أقوال العلماء الكرام والمحدثين الفضلاء عن صحتها وضعفها، أخيرا استخراج منها ما وجدوا صحيحا أو حسنا وجمعها في هذه الرسالة. ثم قسمها قسمين وهما المثل السائر والقياسي.

ومن بين هذه الأمثال اختار اثنين وخمسين مثلا وحاول أن يدرس عن بلاغتها وأدبها ثم شرح مفرداتها وبينها بيانا أدبيا وإذا وجد أي خفاء في المثل بين مراده خاصا فوق البيان الأدبي ليزيل الخفاء أو التهم حوله.

الدراسات السابقة :

لم يدرك الباحث في مدة بحثه ولا قبله كتابا يشرح الأمثال النبوية شرحا أدبيا خاصا، بل اطلع على مؤلفات الأمثال النبوية الخالصة وغيرها مثل كتاب 'أمثال الحديث المروية عن رسول الله ﷺ' لأبي محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي، و 'الأمثال السائرة عن رسول الله ﷺ' لأبي عروبة الحسين بن محمد بن أبي معشر الحراني، و 'أمثال الحديث مع مقدمة في علوم الحديث' لعبد المجيد محمود عبد المجيد، و 'نظرات فقهية وتربوية في أمثال الحديث مع مقدمة في علوم الحديث' لعبد المجيد محمود وغيرها. وهذه المؤلفات في الأمثال النبوية فقط، وهناك مؤلفات أخرى يبحث فيها عن الأمثال النبوية وغيرها مثل 'روائع من أقوال الرسول ﷺ' لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، و 'من روائع الأدب النبوي' لكامل سلامة دقس، و 'من كنوز السنة' لمحمد علي الصابوني، و 'مجمع الأمثال' للميداني، و 'جامع الترمذي' وغيرها.

هذه المؤلفات التي جمعت فيها الأمثال النبوية فقط أو جمعت مع غيرها أو مع الآثار الأدبية أو الأحاديث لم تشر فيها إلى الجوانب الأدبية إلا نادرا. وفي هذا البحث يناقش الباحث عن الأمثال النبوية الصحيحة ومع ذلك عن جوانبها الأدبية.

الضعف والقصور :

تتبع الباحث وفتش كثيرا من كتب الأحاديث والكتب الأدبية والتاريخية وكتب الأمثال أن يفهم الأمثال النبوية ومكانتها وأهميتها في الأدب واللغة ولم يستطع أن يدرك منها في هذه المدة القصيرة إلا عددا قليلا، وذلك بسبب عدم كونه أدبيا بليغا وعالما كبيرا في اللغة. وكذلك إن الأقوال الحكمية لا تزال أمثالا سائرة بسيرها وكثرة تداولها بين الناس، فالأقوال التي لم تكن أمثالا في عهد النبي ﷺ أو الصحابة رضي الله عنهم ربما تكون بعدهم أمثالا. ولذلك من الممكن أن يوجد أمثالا نبوية أخرى غير ما وجدت وجمعت في هذا البحث وهناك مشكلة أخرى وذلك أن الأحاديث بحر محيط

وإخراج الأمثال التي كالدرر منها أصعب جدا مهما كان الغامس في مهارته ونبوغه، وأنه نظر إلى هذا البحر من فوقها كما ينظر الطيور فريستها أن يخطفها فما رأى منها خطفها وما لم يظهر ولم يطلع أمام عينيه تركه، فهو معذور لقصور علمه ووقته في هذه المحاولة المهمة ويطلب من كل من يطالع هذا البحث أن يدلّه على الباحث إن وجدوا شيئا من الأمثال من بين أسطر الأحاديث الصحيحة.

الأبواب :

قسم الباحث بحثه إلى سبعة أبواب. الباب الأول اللغة العربية نشأتها وتطورها، وفي هذا الباب بين الباحث عن منبع اللغة العربية ونشأتها وتاريخها وتأثير الأحاديث النبوية في تنمية اللغة العربية وترقيتها وتطورها وانتشارها وتحولها لغة عالمية هامة. حتى صارت إحدى اللغات الست في مجلس الأمم المتحدة ولغة رسمية في ٢٤ دولة. وأشار فيه أيضا إلى أن الأحاديث أحسن مثال للغة والأدب وأن محمدا ﷺ سيد البيان لأن أقواله صارت أحسن مثال للغة والأدب والبلاغة.

وفي الباب الثاني ترجمة موجزة عن محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام من مولده إلى بعثته ثم عن هجرته وتأسيسه دولة إسلامية مستقلة وكذلك عن شمائله وبيانه وبلاغته وما الذي أجدره أن يكون سيد البيان وعن السنة يعني أقواله وأفعاله وتقريراته وكيف عالج الصحابة والتابعون ومن جاء بعدهم الأحاديث (السنة) وعن تاريخ تدوينها وعن أهم الكتب في هذا النوع وعن علم الحديث الذي يبين الحديث الصحيح من الضعيف والموضوع والموقوف وغيرها.

وفي الباب الثالث عن المثل وما يتعلق به، وفيه يبحث عن تعريف المثل لغة واصطلاحاً، والمثل والحكمة وما الفرق بينهما ومتى تصير الحكمة مثلاً، وعن أنواعه وهي السائرة والقياسية والخرافية، وعن ضرب المثل وأهمية المثل وفوائدها في أنظار الأدباء والعلماء لفظياً ومعنوياً وتربوياً ومعرفياً.

وفي الباب الرابع عن الأمثال النبوية وعن أغراضها وخصائصها التربوية وعن التأليف في الأمثال وأهم الكتب المؤلفة في الأمثال القرآنية والنبوية، وعن أقسام الأمثال النبوية وهي السائرة والقياسية وعن جوامع كلمه ﷺ.

وفي الباب الخامس جمع الباحث أهم الأمثال الواردة في الأحاديث النبوية صحيحة وحسنة مع تقسيمها سائرة وقياسية.

وفي الباب السادس شرح الباحث الأمثال شرحا أدبيا، وأوضح فيه معاني مفرداتها وبيانها الأدبي. اختار الباحث من مجموعة الأمثال اثنين وخمسين عددا وشرحها، وذلك لأن لا يطول البحث بل هو كاف لمعرفة قيمة الأمثال النبوية ومكانتها وأهميتها وتفوقها على سائر الأمثال العربية وليقيس غيرها عليها.

وفي الباب السابع يقارن الباحث بين الأمثال النبوية مع غيرها مقتبسا بعض الأمثال العربية من كتاب 'مجمع الأمثال' لأبي فضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري. يطبق فيها الباحث بينهما ويبين علو الأمثال النبوية على غيرها.

وهنا يقدم الباحث جزيل الشكر والتقدير للدكتور أحمد سعيدب. الأستاذ المشارك السابق في قسم اللغة العربية بكلية الفاروق، كالكوت، الذي أشرف على هذا البحث وقدم توجيهات صحيحة نحو الهدف المنشود بهذه المهمة، والذي كان خير دليل وأحسن عون في متابعة هذا البحث، والذي بذل من أوقاته الثمينة واقفا على جمل وتراكيب ومصطلحات هذه الأطروحة تدقيقا لدلالاتها وتوضيحا لمدلولاتها وتحسينا لأسلوبها وتنقيحا لخللها حتى يصبح البحث جامعا لمقصوداته ومانعا لمردوداته ومكتملا بصورته.

ويقدم فائق شكره وامتنانه للدكتور أبوبكر س.ب. أستاذ مشارك ورئيس قسم اللغة العربية بكلية الفاروق، الذي سهل طريق البحث وقدم المساعدات والتوجيهات في إجراء هذا البحث في جميع مراحلها والذي خص الباحث بخالص نصائحه وحبه في

الدورات السابقة أيضا. وكما يعبر عن أخلص مشاعر التقدير والشكر لمحمد زكريا ن.ف. أستاذي وعميد كلية سلم السلام العربية بأريكوود الذي أعانني في اختيار الموضوع وساعدني بالكتب القيمة والإرشادات النفيسة في هذا المجال.

ويذكر خدمات زين الدين ب.ب.ت. وعبد الجليل ب.ت. والسيد عبد الله كويا أساتذة قسم اللغة العربية في كلية ب.ب.ت.م. الحكومية ومحمد ضياء الدين الوافي الأستاذ المساعد في قسم اللغة العربية في كلية ملبار للدراسات العليا بوينغرا الذين قدموا مساعدات فذية في تنظيم الأطروحة وضربها على الحاسوب. ويذكر مساعدة أساتذة ندوة العلماء بلكهنو الذين قدموا المساعدات بالإرشادات والكتب، وكذلك خدمات أمناء المكاتب في كليات سلم السلام وروضة العلوم والفاروق والجامعة الندوية وغيرهم. أخيرا يعبر الشكر والامتنان لجميع من كانوا عوننا ومددا في هذا البحث وفي جميع مجال الحياة. جزاهم الله جميعا أحسن الجزاء في الدارين.

ويرجو الله عز وجل بكل خضوع أن يجعل هذا العمل المتواضع دليلا وعونا ومفيدا لكل محبي اللغة العربية وآدابها وطلابها، وهو ولي التوفيق.

محمد. ف.م.

CHAPTER 1

Muhamed V.M.”Proverbs of the Prophet : Collection Classification and Literary Analysis” Thesis. Research Department of Arabic,Farook College,University of Calicut, 2014.

الباب الأول

اللغة العربية نشأتها وتطورها

الباب الأول

اللغة العربية نشأتها وتطورها

اللغة العربية هي أكثر اللغات تحدثا ضمن مجموعة اللغات السامية، وإحدى أكثر اللغات انتشاراً في العالم. يتحدثها أكثر من ٤٥٢ مليون نسمة^١. ويتوزع متحدثوها في المنطقة المعروفة باسم الوطن العربي^٢ بالإضافة إلى العديد من المناطق الأخرى المجاورة كالأهواز وتركيا وتشاد ومالي والسنغال وإريتريا. اللغة العربية ذات أهمية قصوى لدى المسلمين، فهي لغة مقدسة (لغة القرآن) ولا تتم الصلاة (وعبادات أخرى) في الإسلام إلا بإتقان بعض كلماتها.

اللغة العربية هي أيضا لغة شاعرية رئيسية لدى عدد من الكنائس المسيحية في الوطن العربي. كما كتب بها الكثير من أهم الأعمال الدينية والفكرية اليهودية في العصور الوسطى، وأثر انتشار الإسلام، وتأسيسه دولاً في ارتفاع مكانة اللغة العربية وأصبحت لغة السياسة والعلم والأدب في قرون طويلة في الأراضي التي حكمها المسلمون، وأثرت العربية تأثيراً مباشراً وغير مباشر في كثير من اللغات الأخرى في العالم الإسلامي كالتركية والفارسية والأمازيغية والكردية والأردية والماليزية والإندونيسية والألبانية وبعض اللغات الأفريقية الأخرى مثل الهاوسا والسواحيلية، وبعض اللغات الأوروبية وخاصة المتوسطية، منها: الأسبانية والبرتغالية والمالطية والصقلية. ولغة كيرلا (مليالم) كما أنها تُدرّس بشكل رسمي أو

^١ Malayala manorama year book 2009, World Languages, P:528

^٢ الإمارات العربية المتحدة، البحرين - الكويت - السعودية - عمان - قطر - اليمن - السودان - مصر - ليبيا - تونس - الجزائر - الصحراء الغربية - موريتانية - الصومال - جزر القمر - الأردن - سوريا - لبنان - فلسطين من وكيبديا. الموسوعة الحرة - لغة عربية ص.١

غير رسمي في الدول الإسلامية والدول الإفريقية المحاذية للوطن العربي^٣ وتُدرس في المدارس والكتابات والجامعات الهندية وغيرها.

العربية لغة رسمية في كل دول الوطن العربي إضافة إلى كونها لغة رسمية في تشاد وإريتريا وإسرائيل. وهي إحدى اللغات الرسمية الست في منظمة الأمم المتحدة، واللغة العربية من أغزر اللغات من حيث المادة اللغوية. فعلى سبيل المثال يحوي معجم 'لسان العرب' لابن المنظور من القرن الثالث عشر أكثر من ٨٠ ألف مادة. بينما أن قاموس اللغة الإنجليزية لصموئيل جونسون، وهو من أوائل من وضع قاموسا إنجليزيا من القرن الثالث عشر، يحتوي على ٤٢ ألف كلمة.

نشأتها وتاريخها:

يقول أحمد حسن زيات: "اللغة العربية إحدى اللغات السامية"^٤. العلماء يردّون اللغات السامية إلى الآرامية والكنعانية والعربية. فالآرامية أصل الكلدانية والآشورية والسريانية. والكنعانية مصدر العبرانية والفينيقية، والعربية تشمل المضربية الفصحى ولهجات مختلفة تكلمها قبائل اليمن والحبشة. والراجح في الرأي أن العربية أقرب المصادر الثلاثة إلى لغة الأم"^٥. يقول حنا الفاخوري: "يرى جماعة من المحققين أن العربية أقرب من أخواتها إلى الأصل السامي وإن كانت الآرامية أقدم منها عهداً. وقد تكون العربية أرقى اللغات السامية وأشدها فصاحة واتساعاً"^٦.

هناك العديد من الآراء في أصل العربية لدى قدامى اللغويين العرب، فيذهب البعض إلى أن يعرب بن قحطان كان أول من أعرب في لسانه وتكلم بهذه اللسان العربي فسميت اللغة باسمه. وورد في الحديث النبوي أن نبي الله إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام أول من فتق لسانه بالعربية المبينة وهو ابن أربع عشرة سنة بينما نسي لسان

^٣. وكيبديا. الموسوعة الحرة - <http://ar.wikipedia.org/wiki>، تاريخ الوصول: ٢٩/١١/٢٠١٣م
^٤. يريد المؤرخون باللغات السامية اللغات التي يتكلم بها أبناء سام بن نوح عليه السلام، وهم أهل ما بين النهرين وجزيرة العرب والشام)
جرجي زيدان - تاريخ آداب اللغة العربية (ج: الأول ص: ٣٦، دار الفكر، بيروت، لبنان، السنة ٢٠٠٥م
^٥. تاريخ الأدب العربي، لأحمد حسن زيات (ص-١٥) دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية عشرة، ٢٠٠٩م
^٦. الجامع في تاريخ الأدب العربي (الأدب القديم) حنا الفاخوري، دار الجبل، بيروت لبنان - الطبعة الأولى ١٩٨٦م

أبيه، أما البعض الآخر فيذهب إلى القول: إن العربية كانت لغة آدم في الجنة إلا أنه لا وجود لبراهين علمية أو أحاديث نبوية ثابتة ترجح أيا من تلك النظرات. ولو اعتمد على المنهج العلمي لتبين أن اللغة العربية دخلت مراحل عديدة ويُعتقد أنها انبثقت من النبطية في القرن الميلادي الرابع، ومسألة تصنيف اللغة العربية الفصحى مثار للجدل والاختلاف بين علماء اللغة ما بين تصنيفها كسامية جنوبية أم سامية شمالية لا تزال باقيا، والحقيقة أنها مزيج من الإثنين. ووجد عدد من الكتابات بالعربية الشمالية القديمة، والتي تعد أقرب للفصحى من اللغة العربية الجنوبية إلى أن كانت موجودة في جنوب شبه الجزيرة. وقد تنبه عدد من العلماء المسلمين لوجود أكثر من لغة عربية ولسان حتى قال أبو عمرو بن العلاء (٧٧٠م) "ما لسان حمير بلساننا ولا عربيتهم بعربيتنا" والإشارة إلى حمير هي للدلالة على المناطق الجنوبية من شبه الجزيرة.^٧

وليس من مقدور الباحث اليوم أن يكشف عن أطوار النشأة الأولى للعربية، لأن التاريخ لم يسايرها إلا وهي في وفرة الشباب والنماء. والنصوص الحجرية التي أخرجت من بطون الجزيرة لا تزال لندرتها قليلة الغناء.

يقول جرجي زيدان: "وإذا تدبرنا تاريخ كل ظاهرة من مظاهر الأمة كالأداب أو اللغة أو الشرائع أو غيرها باعتبار ما مر بها من الأحوال في أثناء نموها وارتقائها وتفرعها رأيناها تسير في نموها سيرا خفياً لا يُشعر به إلا بعد انقضاء الزمن الطويل. ويتخلل ذلك السير البطيء وتَبَّات قوية تأتي دفعة واحدة، فتغيّر الشئون تغيراً ظاهراً وهو ما يعبرون عنه بالنهضة. وسبب ذلك النهضات في الغالب احتكاك الأفكار بالاختلاط بين الأمم على إثر مهاجرة اقتضتها الطبيعة من قحط أو خوف أو سيل أو غيرها. أو يكون سبب الاختلاط ظهور نبي أو مشرع أو فيلسوف كبير أو

^٧. وكيبيديا. الموسوعة الحرة - <http://ar.wikipedia.org/wiki>، تاريخ الوصول: ٢٩/١١/٢٠١٣م

نبوغ قائد طماع يميل الناس على الفتح والغزو أو أمثال ذلك من الانقلابات السياسية أو الاجتماعية. فاللغة العربية تعرضت لهذه الطوارئ مثل سائر اللغات الحية^٨.

أصناف اللغة العربية:

قسم اللغويون اللغة العربية إلى ثلاثة أصناف رئيسية، وهي: التقليدية (العربية القياسية)، والرسمية، والمنطوقة هي لغة عربية عامية بين الثلاثة. العربية التقليدية التي يوجد شكل حروفها في الحروف القرآنية. العربية القرآنية استعملت فقط في المؤسسات الدينية وأحياناً في التعليم لكن لم تُتكلّم عموماً.

العربية القياسية من الناحية الأخرى هي اللغة الرسمية في البلاد العربية وهي مستعملة في الأدب غير الديني، مثل المؤسسات. أما "اللغة العامية" فيتكلّم بها أغلبية الناس كلهجتهم اليومية. العربية العامية مختلفة من منطقة إلى منطقة، تقريباً مثل أية لهجة مماثلة لأية لغة أخرى^٩.

يقول أحمد حسن الزيات وغيره: "إن اللغة العربية هي أقرب اللغات السامية إلى اللغة السامية الأم" فقد أصبحت هذه النظرية هي أكثر النظريات قبولاً لدى الباحثين. وذلك لأنها احتفظت بعناصر قديمة تعود إلى اللغة السامية الأم أكثر من أية لغة أخرى. ففيها أصوات ليست موجودة في أي من اللغات السامية الأخرى، بالإضافة إلى وجود نظام الإعراب والعديد من الصيغ لجموع التكسير والعديد من الظواهر اللغوية الأخرى التي كانت موجودة في اللغة السامية الأم^{١٠}.

نموها وتطورها:

ولغات العرب على تعددها واختلافها إنما ترجع إلى لغتين أصليتين؛ لغة الشمال ولغة الجنوب. وبين اللغتين بون بعيد الإعراب والضمائر وأحوال الاشتقاق

^٨ تاريخ آداب اللغة العربية - جرجي زيدان - الجزء الأول - طبعة جديدة راجعها يوسف الشيخ محمد البقاعي. دار الفكر، ٢٠٠٦م، ص: ٣٦ - ٣٧
^٩ وكيبديا. الموسوعة الحرة - <http://ar.wikipedia.org/wiki>، تاريخ الوصول: ٢٩/١١/٢٠١٣م
^{١٠} المرجع نفسه

والتصريف، على أن اللغتين وإن اختلفتا لم تكن إحداها بمعزل عن الأخرى. فإن القحطانيين جلوا عن ديارهم بعد سيل العرم – وقد حدث عام ٤٤٧م – وتفرقوا في شمال الجزيرة واستطاعوا بما لهم من قوة وبما لهم من رقى، أن يخضعوا العدنانيين لسلطانهم من العراق والشام، كما أخضعوا اليمن. فكان إذن بين الشعبين اتصال سياسي وتجاري يقرب بين اللغتين في الألفاظ ويجانس بين اللهجتين في النطق دون أن يخضع إحداها على الأخرى لقوة القحطانيين من جهة، ولاعتصام العدنانيين بالصحراء من جهة أخرى. وتطاول الأمد على هذه الحال حتى القرن السادس للميلاد. فأخذت دولة الحميريين تزول وسلطانهم يزول بتغلب الأحباش على اليمن طوراً وتسلبت الفرس عليه طوراً آخر.

وكان العدنانيون حينئذ على نقيض هؤلاء تنهياً لهم أسباب النهضة والألفة والوحدة والاستقلال، بفضل الأسواق والحج ومنافستهم للحميريين والفرس واختلاطهم بالروم والحبشة من طريق الحرب والتجارة، ففرضوا لغتهم وأدبهم على حمير الذليلة المغلوبة. ثم جاء الإسلام فساعد على محو اللهجات الجنوبية وذهاب القومية اليمنية، فاندثرت لغة حمير وآدابهم وأخبارهم، ثم غلبت لغة قريش على سائر اللغات لأسباب دينية واقتصادية واجتماعية، أهمها الأسواق وأثر مكة وعمل قريش والقرآن والحديث.

الأسواق العربية:

وكان العرب يقيمون أسواقاً في أشهر السنة للبياعات والتسوق وينتقلون من بعضها إلى بعض. وهذا الاجتماع وحدّ لسانهم وعادتهم ودينهم وخلقهم. إذ كان الشاعر أو الخطيب إنما يتوخى الألفاظ العامة والأساليب الشائعة قصدًا لإفهام سامعيه وطمعا في تكثير مشاييعه والرواة ينشدونه في الأنحاء فنتشر معه لهجته وطريقته وفكرته.^{١١}

^{١١} أحمد حسن زيات، تاريخ الأدب العربي، ص: ١٥ - ١٦

وأشهر هذه الأسواق عكاظ ومجنة وذو المجاز، وأولاهن أشهر فضلاً وأقوى أثراً في تهذيب العربية. كانت تقوم هلال ذي القعدة وتستمر إلى العشرين منه. فتقد إليها زعماء العرب وأمراء القوم للمتاجرة والمفاخرة ومفاداة الأسرى وأداء الحج. وكان كل شريف إنما يحضر سوق نواحيهم إلا عكاظ، فإنهم كانوا يتوافدون إليها من كل فج عميق، لأنها متوجههم إلى الحج ولأنها تقام في أشهر الحرم. وكان مرجعهم في الفصل بينهم إلى محكمين اتفقوا عليهم وخضعوا لهم، فكانوا يحكمون لمن وضح بيانه وفصح لسانه، وهذا الاجتماع والمناشدة والمنافسة وحد اللغة العربية، وكانت لها الأهمية الكبرى على سائر اللهجات القبائلية.

أثر مكة وعمل قريش:

ومما ساعد على وحدة العربية وذيوعها مكة وقريش. كان لموقع مكة أثر بالغ في وحدة اللغة ونهضة العرب لأنها كانت في النصف الثاني من القرن السادس محطاً للقوافل الآتية من الجنوب. تحمل سلع التاجر من الهند واليمن فيبتاعها المكيون ويصرفونها في أسواق الشام ومصر. وكانت قوافل مكة التجارية آمنة لحرمة البيت ومكانة قريش، وكان تجارهم يخرجون بقوافلهم الموفرة وغيرهم آمنين. فينزلون الأسواق ويهبطون الآفاق فيستفيدون بها بسطة في العلم وقوة في الفهم وثروة في المال وخبرة بأمور الحياة، وهي مع ذلك متجرة للعرب ومثابة للناس، يأتون إليها رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليقضوا مناسكهم - الحج - ويشتروا مرافقهم مما تنتجه أو تجلبه.

وبسبب أن قريشا أهل مكة وأمراءها كانوا لمكانتهم من الحضارة وزعامتهم في الحج ورياستهم في عكاظ وإيلافهم رحلة الشتاء إلى اليمن ورحلة الصيف إلى حوران، كانوا أكثر الناس بالقبائل ارتباطاً وأكثرهم بالشعوب اختلاطاً، كانوا يختلطون بالحبشة في الجنوب، وبالفرس في الشرق، وبالروم في الشمال، وباليهود في يثرب

وما جاوروها من أرض خيبر وتيماء، وبالنصارى في الشام ونجران والحيرة. فتهيأت لهم بذلك الوسائل لتقافة اللسان والفكر.

ثم سمعوا المناطق المختلفة، وتدبروا المعاني الجديدة ونقلوا الألفاظ الجديدة واحتلوا واختاروا لغتهم من أفصح اللغات، أعذبها لفظاً وأبلغها أسلوباً وأوسعها مادة، ثم أخذ الشعراء يؤثرونها وينشرونها حتى نزل بها القرآن الكريم، فأنتم لها الذيوع والغلبة، ولولا هذا الاجتماع التجاري والديني لكانت للغة العربية لهجات لا يفهم بعضهم بعضاً.

لغة قريش في الحقيقة لغة القرآن، لأن النبي ﷺ ولد فيها وبعث فيها وأنزل فيها القرآن، وهي تفضل على سائر اللغات بالحلاوة والدقة والإحكام وقبيلتها تفضل على سائر القبائل بجوار البيت وسقاية الحجاج وعمارة المسجد فقال ﷺ "أنا أفصح العرب بيد أني من قريش وأني نشأت في بني سعد بن بكر" ^{١٢}.

أثر القرآن والحديث:

أثر القرآن في ألسنة قريش وأفئدتهم وأنظمتهم ما لم يؤثر كتاب سماوي آخر على أهله. فأما تأثيره في اللغة وأدبها فبأنه خالط من القوم قلوباً قاسية فألينها وطباعاً جافية فأرقها وأحلاماً طافية فأقرها، فكسب ذلك اللغة عذوبة في اللفظ ورقة في التركيب ودقة في الأداء وقوة في المنطق وثروة في المعاني ووسع دائرة اللغة باستحداثه الألفاظ الدينية كالصلاة والزكاة والوضوء وغيرها واقتضائه علوماً جديدة كالنحو والصرف والمعاني والبيان والبديع وعلمي اللغة والأدب لتفسير غريبه وتوضيح مشكله والحديث والأصول والفقه والتفسير وغيرها وهو الذي ضمن بقاءها تلك القرون العديدة ونشرها في مجاهل الأصقاع البعيدة. هكذا غلبت لغة العدنانيين على لغة القحطانيين بالتجارة والدين والقرآن.

^{١٢} تاريخ الأدب العربي - ص: ١٧

يقول د. شوقي ضيف: "إن للحديث النبوي أثر، وإن كان لا يبلغ أثر القرآن العظيم، لأنه دونه في البلاغة ويمكن أن نلاحظ أثره في أنه عاون القرآن الكريم في انتشار اللغة العربية، وفي حفظها وبقائها. وكان له أثر أيضاً في توسيع المادة اللغوية بما أشاع من ألفاظ دينية وفقهية لم تكن تستخدم من قبل هذا الاستخدام الخاص. وقد أقبل العلماء في مختلف الأمصار الإسلامية على تعاقب الأعصار، يدرسونه ويحفظونه ويشرحونه ويستنبطون منه.

وقد استمد المتأديون من هذا الكنز في رسائلهم وأشعارهم ما أضاف إليها - على مر العصور - رونقاً وطلاوة. وما يزال ذلك شأنهم إلى اليوم. ومن تأثيره أيضاً نشأة الكتابة التاريخية لا في السيرة -النبوية فحسب - بل أيضاً في تراجم المحدثين للحكم لهم أو عليهم فيما نقل عنهم ومن غير شك هو السبب في أن المسلمين أشد الأمم عناية بتواريخ رجالهم على نحو ما نعرف في مثل طبقات ابن سعد وأسد الغابة، والإصابة والاستيعاب وميزان الاعتدال للذهبي وغيرها".^{١٣} وفي جملة القول إن للقرآن والحديث يد لا يجهد في توسيع اللغة وتوحيدها وانتشارها.

عصر الازدهار:

فتح العرب في أواخر الدولة الأموية أكثر البلاد المعروفة حينئذ من الدنيا فامتدت ملكهم من الهند والصين شرقاً، إلى جبال البرانس غرباً. كان للفتوحات الإسلامية بعد وفاة النبي محمد ﷺ كبير الأثر في نشر اللغة العربية في أصقاع مختلفة خارج شبه الجزيرة العربية. فبعد أن اعتنق كثير من السريان والأقباط والروم والأمازيغ والآشوريين الدين الإسلامي، أصبحوا عرباً باللغة لسببين رئيسيين، منها: أن اللغة الجديدة كانت لغة الدين حيث النشأة، وهي لغة مصدر التشريع الأساسي في الإسلام (القرآن، والأحاديث النبوية). ولأن الصلاة وبعض العبادات الأخرى، لا تتم إلا بإتقان بعض الكلمات من هذه اللغة، وأيضاً لتعريب دواوين الأمصار حديثة الفتح في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، وهكذا أصبحت العربية لغة السياسية

^{١٣} د. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، ج:٢، (العصر الإسلامي)، دار المعارف، مصر، ط:٧، ١٩٧٦، ص: ٤٠-٤١

والإدارة بعد أن نقلت إليها المصطلحات الفنية في الإدارة والحساب، وعلى الرغم من أن كثيرا من الأمم الأعجمية بقيت على هويتها ولم تتقبل الهوية العربية، مثل قسم كبير من الأمازيغ والترك والكرد والفرس وبعض الآشوريين والسريان، فإنها تلقت اللغة العربية وتكلمتها بطلاقة إلى جانب لغتها الأم، وذلك لأن بعضها اعتنق الإسلام مثل الأكراد والفرس والآتراك، وحتى الذين بقوا على الدين المسيحي أو اليهودي أو المندائي الصابي، تكلموا العربية كلغة رئيسية إلى جانب لغتهم الأم، بعد أن أصبحت لغة العلم والأدب خلال العصر الذهبي للدولة الإسلامية، تحت ظل الخلافة العباسية، بل أن تلك الشعوب اقتبست الأبجدية العربية في كتابة لغتها. ومع مرور الوقت أصبحت اللغة العربية لغة الشعائر لعدد كبير من الكنائس المسيحية في الوطن العربي مثل كنائس الروم الأرثوذكس والروم الكاثوليك، والسريان كما كتبت بها الكثير من الأعمال الدينية والفكرية اليهودية في العصور الوسطى.

ساهم عدد من الأعاجم في تطوير اللغة العربية ومصطلحاتها خلال العصرين الأموي والعباسي بفضل ما نقلوه إلى العربية من علوم مترجمة عن لغتهم الأم. فبرز في العربية كلمات ومصطلحات جديدة لم تكن معهودة من قبل، مثل "بيمارستان" المأخوذة من الفارسية. وخلال العصر الذهبي بلغت اللغة العربية أقصى درجات الازدهار حيث عبر الأديباء والشعراء والعلماء العرب والعجم عن أفكارهم بهذه اللغة، فكتبت آلاف المجلدات والمؤلفات والمخطوطات حول مختلف المواضيع بلسان العرب. وكان من أهمية اللغة العربية في المجال العلمي والثقافي، أن اقتبست بعض اللغات الأوربية كلمات منها أثناء العهد الصليبي في المشرق، أو عن طريق التثاقف والاختلاط مع عرب الأندلس، ومن أبرز اللغات التي تأثرت بالعربية الإنكليزية والفرنسية والأسبانية والإيطالية والألمانية"^{١٤}.

وفي جملة القول أن اللغة العربية أصبحت إحدى اللغات العالمية وإحدى اللغات الرسمية الست في المجلس الأمم المتحدة. وفي المنزلة الخامسة بين لغات العالم بعد

^{١٤}. ويكيبيديا. الموسوعة الحرة - <http://ar.wikipedia.org/wiki>، تاريخ الوصول: ٢٩/١١/٢٠١٣م

الصينية والإسبانية والإنجليزية والهندية^{١٥} - حسب عدد متكلميها - ولغة رسمية في ٢٤ دولة^{١٦}، وقدمت ثقافة قيمة وعلومًا عديدة نفيسة حينما كان العالم في ظلمات الجهل والحماقة لم ترتق إلى هذه المنزلة المحمودة إلا بمعونة القرآن والحديث أو الدين الإسلامي، ويعتبر القرآن العظيم أحسن مثال للغة العربية الفصحى المنتشرة في الدول العربية والعالم، يليه الأحاديث النبوية في البيان والبلاغة، ويُعد النبي ﷺ أيضاً الذي كان يتلو القرآن ويعلم ويبين للناس ما نزل إليه قولاً وفعلاً وتقريراً، سيد البيان والفصاحة نثراً وشعراً.

^{١٥} ويكيبيديا الموسوعة الحرة، http://en.wikipedia.org/wiki/List_of_languages_by_number_of_native_speakers تاريخ الوصول: ٢٠١٣/١١/٢٩ م

^{١٦} http://en.wikipedia.org/wiki/List_of_countries_where_Arabic_is_an_official_language

CHAPTER 2

Muhamed V.M.”Proverbs of the Prophet : Collection Classification and Literary Analysis” Thesis. Research Department of Arabic,Farook College,University of Calicut, 2014.

الباب الثاني

محمد صلى الله عليه وسلم وسننه

الباب الثاني

محمد صلى الله عليه وسلم وسنته

الفصل الأول: من المولد إلى المبعث

نسبه، مولده وطفولته، تسميته، بعثته، نزول القرآن، الدعوة إلى الله ومرآطها، الاعتداء الجسدي، الهجرة إلى الحبشة، إسلام حمزة وعمر، المقاطعة العامة، عام الحزن، عرض الرسول نفسه على القبائل، بيعة العقبة.

نسبه :

هو ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان وهو من ولد إسماعيل عليه السلام لامحالة، على اختلاف أعداد الآباء بينهما. وفي صحيح مسلم من حديث واثلة بن الأسقع أن رسول الله ﷺ قال : "إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، من بني إسماعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم"^{١٧}.

^{١٧} : الألباني، ناصر الدين، صحيح السيرة النبوية (مسلم ٣٠٧)، المكتبة الإسلامية، الأردن، عمان، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ، ص: ١١

مولده ﷺ وطفولته :

وكان مولده ﷺ عام الفيل في الثاني عشر من ربيع الأول وتوفي أبوه وهو حمل في بطن أمه وأرضعته ثويبة مولاة أبي لهب ثم حليلة بنت أبي ذؤيب من بني سعد بن بكر^{١٨}. يقول د. مهدي رزق الله أحمد "إنه ولد بعام الفيل يوم الإثنين ١٢ ربيع الأول وهو الموافق لـ ٢٠ إبريل سنة ٥٧١م"^{١٩}. وكانت حاضنته أم أيمن بركة الحبشية أمة أبيه وهي أم أسامة بن زيد، أنها توفيت بعد وفاة النبي ﷺ بخمسة أشهر^{٢٠}.

تسميته :

إنه سمي محمداً و أحمدًا وفيمن سماه هذا الاسم قولان، الأول: هو أمنة بنت وهب أمه، والآخر: هو جده عبد المطلب^{٢١}.

ظل الرسول في رعاية أمه أمنة وكفالة جده عبد المطلب بعد إيباه من بادية بني سعد، وعند ما بلغ من العمر ست سنين توفيت والدته أمنة بالأبواء وهي راجعة به إلى مكة من المدينة، فحاضنته مولاته أم أيمن وحملته إلى جده عبد المطلب بمكة فأخذ يحوطه بعنايته إلى أن توفي وللنبي ثماني سنوات من العمر^{٢٢} فأوصى به إلى عمه أبي طالب أخى أبيه عبد الله لأمه وأبيه^{٢٣} وظل يحوطه بعنايته إلى أن توفي قبل الهجرة بنحو ثلاث سنين^{٢٤}.

إنه ﷺ عاش يتيماً أمياً راعي الغنم تاجراً أميناً حكماً بين المختصمين مجتنباً عن فواحش المشركين والكفار ما ظهر منها وما بطن. وتزوج خديجة بنت خويلد. كانت

^{١٨} : نفس كتاب، ص: ١٣ / الجزائري، أبو بكر جابر، وهنا الحبيب ﷺ يا محب، مكتبة العلوم والحكمة ، المدينة المنورة، الطبعة الثانية ٢٠٠١م -١٤٢١هـ، ص: ٤٦

^{١٩} : السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، مركز الملك فيصل، الرياض، الطبعة الأولى ١٩٩٢م، ص: ١١٣ / ابن هشام، السيرة النبوية، ص: (٢١١/١) / د.همام عبد الرحيم سعيد، السيرة النبوية تحقيق، مكتبة المنار، الأردن، سنة ١٩٨٨م / خضري بك، محمد، محاضرات، تاريخ الأمم الإسلامية (٦٢/١)

^٤ : الصلابي، دعلي محمد، السيرة النبوية، دار المعرفة، بيروت، لبنان، طبعة خاصة، سنة ٢٠٠٦م / ١٤٢٧هـ ، ص: ٤٧٠ / مسلم، كتاب الجهاد (رقم ١٧٧١)

^{٢١} : رزق الله، د. مهدي، السيرة النبوية، ص: ١٠٧-١٠٨

^{٢٢} : عبد الرزاق بإسناد مرسل صحيح ٣١٨/٥ 'المصنف' تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، منشورات المجلس الأعلى، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٧٢م.

^{٢٣} : ابن اسحق، بدون إسناد (ابن هشام : ٢٣٥/١) فهو ضعيف.

^{٢٤} : رزق الله، د. مهدي، السيرة النبوية، ص: ١١٠

امراة حازمة شريفة لبيبة من أوسط قریش نسباً وأعظمهم شرفاً وأكثرهم مالاً، وكان ذلك سنة خمس وعشرين من مولده في قول الجمهور^{٢٥}.

بعثته ﷺ :

بدء الوحي :

حينما بلغ عمره أربعين سنة حبيب إليه الخلاء وقضاء الليالي والأيام منفرداً متحنثاً. قالت عائشة رضي الله عنها : " إن أول ما بدئ به الرسول ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم. فكان لا يرى الرؤيا إلا جاءت مثل فلك الصبح. ثم حبيب إليه الخلاء، فكان يخلو بغار حراء يتحنث - يتعبد - فيه الليالي ذوات العدد قبل أن يرجع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى فجأه الحق وهو في غار حراء..."^{٢٦}.

نزول القرآن :

أول آية قرآنية نزل عليه وهو في غار حراء "اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم"^{٢٧}، في اليوم الإثنين من شهر رمضان من العام الأربعين من ميلاده. ثم انقطع الوحي أياماً، لقد جزع النبي ﷺ من هذا الإنقطاع. ثم نزلت بعض الآيات من أول سورة "المدثر"^{٢٨} ثم حمي الوحي وتواتر^{٢٩}.

^{٢٥} : بيهقي، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ٧١/٢-٧٢ دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى ١٩٨٢م / ابن سعد، الطبقات الكبرى، دار المصادر، بيروت ١٩٦٨م، (ص : ١٣٢/١) / الفتح الرباني لترتيب مسند أحمد بن حنبل الشيباني مع بلوغ الأمان في أسرار الفتح الرباني، دار الشهاب (١٩٧/٢٠)

^{٢٦} : البخاري / الفتح (١٩٧/٢٦-٢٠٠ / ح / ٦٩٨٢) / مسلم (١٣٩-١/٤٠ ح / ١٦٠) واللفظ لمسلم.

^{٢٧} : سورة العلق.

^{٢٨} : يا أيها المدثر، قم فأنذر، وربك فكبر، وثيابك فطهر، والرجز فاهجر (المدثر ١- ٥).

^{٢٩} : البخاري (٤٩٢٥) / مسلم ١/٤٣/١ ح / ١٦١، المسند ٣/٣٠٦، الفتح الرباني ١٨/٤٧-٤٩.

الدعوة إلى الله ومراحلها:

الدعوة السرية :- وبهذه السورة أمر النبي ﷺ بالدعوة إلى الله أولاً. فأخذ يدعو إلى ما أمر به سرّاً لمدة ثلاث سنين^{٣٠} مثل زوجته خديجة وأبنائه ومولاه وربيبه وأصدقائه وكل من يطمئن إلى أنه يكتتم السرّ فأول من آمن به زوجته خديجة ثم ابن عمه علي بن أبي طالب ثم مولاه زيد بن حارثة ثم صديقه أبوبكر^{٣١}. وأسلم كثير من الناس بدعوة أبي بكر وفيهم عثمان بن عفان وطلحة وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم، ثم أسلم من الموالي مثل بلال وصهيب وعمار وياسر وسمية بنت خباط.

الجهر بالدعوة :

فلما نزلت هذه الآية " وأنذر عشيرتک الأقربين"^{٣٢} " بدأ النبي ﷺ دعوته جهراً. وأعلن ما أمر به أولاً في بيته ثم عند الصفا. فدخل في الإسلام كثير من الناس، فخاف قريش نفوذه وزوال سلطانهم بين الناس فأذوا أتباع النبي ﷺ وأذاعوا الشكوك ودعاوي الباطلة حول رسالته، حتى قتل بعضهم مثل ياسر وسمية رضي الله عنهما.

طلب المشركون من أبي طالب أن يخلي سبيل محمد ﷺ فأبي، وزعموا أنه مجنون ومرة قالوا : " إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً "، ومرة قالوا : "ساحر أو شاعر أو كاهن"، ولكن زعمهم لم ينفذ شيئاً ولم يمنع الناس عن اعتناق الإسلام. فدخلوا إلى دين الإسلام أفواجا، حينما جاء الناس إلى مكة لقضاء مناسك الحج من الأماكن المختلفة من الجزيرة العربية أذاع قريش بينهم عن محمد ﷺ أباطيل فعلم العرب قاطبة عن الرسول ﷺ فبدعوا أن يسلموا.

^{٣٠}: ابن اسحق (ابن هشام ١/٣٢٥).
^{٣١}: صحيح الترمذي ٢٠١/٤، فضائل الصحابة لابن حنبل ١/٢٢٣، البداية ٣/٢٣٠-٢٣٢، عيون الأثر ١/٩٤، سيرة ابن اسحق، ص: ١٣٩-١٤٠، سيرة الذهبي، ص: ١٣٨
^{٣٢}: الشعراء: ٢١٤

ومن الاتهامات الباطلة التي يحكي القرآن عن ذلك مثل قوله تعالى : " ويقولون إنه لمجنون^{٣٣} " ، "وقال الكافرون هذا ساحر كذاب" ، و " قال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحوراً^{٣٤}" و " إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون^{٣٥}" و " وقالوا هذا أساطير الأولين^{٣٦}" وغيرها.

السخرية والتعالي على المؤمنين :

سخر قريش من النبي ﷺ وأصحابه واستهزءوا منه وطلبوا من النبي ﷺ أن يخرج الفقراء المسلمين من مجلسه فمنعه الله تعالى ثم قالوا : " لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً، أو يلقي إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها^{٣٧} " وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً...^{٣٨} فأمر الله رسوله أن يقول لهم : " قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً ". ثم أراد المشركون المداهنة مع النبي ﷺ فيدهنون فلم يقبل النبي ﷺ طلبهم.

الاعتداء الجسدي :

فلما وجد المشركون أن السخرية والاستهزاء والمداهنة لا ينفع شيئاً فبدعوا أن يعتدوا على جسده. مرة جاء عقبة بن أبي معيط وهو يصلي فوضع رداءه في عنقه فخنقه خنقاً شديداً فجاء أبو بكر ودفعه عنه^{٣٩}. ومرة أخرى أنهم وضعوا سلا جزور في كتف النبي ﷺ حينما كان يصلي عند الكعبة، فلم يزل النبي ﷺ في السجود ولم يقدر على أن يرفع رأسه حتى جاءت فاطمة وأزالها عن كتفه^{٤٠}. هكذا آذوا النبي ﷺ إيذاءً شديداً. وهكذا آذوا أصحابه ﷺ إيذاءً متنوعاً. ضرب بعضهم وشم الآخرون حتى قتل

^{٣٣} : القلم : ٥١ (٤) ص : ٤

^{٣٤} : الفرقان : ٨

^{٣٥} : نفس السورة : ٤

^{٣٦} : نفس السورة : ٥

^{٣٧} : نفس السورة : ٧ - ٨

^{٣٨} : الإسراء : ٩٤ - ٩٥

^{٣٩} : صحيح البخاري : ٣٨٥٦ ، ٣٦٧٨

^{٤٠} : صحيح البخاري ٢٩٣٤ / مسلم ١٧٩٤ / أحمد ٣٧٢٢

بعضهم مثل ياسر وسمية رضي الله عنهما. وفي مقدمة المؤذنين المعتدين أبو لهب وزوجته أم جميل وأبو جهل وأميه وغيرهم^{٤١}.

الهجرة إلى الحبشة:

الهجرة الأولى إلى الحبشة :

كانت بداية الاضطهادات في أواسط السنة الرابعة من النبوية بدأت ضعيفة، ثم لم تزل في ازدياد يوماً فيوماً وشهراً فشهرًا، حتى اشتدت وتفاقت في أواسط السنة الخامسة، أخيراً اضطروا إلى الهجرة من مكة إلى بلد آخر. روى ابن اسحق من حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت : " لما ضاقت علينا مكة وأوذى أصحاب رسول الله ﷺ وفتنوا ورأوا ما يصيبهم من البلاء والفتنة في دينهم، وأن رسول الله ﷺ لا يستطيع دفع ذلك عنهم ...، فقال لهم رسول الله ﷺ : " إن بأرض الحبشة ملكا لا ظلم عنده فالتحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً بما أنتم فيه فخرجنا إليها^{٤٢} "، فكانوا اثني عشر رجلاً وأربع نسوة، وذلك في رجب من السنة الخامسة الهجرية.^{٤٣}

لم يمكث هؤلاء المهاجرون طويلاً حتى بلغتهم الأخبار الكاذبة بأن أهل مكة قد أسلموا فلذا قرروا العودة إلى وطنهم مكة في شوال من نفس السنة.^{٤٤}

الهجرة الثانية إلى الحبشة:

عندما عاد بعض من هاجر الهجرة الأولى وجدوا الابتلاء أشد مما كان فلما رأى رسول الله ﷺ حالتهم أذن لهم بالهجرة مرة ثانية وكانوا في هذه المرة نيفا وثمانين رجلاً وتسع عشرة امرأة^{٤٥}، فلما علم قرش ذلك حاولوا أن يرددهم من الحبشة إلى

^{٤١} : رزق الله، د. مهدي، السيرة النبوية، ص: ١٨٠ - ١٨١
^{٤٢} : السير والمغازي، ص: ١٢٣ / ابن هشام ٤١٣/١
^{٤٣} : ابن سعد، الطبقات، ص: ٢٠٤/١ / ابن القيم، الزاد ٢٣/٣
^{٤٤} : الطبقات ٤١/٢٠٤ / ابن هشام ٥/٢
^{٤٥} : ابن هشام ٤٠٨/١ / زاد المعاد ٢٦/٣

مكة ولكن لم يفلحوا فيه بل ردهم النجاشي ملك الحبشة خائبين يائسين وأقام المسلمون هناك آمين مطمئنين.

إسلام حمزة وعمر :

لم يمنع اضطهاد المشركين للمسلمين عن دخول صناديد قريش في الإسلام. أسلم حمزة بن عبد المطلب عم النبي ﷺ في السنة السادسة من النبوة عقب إساءة أبي جهل النبي ﷺ إساءة بذيئة^{٤٦} وأسلم عمر بن الخطاب أيضا الذي كان شديداً على المسلمين. وإسلامهما كان سببا لرفع شأن الإسلام وعزته^{٤٧}. صار عمر الفاروق شديداً على المشركين بعدما كان شديداً على المؤمنين. روى ابن عباس أنه قال: " لما أسلم عمر قال المشركون: قد انتصف القوم منا"^{٤٨}.

المقاطعة العامة :

لما رأى المشركون أن عدد الداخلين في الإسلام قد ازداد، وأن وسائلها وأساليبها السابقة في محاربتهم وقمعهم أصبحت بدون جدوى خاصة بعد إسلام حمزة وعمر أرادوا قتله. فجمع أبو طالب بني هاشم وبني المطلب فأدخلوا رسول الله ﷺ شعبهم ومنعوه ممن أراد قتله. فلما رأى قريش ذلك انتمروا بينهم ان يكتبوا كتابا يعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب سوى أبي لهب لأنه كان مع الكفار - على أن لا يعاملوهم ولا يناكحوهم حتى يسلموا إليهم محمداً ﷺ وعلقوا عقد الصحيفة في جوف الكعبة، وقيل كان ابتلاء حصرهم في المحرم سنة سبع من البعث فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثاً^{٤٩}. عاش النبي ﷺ وأصحابه هنا في قحط شديد ومجاعة عظيمة. أخيرا قام من بين قريش هشام بن عمرو بن الحارث وزهير بن أبي أمية والمطعم بن عدي

^{٤٦} : ابن اسحق ١٧١-١٧٢ / الحاكم، المستدرک ١٩٢/٣

^{٤٧} : الفتح الباري : ١٤ / ١٨٦ / ح ٣٦٨٤

^{٤٨} : أحمد بن حنبل، فضائل الصحابة، ص : (٢٤٨/١) بإسناد ضعيف.

^{٤٩} : رزق الله، د. مهدي، السيرة النبوية، ص : ٢١٧ - ٢١٨

غيرهم على نقض الصحيفة ولكنهم وجدوا الأرضة قد أكلت جميع ما فيها إلا اسم الله^{٥٠}.

عام الحزن :

مات أبو طالب سنة عشر من البعث بعد الخروج من الشعب بزمن يسير قيل قبل وفاة خديجة رضي الله عنها زوجة النبي ﷺ. وقيل كان بين وفاته وفاة خديجة شهر وخمسة أيام^{٥١}. أحن النبي ﷺ وفاته هذين الذين أعاناه ونصراه وعزراه كثيرًا. لذلك يعرف في التاريخ هذا العام " بعام الحزن^{٥٢}". اشتد بعد ذلك أذى قریش نحوه حتى نثر سفيه على رأسه التراب ووضع آخر سلا الجزور بين كتفيه وهو ساجد. أخير هاجر النبي ﷺ إلى الطائف ملتصقا النصره من ثقيف والمنعة بهم من قومہ ورجاء أن يقبلوا منه الإسلام، ولكنهم امتنعوا وعتوا عليه عتوا كثيرا وأذاهم إيذاءً شديداً حتى التجأ إلى حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة^{٥٣}، وعاد مهموماً إلى مكة في جوار مطعم بن عدي^{٥٤}.

عرض الرسول نفسه على القبائل :

كان الرسول ﷺ في حركة دائبة للبحث عن مكان يعبد الله فيه آمناً. ولذا كان أمره للصحابة بالهجرة إلى الحبشة وهجرته إلى الطائف. ثم عرض نفسه على القبائل ودعاهم إلى الإسلام. وكان موسم الحج وأسواق العرب مناسبات هامة للالتقاء بذوي الشأن من رؤساء القبائل وغيرهم من الأفراد العاديين. وكان يطلب من ذوى الشأن أن يحموه، دون أن يكرههم على دعوته^{٥٥} فأسلم بعضهم سرّاً ورد بعضهم ردّاً قبيحاً

^{٥٠}: ابن هشام (٢٠/٢)

^{٥١}: الفتح ٤١/١٥ ح / ٣٨٨٤

^{٥٢}: المبار كفوري، الرحيق، ص: ١٣٣

^{٥٣}: رزق الله، د. مهدي، السيرة النبوية، ص: ٢٢٦

^{٥٤}: ابن هشام ٢٤/٢

^{٥٥}: مغازي رسول الله ﷺ لعروة، ص: ١١٧ / البيهقي في الدلائل (٤١٤/٢)

مثل بني عبد الله من كلب بعضهم لم يقبله ولم يبعد عنه مثل سويد بن الصامت^{٥٦} وممن أسلم سرّاً إياس بن معاذ^{٥٧} من بني الأشهل.

وفي السنة الحادية عشرة من البعثة عرض نفسه على نفر من الخزرج عند العقبة ودعاهم إلى الإسلام وتلا القرآن عليهم وكانوا قد سمعوا من اليهود عن مجيء نبي وبعثته قريبة ويكون من العرب. فأجابوا إلى ما دعاهم النبي ﷺ ثم انصرفوا ووعده المقابلة من الموسم المقبل. فلما قدموا المدينة إلى قومهم ودعاهم إلى الإسلام فلم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر من رسول الله ﷺ^{٥٨}.

بيعة العقبة الأولى :

في الموسم الثاني من العام الثاني عشر للبعثة جاء لأداء مناسك الحج اثنا عشر رجلاً من المسلمين في المدينة. فلقوا الرسول وبايعوه^{٥٩}. وعندما أرادوا العودة إلى بلادهم بعث رسول الله ﷺ مصعب بن عمير ليعلمهم الدين. فأسلم خلق كثير من الأنصار على يد مصعب بمعاونة أسعد بن زرارة^{٦٠}.

بيعة العقبة الثانية :

وفي موسم الحج التالي من العام الثالث عشر للبعثة قدم مكة لأداء الحج مجموعة كبيرة من مسلمي المدينة مع حجاج كثيرين من مشركي المدينة. وكان زعيمهم البراء بن معرور. بعد قضاء مناسك الحج تسلل المسلمون من قومهم سرّاً بعد ما قضى من ثلث الليل واجتمعوا في العقبة وكانوا ثلاثة وسبعين رجلاً وامرأتين. جرت بينهم وبين النبي ﷺ وعباس بن المطلب مناقشات طويلة. وبعد ذلك بايعوا النبي ﷺ على

^{٥٦} : ابن هشام ٧٨/٢ - ٧٩

^{٥٧} : روى ابن اسحق (ابن هشام ٨٠/٢ - ٨١)

^{٥٨} : رزق الله، د. مهدي، السيرة النبوية، ص : ٢٤٤ - ٢٤٥

^{٥٩} : الفتح (٣٧٩٢ ح / ٧٤ / ١٥) / النسائي (١٤١/٧ - ١٤٢ / ك البيعة على الجهاد).

^{٦٠} : ابن هشام (٨٦/٢)

أنهم يحفظوه إذا هاجر إليهم كما يحفظ أزواجهم وأبناءهم ثم رجعوا في نفس الليلة إلى قومهم وأصبحوا معهم^{٦١}.

الفصل الثاني : الهجرة إلى المدينة

أسبابها:

(١) **الابتلاء والاضطهاد:-** إنه ﷺ لاقى الاضطهاد من أول يوم دعا قومه جهراً. اشتد ذلك يوماً فيوما حتى بلغ ذلك إلى قمته حينما توفي أبو طالب وأوذي كذلك المسلمون جميعاً. يدل على ذلك قول بلال رضي الله عنه عندما هاجر: "...أللهم العن شيبه بن ربيعة وعتبة بن ربيعة وأميه بن خلف كما أخرجونا من أرضنا إلى أرض الوباء^{٦٢}.

(٢) **وجود حماية للدعوة:-** وجد المسلمون الحماية من أهل المدينة للدعوة إلى الله والحياة حسب دينهم وكذلك تكذيب زعماء قريش ومعظم عامتهم النبي ﷺ فتوجه النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة. ومما حملهم على ذلك مخافتهم الفتن في دينهم إذا بقوا في مكة.

ذكر البخاري إن أول من هاجر إلى المدينة مصعب بن عمير وعبد الله بن أم مكتوم^{٦٣} ثم وصل الباقيون إليها. ابتلي المسلمون أثناء هجرتهم بلاء حسناً.

^{٦١} رزق الله، د. مهدي، السيرة النبوية، ص : ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٣

^{٦٢} البخاري ح (١٨٨٩)

^{٦٣} البخاري ح (٣٩٢٣ ، ٣٩٢٥)

هجرته إلى المدينة :

(١) تأمر المشركين :- لما علم المشركون عن بيعة الأنصار وهجرة المسلمين زرافات ووحدا نا خافوا اتحاد المسلمين في المدينة وخروج النبي ﷺ إليهم، فاجتمعوا في دار الندوة وتشاوروا وأجمعوا على قتل النبي ﷺ بأيادي الفتیان المختارين من كل قبيلة ليتفرق دمه على جميع القبائل لئلا يقدر لبني المطلب للانتقام عليهم جميعاً. وذلك في يوم الخميس ١٦ من صفر سنة ١٤ من المبعث، الموافق ١٢ من سبتمبر عام ٦٢٢م^{٦٤}.

(٢) الإذن بالهجرة والتخطيط لها ثم الشروع فيها :- حينما أقر المشركون على قتله ﷺ أتى الوحي إلى النبي ﷺ والإذن للهجرة. وخرج النبي ﷺ من بيته في تلك الليلة فلم يره أحد بحفظ الله وحمايته. أمر النبي ﷺ علياً أن ينام في فراشه وبرده الحضرمي الأخضر، وظن المحيطون حول بيته لقتله أنه هو النبي ﷺ في فراشه حتى يصبح. فلما أصبح علموا عن نجات النبي ﷺ من قبضتهم.

أما النبي ﷺ خرج إلى غار ثور مع أبي بكر واختفى هناك ثلاث ليالٍ حتى ينقطع طلب المشركين عنهما. ثم خرج إلى المدينة مع عبد الله بن أرقد دليله وأبي بكر وعامر بن فهيرة الذي أمره أبوبكر لخدمتهما في السفر. وكان سير النبي ﷺ عن طريق الساحل.

الوصول إلى المدينة :

فلما كان يوم الاثنين الثاني من ربيع الأول سنة أربع عشرة من البعث – وهي السنة الأولى للهجرة – الموافق الثالث والعشرين من أيلول (سبتمبر) سنة ٦٢٢م. وصل

^{٦٤} : الرحيق المختوم بحث في السيرة النبوية لصفي الدين الرحمن المباركفوري، ص: ١٧٦

النبي ﷺ إلى المدينة^{٦٥}. فاستقبل الناس النبي ﷺ في بني عمرو بن عوف^{٦٦} بتحيةة النبوة وأنشدوا :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

وجب الشكر علينا ما دعا لله داع^{٦٧} . . .

ثم سار حتى نزل القباء في بني عمرو بن عوف لمدة اربع عشرة ليلة، فيها أسس مسجد قباء وهو أول مسجد أسس بعد النبوة. ثم دخل النبي المدينة وسارت الراحلة حتى بركت في موضع المسجد النبوي اليوم فنزل عنها. وذلك في بني النجار أمام دار أبي أيوب الأنصاري ثم بنى المسجد في المكان الذي بركت فيها الناقة بعد شرائها وبدأ أن يعيش في حجرين اللذين بنيا في جانب المسجد^{٦٨}.

^{٦٥}: الرحيق المختوم ص: (١٩٠ - ١٩١)

^{٦٦}: البخاري ح ٢٩٠٦، ٣٩٢٥

^{٦٧}: الفتوح: (١٢٠/١٥)

^{٦٨}: رزق الله، د. مهدي، السيرة النبوية، ص: ٢٩٦

الفصل الثالث: تأسيس الدولة الإسلامية

المؤاخاة :

لما قدم المهاجرون من مكة إلى المدينة لم يكن بأيدي معظمهم شيء لأنهم تركوا أموالهم خلفهم، فأخى النبي ﷺ بين المهاجرين بعضهم بعضاً وبين المهاجرين والأنصار وأخى بينهم على الحق والمواساة ويتوارثون بعد الممات دون ذوي الأرحام وكانوا تسعين رجلاً وخمسة وأربعين من المهاجرين وخمسة وأربعين من الأنصار^{٦٩}.

صحيفة المدينة :

عند ما استقر بالمدينة وأراد أن ينظم العلاقات بين أهل المدينة وكتب كتاباً بهذا الشأن ويسميه الكتاب المحدثون "بالدستور" أو "الوثيقة". يفهم من ذلك كيف نظم رسول الله ﷺ المدينة ونظم الدولة الإسلامية وعلاقتها مع الدول والملل الأخرى وكيف تكون السياسة في الإسلام.

تسمية يثرب بالمدينة وطيبة وطابة :

انه ﷺ كره اسم "يثرب" وسماها بطيبة وطابة والمدينة. فقد روى مسلم عن جابر عبد الله أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن الله تعالى سمى المدينة طابة"^{٧٠}

^{٦٩} : الطبقات، ابن سعد، ص : (٢٣٨/١)
^{٧٠} : مسلم (ح ٧١٣٣)

الفصل الرابع : الغزوات

لم يكن النبي ﷺ والمسلمون آمنين في المدينة، لأن تهديد قريش لا يزال مستمرا. وذلك كان سببا للغزوات والمعارك بينهم، أهمها غزوة بدر الكبرى.

غزوة بدر الكبرى :

عندما سمع رسول الله ﷺ أن أبا سفيان مقبل من الشام في تجارة لقريش قال رسول الله ﷺ لأصحابه : " إني أخبرت عن عير أبي سفيان أنها مقبلة، فهل لكم أن تخرجوا قبل هذه العير، لعل الله يغنمناها؟^{٧١} فخرجوا مع النبي ﷺ. وكان عددهم ما بين الـ ٣١٣ والـ ٣١٧ رجلا^{٧٢}.

عند ما علم أبو سفيان بالخطر بقافلته أرسل ضمضم بن عمرو الغفاري^{٧٣} إلى مكة يستجد بقريش، فخرج قريش مسرعين لإنقاذ عيرهم ورجالهم من المسلمين بقيادة أبي جهل، يريدون حرباً قاضيا على قوة المسلمين. ولم يقدر للمسلمين على أن يدركوا عير أبي سفيان لأنه نجا تاركا الطريق الرئيسي الذي يمر على يسار بدر متوجها إلى طريق الساحل غرباً.

لم يكن في بال المسلمين فكرة عن معركة هائلة ضد المشركين ولم يكونوا مستعدين لها ولكن قدر الله أوصلهم ﷺ إلى حرب شديد ببدر. وأما قريش فكانوا متهينين له. ثم وقعت معركة مخيفة بينهم، أخيراً انهزم المشركون وصارت كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى.

^{٧١} : الهيثمي في المجمع (٧٣/٦ - ٧٤)، وقال "رواه الطبري وإسناده حسن، أنظر 'السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية'،

للدكتور مهدي رزق الله (ص : ٣٣٧)

^{٧٢} : البخاري (٣٩٥٦ - ٣٩٥٩)

^{٧٣} : رزق الله، د. مهدي، السيرة النبوية، ص : ٣٣٨

ومنها غزوة أحد التي وقعت في السنة الثالثة من الهجرة انتقام قريش من المسلمين، تكبد المسلمون فيها خسارة فادحة ووقعت غزوات أخرى منها غزوة الأحزاب.

صلح الحديبية :

خرج النبي ﷺ وأصحابه لأداء العمرة في يوم الإثنين مستهل ذي العقدة من السنة السادسة الهجرة^{٧٤}. وكانوا يخشون اعتداء المشركين من مكة. ولذلك كانوا يحملون أسلحتهم استعدادًا للدفاع عن أنفسهم. وكان عدد من خرج مع النبي ﷺ ألفًا وأربعمائة رجل. فلما وصلوا حديبية أرسل رسول الله ﷺ إلى قريش رسلاً واحدًا بعد واحد للمفاوضة أنه وأصحابه لا يرون الحرب إنما يريدون زيارة البيت الحرام وتعظيمه وهو حق للمسلمين كما هو حق لغيرهم. أخيرًا أرسل إليهم عثمان بن عفان رضي الله عنه، ولكنهم حبسوه وشاعت خبر أنه قتله قريش، فطلب النبي ﷺ من أصحابه أن يبائعوه على الموت عند اللقاء وعدم الفرار فباعوا جميعًا سوى الجد بن قيس لأنه كان منافقًا^{٧٥}، عرفت هذه البيعة بـ "بيعة الرضوان".

أرسل قريش رسلاً إلى النبي ﷺ للمفاوضة حينما علموا أنه ﷺ لا يريد الحرب بل يريد الكعبة، أخيرًا وصل سهيل بن عمرو وصالح مع النبي ﷺ بعد مناقشة طويلة، فرجع النبي ﷺ في ذلك العام ووضع الحرب بينهم طوال عشر سنين ودخل خزاعة مع عقد رسول الله ﷺ وبنو بكر مع عهد قريش^{٧٦}.

كان هذا الصلح سببًا لتوسيع نطاق الدعوة الإسلامية داخل الجزيرة العربية وخارجها، فكتب النبي ﷺ إلى الملوك والأمراء ورؤساء القبائل داعيًا إلى الله ودينه. منهم النجاشي وكان عمرو بن ربيعة حامل الرسالة، وكسرى وكان عبد الله بن حذافة حامل الرسالة، وأمره ﷺ أن يدفعها إلى عظيم البحرين فدفع عظيم البحرين إلى كسرى. فلما قرأها مزقها، ثم كتب إلى قيصر وكان دحية الكلبي حاملها، وأرسل

^{٧٤} : ابن هشام (٤٢٦/٣) / ابن كثير، البداية (١٨٥/٤) / البيهقي، الدلائل (٩٢/٢)

^{٧٥} : مسلم (١٨٥٦)

^{٧٦} : أنظر السيرة النبوية، رزق الله، د. مهدي، ص : ٣٨٩ - ٤٩٠

الرسالات إلى الحارث بن أبي شمر الغساني وهوذة بن علي الحنفي صاحب اليمامة والمنذر بن ساوى العبدى أمير البحرين وجيفر وعبد ابني الجلندى وغيرهم من عظماء العرب وغيرهم^{٧٧}.

ومن الغزوات أيضاً غزوة خيبر بين المسلمين واليهود في السنة السابعة من الهجرة^{٧٨} وفتح مكة التي وقعت في السنة الثامنة من الهجرة^{٧٩}.

غزوة فتح مكة :

كان من ضمن شروط صلح الحديبية أنه من شاء أن يدخل في عقد محمد ﷺ وعهده فليدخل ومن يرد أن يدخل في عقد قريش وعهده فليفعل. فدخلت خزاعة في عهد النبي ﷺ وعقده وبنو بكر في قريش. فمكثوا في تلك الهدنة سبعة عشر أو ثمانية عشر شهراً. ثم إن بني بكر وثبوا على خزاعة ليلاً بماء يقال له : "الوتير" فأعان قريش بني بكر ضد حليف المسلمين خزاعة^{٨٠}. وكان ذلك نقض على عهد الحديبية فاستتجد خزاعة النبي ﷺ.

خرج النبي ﷺ وأصحابه من المدينة في طريقهم إلى مكة في رمضان سنة ثمان من الهجرة. قبل دخوله بمكة جاء بعض زعماء قريش وأعلنوا إسلامهم منهم ابن عم النبي ﷺ أبو سفيان بن الحارث وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة وأبو سفيان بن حرب وغيرهم^{٨١}. وبعد قتال ومقاومة يسيرة غلب النبي ﷺ على مكة وتسلق بلال بن رواح على ظهر الكعبة وأذن ثم طهر النبي ﷺ الكعبة من الأصنام. ثم حارب النبي ﷺ وأصحابه على من جاور المدينة ومكة منها غزوة حنين والطائف وتبوك وغيرها، وبعد هذه الغزوات كانت جزيرة العرب في سلطان النبي ﷺ وحكمه.

^{٧٧} : رزق الله، د. مهدي، السيرة النبوية، ص : ٥١٣ - ٥٢٢

^{٧٨} : ابن هشام (٤٥٥/٣)

^{٧٩} : رزق الله، د. مهدي، السيرة النبوية، ص : ٥٦٠

^{٨٠} : ابن كثير، البداية، ص : (٣٠٩/٤ - ٣١٠)

^{٨١} : رزق الله، د. مهدي، السيرة النبوية، ص : ٥٦١

الفصل الخامس: حجته ووفاته ﷺ

حج النبي ﷺ في العام العاشر من الهجرة^{٨٢}. عرفت هذه الحجة بحجة الوداع لأنه ﷺ ودع الناس فيها ولم يحج بعدها. ومن أشهر خطبه في هذه الحجة تلك الخطبة التي ألقاها في وسط أيام التشريق ومما قاله فيها: " إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، ألا إن كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي هاتين موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة... وربما الجاهلية موضوعة... وإني تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة رسوله...^{٨٣} ولا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض...^{٨٤}."

بين في حجته كيفيتها واضحة بأقواله وأفعاله وقال: "خذوا عني مناسككم" وفي خطبته في الحج مسائل كثيرة، وقد لخص الألباني فقه حجة الوداع في اثنين وسبعين مسألة^{٨٥}.

مرضه ووفاته :

اشتكى النبي ﷺ بعد عودة من حجة الوداع في ليال بقين من صفر أو أول شهر ربيع الأول من العام الحادي عشر الهجري^{٨٦}، ثم اشتد المرض فدعا نسائه فاستأذنهن في أن يمرض في بيت عائشة رضي الله عنها واستغرق مرضه عشرة أيام ثم توفاه الله يوم الاثنين في الثاني عشر من ربيع الأول قد تم له من العمر ثلاثة وستون عاماً^{٨٧}.

يوم أن زادت درجة حرارة جسمه طلب أن يصب عليه سبعة قرب من ماء حتى يخرج للناس فيعهد إليهم ففعلوا. ثم خرج إلى المسجد وخطب الناس. وقال في آخر

^{٨٢} : ابن القيم، زاد المعاد، ص: (٥٩٥/٣)

^{٨٣} : مسلم (ح ١٢١٨)

^{٨٤} : البخاري (ح ٤٤٠٣) / مسلم (ح ٦٥ - ٦٦)

^{٨٥} : رزق الله، د. مهدي، السيرة النبوية، ص: ٦٨٣

^{٨٦} : نفس المرجع (ص: ٦٨٧)

^{٨٧} : البخاري (٤٤٦٦)

خطبته : " إن عبدًا من عباد الله خيره الله بين الدنيا وبين ما عند الله، فاختار ما عند الله"، قال الراوي : " فبكى أبو بكر رضي الله عنه فعجبوا لبيكائه فكان المخير رسول الله ﷺ وكان أبو بكر أعلمهم بذلك"^{٨٨}.

وقبل يوم من وفاته أعتق غلمانه وتصدق بدينار – ما بين التسعة والسبعة – كانت عنده وقال: " لا نورث ما تركنا صدقة"^{٨٩} وكانت وفاة النبي ﷺ في يوم الاثنين حتى اشتد الضحى، ثم انتقل إلى جوار ربه ، وأن أبا بكر الصديق رضي الله عنه هو الذي أعلن خبر وفاته^{٩٠}. وفي يوم الثلاثاء وهو اليوم التالي لوفاته غسلوا رسول الله ﷺ في ثيابه ثم كفنوه ثم حفروا له لحدا في حجرة عائشة رضي الله عنها وصلى عليه الناس أرسالا أرسالا^{٩١}، يدخلون من باب فيصلون عليه ثم يخرجون من باب آخر لا يؤمهم أحد ثم دفنوه في ليلة الأربعاء^{٩٢}.

إنا لله وإنا إليه راجعون !

^{٨٨} : نفس المرجع (٤٤٣٧-٤٤٣١) / مسلم (١٦٣٧)

^{٨٩} : نفس المرجع (٦٧٢٦ ، ٦٧٢٨ ، ٦٧٣٠)

^{٩٠} : البخاري (٤٤٥٢ - ٤٤٥٤)

^{٩١} : الرسل ج أرسلال، الجماعة من الناس، المعجم الوسيط (ص: ٣٦٨)

^{٩٢} : أحمد، الفتح الرباني (٢٥٣/٣٢١-٢٥٤) / ابن سعد (٢٨٨/٢-٢٩٢) / ابن هشام (٤١٨/٤)

الفصل السادس : شمائل الرسول ﷺ

لقد تميز الرسول بصفات خلقية وأخلاقية كثيرة. فأخلاقه ﷺ لا بد لكل مسلم اتباعها. ومن أبرز هذه الصفات النقشف في الطعام، والفراش، وكان متواضعاً ولا يكلف أحداً إلا وسعه ولا يعيب أحداً، وكان أحب الناس وأشجعهم وألينهم جانباً، وأشد حياءً من العذراء من خدرها، وكان بالمؤمنين رءوف رحيم، يحب الرفق ولا يعجل ويمسك الغضب حليماً، ويحسن إلى الجيران ولا يسيئهم، يرحم الصغير ويوقر الكبير، يوصي بالإناث للرحمة بهن، وكان زوجاً مثالياً وأباً كريماً حاكماً عادلاً واصل الرحم ولا يعيب الطعام ويستحب مدحه يبشر بالجنة وينذر عن النار ميسراً في النصيحة ولا يعسرهم يبشرهم ولا ينفرهم.

"وفي وصف جوامع خلقه وخلقته نورد الحديث الذي رواه الترمذي في الشمائل عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: سألت خالي هند ابن أبي هالة، وكان وصافاً حلية النبي ﷺ وأنا أشتهى أن يصف لي منها شيئاً أتعلق به فقال: كان رسول الله ﷺ فخماً مفخماً، يتلألاً وجهه تلالؤ القمر ليلة البدر، أطول من المربع وأقصر من المشذب، عظيم الهامة، رجل الشعر، إن انفرت عقيقته فرقها، وإلا فلا يجاوز شعره شحمة أذنيه إذا هو وفره، أزهر اللون، واسع الجبين، أزج الحواجب سوابع في غير قرن، بينما عرق يدره الغضب، أفضى العرنين، له نور يعلوه، يحسبه من لم يتأمله أشم، كث اللحية، سهل الخدين، ضليع الفم، مفلح الأسنان، دقيق المسربة، كأن عنقه جيد دُمية، في صفاء الفضة، معتدل الخلق بادن متماسك، سواء البطن والصدر عريض الصدر، بعيد ما بين المنكبين، ضخم الكراديس، أنور المتجرد، موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط، عاري الثديين والبطن ما سوى ذلك، أشعر الذراعين والمنكبين وأعالي الصدر، طويل الزندين، رحب الراحة، شثن الكفين والقدمين سائل الأطراف، أو قال : شائل الأطراف حُصان الأخصيين، مسيح

القدمين ينبو عنهما الماء، إذا زال زال قلعاً تخطو تكفيا ويمشي هوناً، ذريع المشية، إذا مشى كأنما ينحط من صبيب وإذا التقت التفت جميعاً، خافض الطرف، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء، جل نظره الملاحظة يسوق أصحابه، ويبدر من لقي بالسلام".

قال، فقلت : صف لي منطلق رسول الله ﷺ ، قال: " كان رسول الله ﷺ متواصل الأحزان، دائم الفكرة ليست له راحة، طويل السكت، لا يتكلم في غير حاجة، يفتح الكلام ويختمه باسم الله تعالى، ويتكلم بجوامع الكلم، كلامه فصل، لا فضول ولا تقصير ".

"ليس بالجافي ولا مهين، يعظم النعمة، وإن دقت، لا يذم منها شيئاً، غير أنه لم يكن يذم ذواقاً ولا يمدحه. ولا تغضبه الدنيا ولا ما كان لها، فإذا تعدي الحق لم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له، ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر له. إذا أشار أشار بكفه كلها، وإذا تعجب قلبها، وإذا تحدث اتصل بها، وضرب براحته اليمنى بطن إبهامه اليسرى، وإذا غضب أعرض وأشاح، وإذا فرح غض طرفه، جل ضحكه التيسم، يفتر عن مثل حب الغمام" ٩٣.

قال الحسين بن علي رضي الله عنهما : " سألت أبي عن سيرة النبي ﷺ في جلسائه، فقال : " كان رسول الله ﷺ دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مشاح. يتغافل عما لا يشتهي ولا يؤيس منه راجيه ولا يخيب فيه" ٩٤.

هذه السمائل التي ذكرناها هي نقطة من بحر، لأنه ما من خصلة حميدة ذكرت في القرآن أو الحديث إلا وكان رسول الله ﷺ يتصف بها، وهو أول العاملين بها، وهي خصال يصعب جمعها في فصل من كتاب، وقد حاول الترمذي ٩٥ والبيهقي ٩٦ وأبو

٩٣: رزق الله، د. مهدي، السيرة النبوية، ص: ٧٢٩-٧٣٠

٩٤: نفس المرجع (ص: ٧٣٢)

٩٥: اسم كتابه السمائل

الشيخ^{٩٧} وابن المقرئ^{٩٨} والفيروزآبادي^{٩٩} والمستغفري^{١٠٠} وجعفر بن حبان الأصبهاني^{١٠١} والبيهقي^{١٠٢} وغيرهم أن يفرد كل منهم كتاباً جمع فيه جانباً كبيراً من هذه الشرائع. وحاول ابن القيم^{١٠٣} أن يستقصى كل ما ينبغي معرفته عن النبي ﷺ وأحواله.

ومن أجل وأنفس ما ألف في الشرائع كتاب 'الأنوار في شرائع النبي المختار' من تأليف الحسين بن مسعود البهقي المتوفى سنة ٥١٦ هـ ، جمع فيه مؤلفه سبعة وخمسين ومائتين وألفاً من الأحاديث والآثار التي تتعلق بالسرائع. وكتاب الأنوار هو المرجع الأهم الأول في التعرف عن كيفية أخذ تلك الشرائع من مظانها ومن مواطنها.

ومما يجدر بالذكر والإشارة، إشارة خاصة عن منطقة ﷺ وفصاحته، يجث عنها كثير من العلماء مثل الجاحظ والرافعي وإبراهيم طه الجعلي وغيرهم.

سيد البيان :

والمقصود هنا بالبيان والفصاحة منطقة ﷺ الذي يعبر عن سنته بأسلوب بلغ الغاية في البيان البشري، مما لا جدال أن البشر يتفاوتون في البيان عما في نفوسهم من معاني وأحاسيس، على قمة هذا البيان البشري يتربع البيان النبوي بدون منازع، يليه البيان العربي شعره ونثره. يقول إبراهيم طه الجعلي :

"فرسول الله ﷺ اختص بالعصمة من الزلل في استعمالات اللغة، فلا يعرض لبيانه ما يعرض لبيان غيره من الجموح في العبارة، أو الإسفاف في الدلالة، أو النقص في التشبيه، أو العرج في التمثيل أو التطويل الممل، أو الإيجاز المخلّ إلى غير ذلك من

^{٩٦} : كتابه الأدب
^{٩٧} : أخلاق النبي ﷺ وآدابه
^{٩٨} : النور الساطع
^{٩٩} : سفر السعادة
^{١٠٠} : شرائع النبي ﷺ
^{١٠١} : أخلاق النبي ﷺ
^{١٠٢} : الأنوار في شرائع النبي المختار
^{١٠٣} : زاد المعاد في هدي العباد

أوجه القصور، فإن ذلك يكون عند كذب العاطفة أو نقص الشعور أو التباس المعاني أو الجهل باللغة، ورسول الله ﷺ معصوم من كل ذلك، لان هذه النقائص تؤثر في البلاغ وتعوقة عن أداء الرسالة^{١٠٤}.

يدل على تفوق البيان النبوي على بيان الأنام ما يقول الباقلاني في كتابه "إعجاز القرآن" : إن امرؤ القيس يعد أشعر الشعراء الجاهليين ولكن يوجد في شعره المشهور (المعلقة) عيوب كثيرة^{١٠٥}، وأما في الكلام النبوي لا يوجد خطأ ولا عيب قط. إن تفوق البيان النبوي على سائر البيان البشري ممكن أنه مستقل برأسه وهو كما قال الشاعر المتنبي عن ممدوحه:

فإن تفق الأنام وأنت منهم فإن المسك بعض دم الغزال

كيف صار النبي ﷺ على قمة البيان البشري؟

١ - الفطرة النقية :

قد يهب الله بعض خلقه النبوغ والعبقرية فيكون الواحد منهم نقي الفطرة حاضر البديهة واعي القلب، فصيح اللسان، أنه ﷺ قد بلغ الغاية من سلامة الفطرة ونقاء القلب وذكاء الذهن وتوقد الخاطر مما لم يبلغه غيره من الناس، يقول الجعلي: فرسول الله ﷺ ذو بصر نافذ، وذهن متقد ونفس نقية وحس صاف وقد استمر له ذلك على الدوام مما ساعده على تصريف الكلام، توليد المعاني واشتقاق المباني فنطق بما يعتبر جديدا في بابه مثل قوله ﷺ "مات حتف أنفه" و "الآن حمي الوطيس"^{١٠٦}.

٢ - البيئة العربية :

نشأ رسول الله ﷺ في بني هاشم في قلب قريش، وقد أناخت اللغة العربية بواديهم وسلمت مقادتها لهم لأنهم سدنة البيت الحرام وسقاة الحجيج وكان للعرب أسواق،

^{١٠٤} أضواء على البلاغة النبوية (ص: ١٤)، د. إبراهيم طه الجعلي- مكتبة الرشد- الرياض، الطبعة الثانية ٢٠٠٧م.
^{١٠٥} الباقلاني- إعجاز القرآن (ص: ٢١٤-٢٣٤)
^{١٠٦} الجعلي- أضواء على البلاغة النبوية (ص: ٥٢)

وكانت تجارتهم الرائجة في هذه الأسواق الأدب العالي من الشعر والخطابة، وكانت رضاة رسول الله ﷺ في قبيلة بني سعد وهي بإجماع الرواة قد اقتصت بين قبائل العرب بالفصاحة وحسن البيان، وكذلك هجرته إلى يثرب ومخالطته بالأوس والخزرج هدّب لغته ووسعه، حتى قاله ﷺ " أنا أفصح العرب، بيد أني من قريش ونشأت في بني سعد بن بكر".

٣ - المنحة الإلهية :

قال النبي ﷺ "أعطيت جوامع الكلم"، وهذا يدل دلالة قاطعة على أن البيان الجامع الذي أوتيّه ﷺ كان منحة إلهية وهدية ربانية، مصداقا لقوله تعالى: "وعلمك ما لم تكن تعلم، وكان فضل الله عليك عظيما" (النساء ١١٣)، أن الله عز وجل قد أيدّه بالتوفيق فألهمه اللغة ووافقه على أسرارها فكان ﷺ يخاطب كل قوم بلغتهم وعلى مذهبهم.

وقد عجب الصحابة من بلاغته، فهذا أبو بكر رضي الله عنه يقول له: "يا رسول الله قد طفت العرب وسمعت فصاحهم فما سمعت أفصح منك، فمن أدبك - أي علمك؟" فقال ﷺ: "أدبني ربي فأحسن تأديبي"^{١٠٧}.

٤ - النفحة القرآنية :

وقد كان معظم النابهين من الشعراء رواة لغيرهم إلى أن تتأصل ملكة البيان في نفوسهم فيقبلون على قرض الشعر وينبغون فيه، فالرسول ﷺ قد تأثر بالقرآن الكريم وبلاغته، لذلك جاء بيانه ﷺ تاليا لبيان القرآن الكريم مع بُعد ما بين البيانيين، فالحديث النبوي وإن كان قد ارتقى في سلم البيان والبلاغة إلى درجة عالية إلا أنه جاء على طريقة العرب.

^{١٠٧} انظر أضواء على البلاغة (ص: ٥٦،٥٥)

البلاغة النبوية في آراء القدماء والمحدثين:

قد أشرنا عما قال أبو بكر رضي الله عنه عن فصاحة النبي ﷺ وما وصف هند بن أبي هالة عنها، قالت أم معبد الخزاعية عن النبي ﷺ "..... حلو المنطق، فصل لا نزر ولا هذر، كأن منطقه خرزات نظم يتحدرن..."^{١٠٨}.

قال الجاحظ: " هو الكلام الذي قل عدد حروفه وكثر عدد معانيه، وجل عن الصنعة ونزه عن التكلف..... وهو الكلام الذي ألقى الله عليه المحبة وغشاه بالقبول، وجمع له بين المهابة والحلاوة، وبين حسن الإفهام وقلة عدد الكلام، مع استغنائه عن إعادته، وقلة حاجة السامع إلى معاودته، لم تسقط به كلمة، ولا زلت به قدم.....

ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعاً، ولا أقصد لفظاً ولا أعدل وزناً ولا أجمل مذهباً ولا أكرم مطلباً ولا أحسن موقفاً ولا أسهل مخرجاً ولا أفصح معنى ولا أبين في فحوى من كلامه ﷺ"^{١٠٩}.

أما في العصر الحديث يقول مصطفى صادق الرافعي عن بلاغته ﷺ: " هذه هي البلاغة الإنسانية التي سجدت الأفكار لآياتها وخسرت العقول دون غايتها، لم تصنع وهي من الإحكام كأنها مصنوعة ولم يتكلف لها وهي على السهولة بعيدة ممنوعة.

محكمة الفصول حتى ليس فيها عروة مفصولة محذوفة الفضول حتى ليس فيها كلمة مفصولة وكانما هي في اختصارها وإفادتها نبض قلب يتكلم، وإنما هي في سموها وإجادتها مظهر من خواطره ﷺ"^{١١٠}.

فالجاحظ والرافعي وهما يتفقان على هذه النقاط التالية في البلاغة النبوية^{١١١}.

^{١٠٨} البغوي في شرح السنة، رقم الحديث (٣٧٠٤) وفي الأنوار في شمائل النبي المختار - تحقيق إبراهيم يعقوبي الجزء الأول ص: ٣٤٠

^{١٠٩} البيان والتبيين، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ص: ١٧-١٨) الجزء الثاني، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، الطبعة الرابعة ١٣٩٥ هـ ١٩٧٥ م، مكتبة الخانجي بالقاهرة.

^{١١٠} إعجاز القرآن والبلاغة النبوية (ص: ٢٧٩-٢٨٠) مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت (١٤١٠ هـ ١٩٩٠ م)

^{١١١} أضواء على البلاغة النبوية (ص: ٨٤٠)

- ١ . الوجازة في المنطق النبوي
- ٢ . البعد عن التكلف
- ٣ . جزالة الألفاظ وإحكام الأساليب
- ٤ . الصدق في القول ناشئ عن الصدق في العاطفة
- ٥ . تفوق البيان النبوي على سائر البيان البشري

من روائع البيان النبوي:

- ١ . إياكم وخضراء الدمن

هذا القول الكريم يحمل على أحد هذين المعنيين.

فالأول: أنه ﷺ ينهى عن نكاح المرأة بناء على ما هي عليه من ظاهر الحسن مع أن منبتها كان في بيت سوء، والثاني: أنه ينهى عن الأخذ بالمظاهر والاعتراض بالظاهر.

- ٢ . الآن حمي الوطيس: (قاله ﷺ يوم حنين حينما اشتدت الحرب).

- ٣ . المضعف أمير الركب

- ٤ . حبك الشيء يعمى ويصم

- ٥ . المؤمن مرآة أخيه

هذه قطرة من قطرات البيان النبوي وحينما نعمن النظر في بيانه نرى فيها الخصائص الآتية :

- ١ . الوجازة في المنطق
- ٢ . الدقة في التصوير
- ٣ . الجمال في التنغيم الصوتي
- ٤ . امتداد القصة النبوية للقصص القرآني
- ٥ . تربع البيان النبوي على قمة البيان البشري

فبيان النبي ﷺ العظيم الذي وصل إليها يعرف بأحاديثه أو سننه ﷺ، وراء جمع هذه الأحاديث وتدوينه جهود جبارة من عند العلماء المحدثين.

الفصل السابع : السنة النبوية

السنة في اللغة السيرة حسنة كانت أو سيئة^{١١٢}.

وإذا أطلقت في الشرع فإنما يراد بها ما أمر النبي ﷺ ونهى عنه، وندب إليه قولاً وفعلاً، ولهذا يقال في أدلة الشرع الكتاب والسنة أي القرآن والحديث.

السنة في الشرع :

"السنة في اصطلاح المحدثين هي كل ما أثر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير، أو صفة خلقية أو خلقية أو سيرة أكان ذلك قبل البعثة كتحنثه في غار حراء أو بعدها. والسنة بهذا المعنى مرادفة للحديث النبوي^{١١٣}.

أما القول فهو أحاديث النبي ﷺ التي قالها في مختلف الأغراض والمناسبات، فترتب على ذلك حكم شرعي كقوله ﷺ "لا ضرر ولا ضرار"^{١١٤}، و"هو الطهور ماؤه والحل ميتته"^{١١٥}، وغيرهما.

^{١١٢} د. محمد عجاج الخطيب، السنة قبل التدوين - (ص: ١٤) الطبعة الخامسة (١٤٠١هـ، ١٩٨١م) دار الفكر، بيروت، لبنان/ عبد الحق الدهلوي، عون المغيبي في حل مقدمة في مصطلح الحديث (ص: ٣٣) ٢٠٠٦ م - اتحاد بكد بو ديوبند.

^{١١٣} نفس المرجع (ص: ١٦)

^{١١٤} سبل السلام ص ٨٤ ج ٣ روه الإمام أحمد وابن ماجه.

^{١١٥} نفس المرجع ص ١٤ ج ١ وقد أخرجه الأربعة وأبو بكر بن أبي شيبة.

وأما فعله فهو أفعال النبي ﷺ التي نقلها إلينا الصحابة، مثل أدائه الصلوات الخمس بهيئاتها وأركانها..... وأما التقرير فكل ما أمره الرسول ﷺ مما صدر عن بعض أصحابه من أقوال وأفعال بسكوت منه وعدم إنكار أو موافقته وإظهار استحسانه وتأييده، فيعتبر ما صدر عنهم بهذا الإقرار والموافقة عليه صادراً عن الرسول ﷺ، ومن ذلك ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أنه خرج مع رجل في سفر، وليس معهما ماء، فحضرت الصلاة فتيما صعيدا طيباً، فصليا ثم وجدا الماء في الوقت، فأعاد أحدهما الصلاة والوضوء ولم يعد الآخر، ثم أتيا رسول الله ﷺ وذكر ذلك له، فقال للذي لم يعد: "أصبت السنة"، وقال للآخر: "لك الأجر مرتين" ^{١١٦}.

منزلة الحديث:

الحديث النبوي هو المصدر الثاني للشريعة الإسلامية بعد كتاب الله ^{١١٧}، وهو الشرح والبيان للقرآن العظيم، قال تعالى: "وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلمهم يتفكرون" ^{١١٨} و "وما أنزل عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون" ^{١١٩}.

فكثيرا ما كانت تنزل آيات القرآن مجملة تحتاج إلى شرح، وتوضيح وبيان المقصود منها، فكان النبي ﷺ يتولى بيان ذلك. فمثلا جاء الأمر في القرآن بالصلاة ولم يبين عدد ركعاتها ولا كيفيتها ولا أوقاتها فبين الحديث ذلك. وكانت تقع كثير من الحوادث التي لم يتعرض لها القرآن. فكان النبي ﷺ يبين حكمها، لأنه المبلغ عن ربه وأدى الخلق بمقاصد الشريعة وأهدافها.

^{١١٦} سبل السلام ص: ٩٧ ج ١، رواه أبو داود والنسائي (السنة قبل التدوين ص: ١٧)
^{١١٧} حاكم عبيسان المطيري، تاريخ تدوين السنة وشبهات المستشرقين، لجنة التأليف والتعريب والنشر جامعة الكويت ٢٠٠٢م، ص: ٧
^{١١٨} الآية ٤٤ من سورة النحل.
^{١١٩} الآية ٦٤ من سورة النحل.

وجوب العناية بالحديث:

لهذا أوجب الله عز وجل على المسلمين إطاعة النبي ﷺ وجعل طاعته من طاعة الله فقال تعالى: "من يطع الرسول فقد أطاع الله"^{١٢٠}، فكان الصحابة يرجعون إلى النبي ﷺ ليفسر لهم أحكام القرآن ويحكم بينهم في المنازعات ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطبييات ويحرم عليهم الخبائث وكانوا يتبعونه في كل أمر ويلتزمون حدوده إلا ما علموا أنه خاص به ﷺ.

الحديث في عصر النبي ﷺ :

ولهذا كان اهتمام الصحابة بالحديث اهتماماً بالغاً، وعنايتهم به عناية عظيمة، وبلغ من حرصهم على تتبع أقوال النبي ﷺ وأفعاله أنهم كانوا يتناوبون ملازمة مجلس النبي ﷺ حتى لا يفوتهم شيء.

روى البخاري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: "كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد - وهي عوالي المدينة - وكنا نتناوب النزول على رسول الله ﷺ، ينزل يوماً وأنزل يوماً، فإذا نزلت جنته يخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره، وإذا نزل هو فعل مثل ذلك"^{١٢١}. بل كان الصحابة يقطعون المسافات الطويلة ليسألوا رسول الله ﷺ عن حكم شرعي ثم يعودون. كما ذهب عقبه بن الحارث من مكة إلى المدينة ليسأل عن حكم زواج الأخت من الرضاعة. وكانت النساء يسألن زوجات النبي ﷺ في الأمور الخصوصية التي تستحيي المرأة أن تسأل فيها رسول الله ﷺ^{١٢٢}.

^{١٢٠} الآية ٧٠ من سورة النساء.

^{١٢١} فتح الباري، ص: ١٩٥ ج ١، انظر السنة قبل التدوين ص: ٥٩

^{١٢٢} مصطلح الحديث ليوסף القرضاوي ص: ١٦

عصر الصحابة والتابعين:

وكذلك كانت عناية المسلمين بالحديث، من التثبت في نقله والاحتياط التام في قبوله والرحلة إلى الأمصار في طلبه - بعد وفاة النبي ﷺ. فقد رحل أبو أيوب الأنصاري من المدينة إلى مصر يتأكد من حديث بلغه: "أن عقبة بن عامر سمعه من رسول الله ﷺ". ورحل جابر بن عبد الله الأنصاري على علو منزلته وصحبته لرسول الله ﷺ إلى مصر ليسأل عقبة أيضاً عن حديث واحد^{١٢٣}.

وقد قام التابعون وأتباعهم بجهد عظيم في العناية بالحديث، حتى لقد كان الواحد منهم يسافر من بلده إلى بلد آخر ليسمع حديثاً من صحابي سمعه من رسول الله ﷺ. وفي هذا يروى عن أبي العالية قوله: "كنا نسمع الرواية عن أصحاب رسول الله ﷺ بالبصرة، فلم نرض حتى ركبنا إلى المدينة فسمعناها من أفواههم"^{١٢٤}.

كان ذلك شأن الصحابة والتابعين في الاهتمام بحديث رسول الله ﷺ والعناية به، حتى نشبت الفتنة في عهد عثمان رضي الله عنه وشاعت الفوضى واضطربت الأمور في الدولة، وانقسم المسلمون إلى طوائف، ووجد في كل طائفة جماعة من الغلاة والمتعصبين قاموا بوضع أحاديث يؤيدون بها موقفهم، وكان من وراء ذلك أن نسب إلى رسول الله ﷺ آلاف الأحاديث التي لم تصدر عنه.

فلما هدأت الفتنة ونظر المسلمون في الحديث وجدوه قد اختلط بالموضوعات، فأخذوا في تنقيته منها وقاموا بتمييز الحديث المقبول من غيره، ووضع علماء الحديث لذلك أدق القواعد والأصول في تحقيق الأخبار وتمحيصها مما لم يعرف عند أمة من الأمم.

^{١٢٣} السنة قبل التدوين ص: ١٧٧
^{١٢٤} نفس المرجع ص: ١٧٨

تدوين الحديث :

اختلف السلف من الصحابة والتابعين في كتابة الحديث، فكرها طائفة، منهم: ابن مسعود وزيد بن ثابت وابن عباس وغيرهم، وأباحها طائفة وفعلوها، منهم: علي بن أبي طالب وابن عمر وعمر بن عبد العزيز وغيرهم. قال ابن الصلاح: "ولولا تدوينه في الكتب لدرس في الأعصر الأخيرة"^{١٢٥}.

وجاء في الإباحة والنهي حديثان، فحديث النهي ما رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري قال: "لا تكتبوا عني شيئاً إلا القرآن ومن كتب عني شيئاً غير القرآن فليمحاه"^{١٢٦}، وحديث الإباحة ما رواه البخاري: "اكتبوا لأبي شاه"^{١٢٧}.

قال أبو هريرة: "ليس أحد من أصحاب النبي ﷺ أكثر حديثاً عليه مني إلا ما كان من عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب ولا يكتب" - رواه البخاري^{١٢٨}. وإن ابن عمر كان يكتب كل شيء سمعه من الرسول ﷺ في حال رضاه وسخطه.

وقد اختلف في الجمع بينها وبين الحديث السابق، يقول الإمام النووي: "فالإذن لمن خيف نسيانه والنهي لمن أمن وخيف أنكاله أو نهى حين خيف اختلاطه بالقرآن وأذن حين أمن"^{١٢٩}.

يقول السيوطي في تنوير الحوالك شرح موطأ الأمام مالك: "أخرج الهروي في ذم الكلام من طريق الزهري قال: أخبرني عروة بن الزبير أن عمر بن الخطاب أراد أن يكتب السنن واستشار فيه أصحاب رسول الله ﷺ فأشار عليه عامتهم بذلك فلبث شهراً يستخير الله في ذلك شاكاً فيه ثم أصبح يوماً وقد عزم الله له فقال: إني كنت ذكرت لكم من كتاب السنن ما قد علمتم ثم تذكرت فإذا أناس من أهل الكتاب من قبلكم قد

^{١٢٥} مناع القطان ص: ٩٥، تاريخ الإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة الثامنة ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م.
^{١٢٦} رواه مسلم، انظر "الحديث والمحدثون" لمحمد أبو زهر ص: ١٢٢ طبعت ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤ م، الرسالة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - الرياض / مناع القطان ص: ٩٤
^{١٢٧} نفس المرجع ص: ١٢٣ / مناع القطان ص: ٩٤
^{١٢٨} انظر نفس المرجع ص: ١٢٣ / مناع القطان ص: ٩٦
^{١٢٩} جلال الدين السيوطي، تدريب الراوي في شرح تقرير النواوي حقه وراجع أصوله عبد الوهاب عبد اللطيف ص: ٦٥، ٦٧، مكتبة الرياض الحديثة.

كتبوا مع كتاب الله كتباً فكبوا عليها وتركوا كتاب الله واني والله لا ألبس كتاب الله بشيء، فترك كتابة السنن" ١٣٠ .

روى الحافظ الذهبي في تذكرة الحفاظ أن أبا بكر رضي الله عنه كان يمنع الناس عن رواية الحديث وكذلك عمر رضي الله عنه إذا قال حديثاً يطلب منه شاهدين على قوله وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يطلب من الراوي أن يحلف^{١٣١} .

فلم يدون الحديث في عهد رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدين للأسباب التالية:

١. اهتمام الرسول وصحابته من بعده بالقرآن الكريم وتوفيرهم على حفظه، وتلاوته ودراسته صرفهم عن الاهتمام بتدوين الحديث.
٢. كان تدوين الحديث على كثرته يحتاج إلى تفرغ عدد كثير من الصحابة، فقد كان الكاتبون قليل العدد وكانت وسائل الكتابة عسيرة.
٣. إنهم نهوا في أول الأمر عن كتابة الحديث خشية أن يختلط بعد ذلك بالقرآن.
٤. وكانوا لأمنيتهم يعتمدون على ذاكرتهم وحدها ولم يخطر ببال أحد انتشار الكذب على رسول الله ﷺ.
٥. الخوف من انصراف المسلمين عن كتاب الله والعناية به، والتوفر على حفظه ودراسته إلى الحديث.

لهذه الأسباب وغيرها لم يدون الحديث في عهد رسول الله ﷺ والصدر الأول للإسلام، ومع ذلك فقد كان هناك أفراد يكتبون في مذكرات خاصة بهم بعض ما يسمعون من رسول الله ﷺ، كصحيفة عبد الله بن عمرو بن العاص التي كان يسميها "الصادقة" ١٣٢ .

^{١٣٠} محمد الخضري بك، تاريخ التشريع الإسلامي، ص: ١٠٩ - الطبعة السابعة ١٩٦٠م المكتبة التجارية الكبرى - مصر/ تاريخ التشريع الإسلامي لمناع القطان ص: ٢٢١، الطبعة الثامنة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م، مؤسسة الرسالة، بيروت.
^{١٣١} نفس المرجع ص: ١٠٨-١١٠ / السنة قبل التدوين ص: ١١٦
^{١٣٢} مناع القطان ص: ٩٥ هذه أشهر الصحف المكتوبة في العصر النبوي.

وثبت أنه كان عند علي بن أبي طالب رضي الله عنه صحيفة فيها أحكام الدينة على العاقلة وغيرها، وثبت أن النبي ﷺ كتب بعض عماله كتباً حددت فيها مقادير الزكاة في الإبل والغنم، إلا أن ذلك في الواقع لم يكن تدويناً رسمياً^{١٣٣}.

أول تدوين رسمي للحديث :

المشهور أن أول تدوين رسمي للحديث النبوي الشريف كان في عهد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، فهو أول من أمر بكتابة الحديث وجمعه، فقد كتب إلى أبي بكر بن عمرو بن حزم: "أن انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ فاكتبه لي، فإني خفت درس العلم وذهاب العلماء". وكتب إلى ولاة الأمصار وكبار علمائها: "أن انظروا حديث رسول الله ﷺ فاجمعوه"^{١٣٤}.

وكان الأمام محمد بن مسلم بن شهاب الزهري (المتوفى سنة ١٢٤هـ) أول من استجاب له في حياته، وحقق رغبته، فكتب في ذلك كتاباً بعث منه عمر بن عبد العزيز إلى كل الجهات^{١٣٥}.

تتبع الرواة إلى تصنيف الأحاديث وتدوينها من أوائل القرن الثاني من الهجرة، ومعنى تصنيفها ضم الأحاديث الواردة في نوع واحد في الموضوع بعضها إلى بعض كأحاديث الصلاة وأحاديث الصيام وما شاكل ذلك. وجدت هذه الفكرة في جميع الأمصار الإسلامية في أوقات متقاربة، فكان من مدوني الطبقة الأولى من هذا الدور الإمام مالك بن أنس بالمدينة (المتوفى سنة ١٧٩هـ)^{١٣٦} وعبد الملك بن عبد العزيز بن جريج بمكة (المتوفى سنة ١٥٠هـ) وسفيان الثوري بالكوفة وحماد بن سلمة وسعيد بن عروة بالبصرة وهشيم بن بشير بواسط وعبد الرحمن الأوزاعي بالشام ومعمربن راشد باليمن وعبد الله بن المبارك بخراسان وجريير بن عبد الحميد

^{١٣٣} مصطلح الحديث، ليوسف القرضاوي ص: ٢٠/مناع القطان ص: ٩٧

^{١٣٤} صحيح البخاري، باب كيف يقبض العلم.

^{١٣٥} السنة قبل التدوين ص: ٤٩٤، لمحمد عجاج الخطيب، الطبعة الخامسة ١٤٠١هـ ١٩٨١م، دار الفكر، بيروت لبنان/تاريخ التشريع الإسلامي- لمناع القطان ص: ٢٢٢

^{١٣٦} الموطأ

بالري، وكان ذلك في سنة بضع وأربعين ومائة، وكان الحديث في هذه الكتب ممزوجًا بأقوال الصحابة والتابعين كما نرى ذلك في موطأ الإمام مالك رحمه الله^{١٣٧}.

رأت طبقة ثانية بعد هؤلاء أن يفرد حديث رسول الله ﷺ عن غيره وذلك على رأس المائتين، فألفوا ما يعرف بالمسانيد مثل مسند عبد الله بن موسى الكوفي ومسدد بن مسرهد البصري وأسد بن موسى المصري ونعيم بن أحمد الخزاعي وإسحق بن راهويه وعثمان بن أبي شيبة والإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنهم. أثبت هؤلاء الأحاديث في مساند رواتها فيذكرون مسند أبي بكر الصديق ويثبتون فيه كل ما روي عنه ثم يذكرون بعده الصحابة واحدًا بعد واحد على هذا النسق، وقد وصل إلينا من هذه المساند مسند الإمام أحمد بن حنبل.

عصر الازدهار :

جاء بعد هذه الطبقة طبقة أخرى رأت ما أمامها من هذه الثروة العظيمة ففتح أمامها باب الاختيار، وفي طليعة هذه الطبقة الإمامان الجليلان محمد بن إسماعيل البخاري المتوفى سنة ٢٥٦هـ ومسلم بن الحجاج النيسابوري المتوفى سنة ٢٦١هـ، صنفا صحيحيهما بعد أن دققا في الرواية والاختيار فكان إليهما المنتهى في ذلك وحذا حذوهما أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني المتوفى سنة ٢٧٥هـ وأبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي المتوفى سنة ٢٧٩هـ ومحمد بن يزيد القزويني المعروف بابن ماجه المتوفى سنة ٢٧٣هـ وأحمد بن شعيب النسائي المتوفى سنة ٣٠٣هـ وكتبهم هي المعروفة في لسان أهل الحديث بالكتب الستة، وقد حازت عند المسلمين درجة عظيمة من الاعتبار لما لهم في رواتها من الثقة العظمى ولاسيما البخاري ومسلم. ليس هؤلاء فقط هم الذين ألفوا في السنة بل وجد بجانبهم كثيرون سواهم إلا أن هؤلاء هم الذين نالوا شهرة لم ينلها غيرهم^{١٣٨}.

^{١٣٧} خضري بك ص: ١٨٠، مناع القطان ص: ٢٢٣
^{١٣٨} انظر خضري بك ص: ١٨٠-١٨٢.

الفصل الثامن : علم الحديث

حينما افترقت الأمة الإسلامية فرقًا منذ خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه أدخل بعض المتعصبين المتشددين إلى أحاديث النبوية أقوالاً موضوعة لتأييد دعواهم فقام العلماء بوضع قواعد علمية لتصحيح الأخبار وتمحيصها، هي أصح وأدق ما عرف في التاريخ، هذه القواعد هي التي تسمى علوم الحديث أو مصطلح الحديث.

فعلم الحديث: هو علم يبحث في سند الحديث ومتمه من حيث القبول والرد^{١٣٩}.

يقول الحافظ ابن حجر العسقلاني: "وأولى التعاريف لعلم الحديث معرفة القواعد التي يتوصل بها إلى معرفة حال الراوي والمروي"^{١٤٠}.

المراد بسند الحديث: الرواة الذين رَووا الحديث.

والمراد بمتن الحديث: النص المرؤي.

تقسيم الحديث :

ينقسم الحديث من حيث توقُر شروط القبول فيه وعدم توقُرها إلى ثلاثة أقسام (١) صحيح (٢) وحسن (٣) وضعيف.

الحديث الصحيح : هو ما رواه عدل تام الضبط عن مثله من مبدئه إلى منتهاه واتصل سنده وسلم من الشذوذ ومن العلة إذا تحقق في الحديث هذه الشروط الخمسة

^{١٣٩} مصطلح الحديث، ليوسف القرضاوي، وعليه مصطفى على جماز ص: ٢٧ مكتبة الماس - كالكوت.
^{١٤٠} النكت على كتاب ابن الصلاح ص: ٢٢٥، المجلد الأول، الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م. دار الراجعية - الرياض - لابن حجر العسقلاني: تحقيق - د. بيع بن هادي عمير.

الواردة يكون صحيحًا، يقول ابن الصلاح: "هو الحديث المسند الذي يتصل إسناده بنقل العدل الضابط إلى منتهاه ولا يكون شاذًا ولا معللاً"^{١٤١}.

الحديث الحسن : هو ما رواه عدل غير تام الضبط متصل السند وسلم من الشذوذ وسلم من العلة، والحديث الحسن يمكن أن يرقى إلى مرتبة الصحيح إذ روي عن طريق آخر، كل من الصحيح والحسن مقبول ويجب العمل به^{١٤٢}.

الحديث الضعيف : هو الذي لم يجتمع فيه صفات الصحيح ولا صفات الحسن^{١٤٣}، فإن فقد شرط من شروط القبول بأن فقد عدالة الراوي أو ضبطه أو فقد اتصال السند أو وجد فيه شذوذ أو علة فهو ضعيف.

أقسام الحديث:

للحديث تقسيم آخر باعتبار عدد الرجال الذين رووه.

الغريب: هو الحديث الذي تفرد بروايته راو واحد ولو في طبقة واحدة.

العزيب: هو الحديث الذي رواه اثنان عن اثنين ولو في طبقة واحدة، بشرط ألا يقل الباقي عن اثنين اثنين.

المشهور: هو الحديث الذي رواه ثلاثة عن ثلاثة فأكثر، في جميع الطبقات بشرط ألا يقل عن ثلاثة.

المتواتر: هو الذي رواه من مبدئه إلى منتهاه، جمع عن جمع يستحيل اتقاقهم على الكذب عادة، واستندوا إلى أمر محسوس كالسمع والرواية وان يتحقق ذلك في جميع الطبقات، وهو نوعان: متواتر لفظي ومتواتر معنوي، فالمتواتر اللفظي: هو أن

^{١٤١} انظر الوضع في الحديث لعمر بن حسن عثمان فلاتة، المجلد الأول، ص: ٥٩، مكتبة الغزالي، دمشق ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

^{١٤٢} مصطلح الحديث للقرضاوي ص: ٣١

^{١٤٣} ابن الصلاح (انظر: الوضع في الحديث، ص: ٦٣)

يُروى في جميع طبقاته بلفظ واحد، والمتواتر المعنوي: هو أن يروي الحديث بمعناه جمع كثير، كل من الغريب والعزير والمشهور يسمى "الأحاد"^{١٤٤}.

أقسام الحديث الضعيف:

إن الحديث الضعيف هو ما لم يجتمع فيه شروط الصحيح ولا شروط الحسن، فيدخل تحت وصف الضعيف ما فقد اتصال السند، فمن هذا النوع: المرسل والمنقطع والمعضل والمعلق، كما يدخل في الضعيف ما فقد العدالة أو الضبط، ومن هذا النوع: المتروك والموضوع، ويطلق الضعيف أيضا على ما كان شاذًا أو معطلا، ومن هذا النوع الشاذ والمنكر والمعلل والمدرج^{١٤٥}.

وهناك أنواع من الأحاديث يصح أن توصف بالصحة والحسن والضعف، ويدخل في هذا القسم ما يأتي: المتصل والمرفوع والموقوف والمقطوع.

والمتصل يسمى أيضا الموصول: وهو ما لم يسقط من إسناده أحد، لا راوٍ ولا أكثر. والمرفوع: هو ما أضيف إلى النبي ﷺ قولاً أو فعلاً أو تقريراً، تصريحاً أو حكماً. والموقوف: هو ما أضيف إلى الصحابي من قول أو فعل. والمقطوع: هو ما أضيف إلى التابعي فمن دونه من قول أو فعل.

أهم الكتب التي ألفت في الأحاديث الصحيحة فقط:

١- صحيح البخاري، ٢- صحيح مسلم، وقد التزم الإمام البخاري وتلميذه الإمام مسلم ألا يضعوا في كتابيهما إلا الحديث الصحيح، وكذلك كتب السنن التي اشتملت على كثير من الأحاديث الصحيحة وهي: ٣- سنن أبي داود، ٤- جامع الترمذي، ٥- سنن النسائي، ٦- سنن ابن ماجة. وهذه الكتب هي المعروفة بالكتب الستة، والأربعة الأخيرة: هي المعروفة بكتب السنن.

^{١٤٤} مصطلح الحديث ص: ٤٢-٤٣/الوضع في الحديث ص: ٧٧ - ١٠٠
^{١٤٥} مصطلح الحديث ص: ٣٧-٤١

ومن المصنفات التي يوجد فيها الحديث الحسن بكثرة: سنن الدار قطني وكتب المسانيد ومنها: مسند الإمام أحمد ومسند الطيالسي ومسند الشافعي ومسند ابن أبي شيبة ومسند أبي علي الطوسي. ومن الكتب التي يوجد فيها الحديث الحسن مع وجود الحديث الصحيح كتب السنن الأربعة.

خدمات علماء أصول الحديث لحفظ هذا الكنز العظيم وصيانتة قيمة نفيسة، لولا قيامهم به ليثوم المسلمون أمامه حيارى ولا يقدرّون أن يميزوا بين صحيحه وضعيفه، ومرفوعه وموضوعه، وموقوفه ومقطوعه.

فأقوال رسول الله ﷺ وأحاديثه ورسالاته جواهر ثمينة وخير مثال لجمال الأدب العربي يتعجب أعلام اللغة أمامها، فأما أجمل الأحاديث وأروعها وأحسنها وأبلغها في مجال الفن أمثاله ﷺ التي قالها في أحيان مختلفة تبياناً للقرآن وتقريباً لمعاني الإسلام ورسالته إلى قلوب سامعيه وأذهانهم.

CHAPTER 3

Muhammed V.M."Proverbs of the Prophet : Collection Classification and Literary Analysis" Thesis. Research Department of Arabic,Farook College,University of Calicut, 2014.

الباب الثالث

الأمثال وما يتعلق بها

الباب الثالث

الأمثال وما يتعلق بها

فإن الحقائق إذا كانت سامية في معانيها وأهدافها تأخذ صورتها الرائعة إذا صيغت في قالب حسي يقربها إلى الأفهام. والتمثيل هو القالب الذي يظهر المعاني في صورة حية تستقر في الأذهان بتشبيهه الغائب بالحاضر والمعقول بالمحسوس وقياس النظير على النظير. وكم من معنى جميل أكسبه التمثيل روعة وجمالا. فكان ذلك أدعى لتقبل النفس له واقتناع العقل به. وهو من أساليب السنة النبوية في ضروب بيانها.

الفصل الأول: المثل وما يتعلق به لغة واصطلاحا

المثل في اللغة :

تورد المعاجم المختلفة معاني متعددة للفظ (مثل) كالصفة والعبرة والشبه والصورة. فقد قال ابن المنظور، المثل: الشيء الذي يضرب لشيء مثلا فيجعله مثله، وفي الصحاح: ما يضرب به من الأمثال، وقال الجوهري: ومثل الشيء أيضا

صفته، قال ابن سيدة: وقوله عز من قائل: "مثل الجنة التي وعد المتقون"^{١٤٦}، قال الليث: "مثلها هو الخبر عنها". وقال ابن اسحق: "معناه صفة الجنة"^{١٤٧}.

بيد أن أبا علي الفارسي رد ذلك حيث نقل عنه ابن منظور قوله: "لأن المثل صفة غير معرف في كلام العرب، إنما معناه التمثيل"^{١٤٨}. وقد تابع ابن منظور يفسر: "ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل"^{١٤٩}. أي ذلك صفة محمد ﷺ وأصحابه في التوراة". ثم قال: "وقد يكون المثل بمعنى العبرة ومنه قوله عز وجل: " فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين"^{١٥٠}. فمعنى السلف: إنا جعلناهم متقدمين يتعظ بهم الغابرون. ومعنى قوله (مثلا) أي عبرة يعتبر بها المتأخرون.

والمثال: المقدار، وهو من الشبه. والمثل: ما جعل مثالا أي مقدارا لغيره يحذى عليه. ومثل له الشيء: صورته حتى كأنه ينظر إليه^{١٥١}. وقال الزمخشري^{١٥٢}: "مثله به: شبهه، وتمثل به: تشبه به، ومثل الشيء بالشيء: سوى به وقدر تقديره"^{١٥٣}.

معنى المثل في "كشاف اصطلاح الفنون": أن المثل - بفتح الميم والثاء - في الأصل بمعنى النظير ثم نقل منه إلى القول السائر أي الفاشي الممثل مضربه بمورده. وهو من المجاز المركب^{١٥٤}.

ذكر ابن العربي: أن (مثل) بفتح الميم والثاء و(المثل) بكسر الميم وفتح الثاء - عبارة عن تشابه المعاني المعقولة، وأن (المثل) بكسر فسكون - عبارة عن تشابه الأشخاص المحسوسة وقد يدخل أحدهما على الآخر^{١٥٥}.

^{١٤٦} سورة محمد: ١٥
^{١٤٧} ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل: لسان العرب، تحقيق أمين عبد الوهاب، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٦ م
^{١٤٨} نفس المرجع
^{١٤٩} سورة الأعراف: ٢٩
^{١٥٠} سورة الزخرف: ٥٦
^{١٥١} ابن منظور مادة مثل: ج ١٣، ص ٢٣
^{١٥٢} هو محمود بن عمر بن أحمد الخوارزمي الزمخشري، جار الله، أبو القاسم
^{١٥٣} الزمخشري، أساس البلاغة، دار صادر، بيروت، ١٩٦٥، ص (٥٨٢)
^{١٥٤} للنهاوني، محمد علي بن محمد حامد الفاروقي، طبع ليز ١٩٦٢ م، ٤/١٣٤٠
^{١٥٥} شرح ابن العربي على الترمذي (٢٩٥/١)، أنظر نظرات فقهية وتربوية في أمثال الحديث. للدكتور عبد المجيد محمود عبد المجيد (ص-٧٨-٧٩)

بيد أن من الأئمة من يرى أنه يمكن إرجاع هذه المعاني المتعددة إلى معنى واحد أو مفهوم واحد بحيث تكون المعاني الأخرى صوراً لهذا المعنى، وممن أشار إلى ذلك ابن فارس صاحب معجم مقاييس اللغة الذي قال: " (مثل) يدل على مناظرة الشيء للشيء. وهذا مثل هذا، أي نظيره. والمثل والمثال بمعنى واحد. وربما قالوا: مثل كشيء. وتقول العرب: أمثل السلطان فلانا: قتله قودًا. والمعنى أنه فعل به مثل ما كان فعله. والمثل والمثل أيضا كشيء وشبهه. المثل المضروب مأخوذ من هذا، لأنه يذكر موري به عن مثله في المعنى. وقوله مثل به إذا نكل. هو من هذا أيضا. لأن المعنى فيه أنه إذا نكل به جعل ذلك مثلاً لكل من صنع ذلك الصنيع أو أراد صنعه. ويقولون مثل بالقتيل: جدعه، والمثلات من هذا أيضا. قال الله تعالى: " وقد خلت من قبلهم المثلات^{١٥٦}. أي العقوبات التي تزجر عن مثل ما وقعت لأجله. وواحدتها مثلة^{١٥٧}. وعلى الرغم من ذلك فمن المحتمل أن يكون من معانيه الوصف والصفة. وقد استعمل فيه إما حقيقة أو مجازاً. وقد نسب ابن منظور استعماله فيه إلى يونس بن حبيب النحوي^{١٥٨} ومحمد بن سلام^{١٥٩} الجمعي وأبي منصور الثعالبي^{١٦٠}.

ونلخص من هذه الأقوال إلى أن بعض العلماء كان يبين أحد المعاني للمثل أو المعاني التي ترتبط بالمعنى الأصلي برابط ما. أي أنها معانٍ تفقد في أصلها إلى شيء واحد، وهو المشابهة. فصفة قوم هي ما تعطي صورة تشبيهية عنهم. والعبرة تعطي من خلال أمر سابق يشبه الأمر الواقع والناس يعتبرون بها لتشابهها مع حالتهم. والمعنى بمعنى الصورة لأن الصورة تشبه الأصل.

^{١٥٦} سورة الرعد: ٦

^{١٥٧} ابن فارس معجم مقاييس اللغة، ج ٥ ص ٢٩٦-٢٩٧، تحقيق محمد بن عبد السلام هارون، دار الفكر
^{١٥٨} يونس بن حبيب أبو عبد الرحمن الضبي إمام نحاة البصرة في عصره. / الحموي، معجم الأدباء ج ٢٠ ص ٦٤-٦٧ / ابن خلكان،
وفيات الأعيان، ج ٧ ص ٢٤٤.

^{١٥٩} من أعيان الأدب وألف كتاباً في طبقات الشعراء. / الحموي، معجم الأدباء، مكتبة القراءة والثقافة، ج ١٨ (ص ٢٠٤-٢٠٥)
^{١٦٠} شيخ الأدب وكان رأساً في النظم والنثر. صاحب كتاب "بيتمة الدهر" / الذهبي، شمس الدين، سيد أعلام النبلاء تحقيق صاحب الدين
العمرى، الطبعة الأولى، دار الفكر ١٩٩٧ م (ج ١٣ ص ٢٨٢) / الزكلى، خير الدين، الأعلام ط ١٤، دار العلم للملايين، ١٩٩٩ م

المثل في الاصطلاح :

هل للمثل حد جامع مانع؟ وهل شيوع عبارة – أي عبارة – يجعلها مثلاً؟ وما الذي يحدد نسبة هذا الشروع؟ هل احتواؤها على قيمة يجعلها مثلاً؟ وما الذي يحدد هذه القيمة؟ هل كون العبارة أطلقت من باب الكناية يجعلها مثلاً؟

إن الاختلاف في الإجابة على هذه التساؤلات هو الذي كان وراء التباين في وضع حد جامع مانع للمثل. "إذا كانت الأمثال قد اختلطت بغيرها من العبارات في كتب الأمثال ذاتها فإنها في الحديث النبوي أشد اختلاطاً. حيث شاركت الأحاديث النبوية الأمثال في ذبوعها وانتشارها وطغت عليها^{١٦١}. وقد أشار جولد تسيهر^{١٦٢} إلى أنه "لا يوجد حد فاصل بين (المثل) و(الحديث) والعكس بالعكس^{١٦٣}" لذا ليس غريباً أن نجد تعريفات كثيرة متباينة هذه بعضها.

قال أصحاب المعجم الوسيط "المثل جملة من القول مقتطفة من كلام أو مرسلة بذاتها تنقل ممن وردت فيه إلى مشابهه دون تغيير^{١٦٤}".

وقد أورد الميداني في كتابه (مجمع الأمثال) عدداً من الأقوال في تعريف المثل.... قال المبرد: المثل مأخوذ من المثل. وهو قول سائر يشبه فيه حال الثاني بالأول. والأصل فيه التشبيه. فقولهم (مثل بين يديه) إذا انتصب معناه أشبه الصورة المنتصبه و(فلان أمثل من فلان) أي أشبه بحاله من الفضل. والمثال: القصاص لتشبيه حال المقتص منه بحال الأول. فحقيقة المثل ما جعل كالعالم للتشبيه بحال الأول كقول كعب بن زهير.

كانت مواعيد عرقوب لها مثلاً وما مواعيدها إلا الأباطيل (البسيط)

فمواعيد عرقوب علم لكل ما لا يصح من مواعيد^{١٦٥}.

^{١٦١} العلواني، محمد جابر، الأمثال في الحديث النبوي الشريف، مكتبة المؤيد ١٩٩٣م، ص: ١٥
^{١٦٢} أنجاس جولد تسيهر - ولد سنة ١٨٥٠ مستشرق مجرى. ارتحل إلى الشرق سنة ١٨٧٣م. عين أستاذاً في جامعة بودابست حتى توفي فيها سنة ١٩٢١م.
^{١٦٣} زولهايم، رودلف، الأمثال العربية القديمة، ترجمة رمضان عبد التواب وتحققة. الطبعة الثانية مؤسسة الرسالة ١٩٨٢م، (ص ٣٨)
^{١٦٤} مجمع اللغة العربية - المعجم الوسيط، ط ٣، ج ٢ ص ٨٨٨، ١٩٦٠م

أما الأصفهاني فيقول: "المثل عبارة عن قول في شيء يشبه قولاً في شيء آخر بينهما مشابهة ليبين أحدهما الآخر ويصوره. نحو قولهم: "الصيف ضيقت اللبن". فإن هذا قول يشبه قولك: "أهملت وقت الإمكان أمرك"، على هذا الوجه ما ضرب الله تعالى من الأمثال^{١٦٦}.

قال جعفر السبحاني: "المثل قسم من الحكم، يرد في واقعة لمناسبة اقتضت وروده فيها. ثم يتداولها الناس في غير واحد من الوقائع التي تشابهها دون أدنى تغيير لما فيه من وجازة وغرابة ودقة في التصوير".

يقول ابن عبد ربه عن الأمثال: "الأمثال التي هي وشي الكلام وجوهر اللفظ وحلي المعاني - والتي تخيرت العرب وقدمتها العجم، ونطق بها في كل زمان على كل لسان فهي أبقى من الشعر وأشرف من الخطابة لم يسر شيء سيرها ولا عمّ عمومها حتى قيل: "أسير من مثل" ^{١٦٧}.

ويقدر أبو هلال العسكري: أن كل حكمة سائرة يسمى (مثلاً). وقد يأتي القائل بما يحسن من الكلام أن يتمثل به. إلا أنه لا يتفق أن يسير فلا يكون مثلاً^{١٦٨}.

المثل في الأدب :

المثل في الأدب قول محكي سائر يقصد به تشبيه حال الذي حكي فيه بحال الذي قيل لأجله، أي : يشبه مضربه بمورده، مثل: "رب رمية من غير رام" أي: رب رمية مصيبة حصلت من رام شأنه أن يخطئ. وأول من قال هذا: الحكم بن يغوث النقري. يضرب للمخطئ يصيب أحياناً. وعلى هذا فلا بد له من مورد يشبه مضربه به.

^{١٦٥} الميداني، مجمع الأمثال، ص ٥-٦
^{١٦٦} أصفهاني، أبو القاسم، المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد سيد كيلاني، مطبعة المصطفى البابي الحلبي بمصر ١٩٦١م، ص: ٤٦٢

^{١٦٧} العقد الفريد (٦٣/٣) / الندوي، محمد نعمان الدين، "الروائع والبدائع في البيان النبوي"، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩٦م، (ص ١١٣)

^{١٦٨} العسكري، أبو هلال حسن بن عبد الله، المتوفى سنة ٣٩٥هـ، جمهرة الأمثال. ٥/١، على هامش مجمع الأمثال. / د. عبد المجيد محمود عبد المجيد، نظرات فقهية وتربوية في أمثال الحديث، مكتبة السوادى، جدة، الطبعة الثانية، ١٩٩٩م، (ص ٨٠)،

ويطلق المثل على الحال والصفة والقصة العجيبة الشأن. وأشار الزمخشري إلى هذه المعاني الثلاثة في كشافه فقال: "المثل في أصل كلامهم بمعنى المثل والنظير، ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده: مثل، لم يضربوا مثلاً ولا رأوه أهلاً للتيسير ولا جديراً بالتداول والقبول إلا قولاً فيه غرابة من بعض الوجوه، ثم قال وقد استعير المثل للحال أو الصفة أو القصة إذا كان لها شأن وفيها غرابة.

وهناك معنى رابع ذهب إليه علماء البيان في تعريف المثل، فهو عندهم: المجاز المركب الذي تكون علاقته المشابهة متى فشا استعماله، وأصله الاستعارة التمثيلية، كقولك للمتروك في فعل أمر: "ما لي أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى".

فالأمثال مقادير الأفعال، والممثل كالصانع الذي يقدر صناعته كالخياط يقدر الثوب على قامة المخيط ثم يفرجه ثم يقطع. وكل شيء به قالب ومقدار. وقالب الكلام ومقداره الأمثال.

المثل والحكمة :

يقول جعفر السبحاني: "فالكلمة الحكيمة على قسمين، سائر منتشر بين الناس ودارج على الألسن فهو المثل" وإلا فهي كلمة حكيمة لها قيمتها الخاصة وإن لم تكن سائرة. فما ربما يقال: (المثل السائر) فالوصف قيد توضيحي لا احترازي، لأن الانتشار والتداول داخل في مفهوم المثل ويظهر ذلك فيما ذهب إليه أبو هلال العسكري حيث قال: "جعل كل حكمة سائرة مثلاً، وقد يأتي القائل بما يحسن من الكلام أن يتمثل به إلا أنه لا يتفق أن يسير فلا يكون مثلاً.

ويعلق السبحاني على كلام العسكري بقوله: "كلامه هذا ينم أن الشيوخ والانتشار وكثرة الدوران على الألسن هو الفارق بين الحكمة والمثل. فالقول الصائب الصادر عن تجربة يسمى حكمة إذا لم يتداول. ومثلاً إذا كثر استعماله وشاع أداءه في

المناسبات المختلفة..... وأما تسمية ذلك بالمثل فهو لأجل المناسبة والمثابفة بين الموردين على وجه يصبح مثالا لكل ما هو على غزاره^{١٦٩}.

ويبدو أن جامعي الأمثال ما كانوا يفرقون بين المثل والحكمة. فالمثل عندهم هو الحكمة. يقول أبو عبيد بن سلام عن كتابه الذي جمع فيه الأمثال: "هذا كتاب الأمثال، وهي حكمة العرب في الجاهلية والإسلام. وبها كانت تعارض كلامها فتبلغ بها ما حاولت فيها"^{١٧٠}.

أما الجاحظ في كتابه 'البيان والتبيين' فقد أفرد بعض أقوال الرسول ﷺ تحت عنوان ما لم يسبق فيه، حيث قال: "وسنذكر من كلام رسول الله ﷺ مما لم يسبقه إليه عربي ولا شارك فيه أعجمي ولم يدع لأحد ولا ادعاه أحد مما صار مستعملا ومثلا سائرا"^{١٧١}. وبعد أن ذكر سبعة أمثلة لم يسبق فيها الرسول ﷺ وأصبحت شائعة متداولة بعد أن قالها الرسول ﷺ أتى بموضوع آخر قال فيه: "أنا أذكر بعد هذا فنا آخر من كلام ﷺ وهو الكلام الذي قل عدد حروفه، وكثر عدد معانيه، وجل عن الصنعة ونزه عن التكلف"^{١٧٢}. أي أن الجاحظ تكلم عن المثل السائر أولا ثم تكلم عن الحكمة ثانيا من غير أن يضع حدا (تعريفا) لأي منهما، بل لم يذكر اصطلاح (الحكمة)، كما لم يهتم باصطلاح (المثل السائر)، مع أنه أطلقه في السياق، ولا أعرف أحدا سبق الجاحظ في استعمال هذا الاصطلاح.

ما هي الحكم ؟

يراد بالحكم هذه الأقوال الموجزة التي تحمل مع إيجازها معنى صائبا مستتبطا من التأمل أو من تجارب الحياة، فتشيع هذه الحكم وتحفظ، وهي تأتي في النثر كما تأتي في الشعر^{١٧٣}.

^{١٦٩} السبحاني - الأمثال في القرآن الكريم ، الناشر : مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٠م ، (ص ١٠ - ١١)
^{١٧٠} أبو عبيد البكري، فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، المحقق د. إحسان عبد، ود. عبد المجيد عابدين، مؤسسة الرسالة، دار الأمانة، ص: ٤ سنة ١٩٨٣م ١٤٠٣هـ.
^{١٧١} الجاحظ، البيان والتبيين - ج: ٢، ص: ٤٣
^{١٧٢} نفس المرجع، ص: ٤٤
^{١٧٣} الضبي مقدمة كتاب الأمثال (أنظر: الروائع والبدائع في البيان النبوي لمحمد نعمان الدين الندوي، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩٦م، (ص-١١٣)

يقول اليوسي: "الحكمة فللناس في معناها أقوال عدة. واعلم أولاً أن الحكمة هي فعلة من الحكم أو الأحكام. أما الحكم فير بمعنيين أحدهما القضاء، يقال: حكم الشارع أو القاضي بكذا حكم بضم فسكون، الثاني العلم يقال: حكم حكماً وحكمة. وأما الأحكام فيكون أيضاً بمعنيين: "أحدهما الإتقان يقال: أحكم فلان كذا إحكاماً إذا أتقنه. الثاني المنع، يقال: أحكمت السفينة وحكمته أيضاً أي منعته وأخذت على يده. قال جرير: أبني حنيفة أحكموا سفهاءكم إني أخاف عليكم أن أغضباً"

ورد الغزالي الحكمة إلى العقل. قال في كتاب تهذيب النفس من الأحياء: " أمهات الأخلاق وأصولها الأربعة الحكمة، والشجاعة والعفة والعدل ". قال: ونعني بالحكمة حال النفس بها تدرك الصواب من الخطأ في جميع الأفعال الاختيارية. وقال الراغب: " الحكمة إصابة الحق بالقول والفعل".

فإذا تتبعنا متفرقات المعاني المقولة في الحكمة على ما مر وجمعناها من ذلك أنها تتعلق بالقلوب والجوارح من الأيدي والألسنة. أما في القلوب فعلى معنى الإصابة في اعتقاداتها وتصورها للأشياء وفي أخلاقها من الحلم والعفو والعفة والعدل ونحو ذلك. وأما في الأيدي فعلى معنى الإصابة في أفعالها وإتقان صنائعها وكذا غيرها من الأعضاء بالجري على السنن في أفعالها، وكذا القصور. وأما في الألسنة فعلى معنى الإصابة في التعبير عن المعاني بإصابة المحز وتطبيق المفصل^{١٧٤}.

الفرق بين الأمثال والحكم :

يلحظ في المثل - عادة - الإيجاز والمغزى والطعم اللاذع أو الروح الساخرة والذبوع أو الشعبية، وبعض هذه مما يشترط في الحكمة، وبعضها مما لا يشترط كالطعم اللاذع. فإنه شرط في المثل لا في الحكمة، والعنصر الفكاهي فيه الذي ينفد الحياة وهو الذي يجعل للمثل قوة التأثير وسهولة التعلق بالذاكرة ويمهد له سبيل الذبوع.

^{١٧٤} اليوسي - زهر الأكم في الأمثال والحكم، (ص ١٣ - ١٤)

<http://www.shamela.ws>
<http://www.alwarraq.com>

وشرط الشعبية لا بد منه في المثل لا الحكمة، فلا بد أن يدمغ بدمغه الشعبية، ليكون مثلا ثم أن صحة المعنى ومطابقته للحقيقة يلحظ في الحكمة أكثر مما يلحظ في المثل. فالمثل قد يدل على وجه نظر قائله أكثر مما يدل صحة معناه، ولذلك تجد المعنى الواحد قد عبر عنه بمثلين متناقضين مثل: "الصرف ما في الجيب يأتيك ما في الغيب". و "القرش الأبيض ينفك في اليوم الأسود" وهكذا^{١٧٥}.

يقول اليوسي^{١٧٦}: "الذي يفرق بين المثل والحكمة ثلاثة أمور، أحدها أن الحكمة عامة في الأقوال والأفعال والمثل خاص بالأقوال، ثانيها أن المثل وقع فيه التشبيه دون الحكمة، ثالثها أن المقصود من المثل الاحتجاج ومن الحكمة التشبيه والإعلام والوعظ^{١٧٧}". هكذا توجد الأمثال والحكم في أكثر الأحيان لا في جميع أحوالها. كما يوجد التشبيه في الحكم، مثلا: "من فسدت بطانته كان كمن غص بالماء" كما لا يوجد في هذا المثل التشبيه "من قرع الباب ولجّ ولجّ" و "الرياح مع السماح" ونحوها. وكذلك الحكم تصلح للاحتجاج وكما أن الأمثال ليست كلها بصدد الاحتجاج. بل هي بالأصالة للتصوير وإنما تصلح للاحتجاج عندما يراد بها التصديق من مدح أو ذم أو تزيين أو إظهار رغبة في شيء أو عدم مبالاة أو نحو ذلك. فوق كل هذا فإن كثيرا منها يعد مثلا تارة وحكمة تارة أخرى، ولا يظهر الفرق إلا بالحيثية. وهي إنها إن سقيت ملاحظا فيها التشبيه فمثل وأن سقيت ملاحظا فيه التشبيه أو الوعظ أو إثبات قانون أو فائدة ينتفع بها الناس في معاشهم أو معادهم فحكمة وهذا معروف بالاستقراء^{١٧٨}.

يقول د. عبد المجيد محمود: "إن الشيوخ والانتشار وكثرة الدوران على الألسنة هو ما يفرق بين الحكمة والمثل، فالقول الصائب الصادر من تجربة يسمى حكمة إذا لم يتداول ويسمى مثلا إذا كثر استعماله وشاع أداؤه في المناسبات المختلفة. ويعرف

^{١٧٥} ذكر هذا الفرق احمد امين في فيض خاطر ٢٢٧/٨ ، أنظر: الروائع والبدائع في البيان النبوي (ص ١١٣ - ١١٤)

^{١٧٦} هو الحسن اليوسي

^{١٧٧} زهر الأكم في الأمثال والحكم للأبيوسي، مصدر الكتاب موقع الوراق (ص ١٣)

<http://www.alwarraq.com>

^{١٧٨} نفس المرجع، (ص ١٣، ١٤)

حينئذ بأنه القول السائر الذي يشبه به حال الثاني بالأول أو الذي يشبه مضربه بمورده. فالمراد بالمورد الحالة الأصلية التي ورد فيها الكلام وبالمضرب الحالة المشبهة التي أريد بالكلام^{١٧٩}.

يقول عمر فروخ: "أما الأمثال فهي جمل قصيرة وجيزة تدل على صحة الرأي وصدق الاختبار وربما نشأ المثل من لفظة شاعر في بيت من الشعر أو برقة فكر لرجل في أثناء حديث فوافق ما ألفه الناس في حياتهم فأصبح قاعدة في السلوك الإنساني (خيرا أو شرا) أو واقعا لا مفر منه. ومع أن المثل قول حكيم على كل حال. فإنه غير الحكمة. إن الحكمة قول صائب في حال مخصوص بينما المثل قول موافق للواقع يعمل الإنسان به^{١٨٠}.

^{١٧٩} نظرات فقهية وتربوية في أمثال الحديث. المكتبة السوادي، جدة، الطبعة الثانية ١٩٩٢م - ص (٨٠)
^{١٨٠} تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة ١٩٨٤م، ص: ٨٩.

الفصل الثاني : أنواع الأمثال

يمكن أن نعد ثلاثة أنواع من الأمثال هي المثل الموجز والمثل القياسي والمثل الخرافي

النوع الأول: المثل الموجز الساخر

وهي إما شعبي لا تعمل فيه ولا تكلف فيه ولا تقيد بقواعد النحو. وإما كتابي. كقول النبي ﷺ. (إن من البيان لسحرا^{١٨١}) وما يصدر عن ذوي الثقافة العالية كالشعراء والخطباء كقولهم (رب عجلة يهب ريّثا). و(كالمستجير من الرمضاء بالنار).

النوع الثاني: المثل القياسي

هو سرد وصفي أو قصصي، أو صورة بيانية، لتوضيح فكرة ما، عن طريق التشبيه والتمثيل. ويسميه البلاغيون: التمثيل المركب، فإنه تشبيه شيء بشيء. لتقريب المعقول من المحسوس أو أحد المحسوسين إلى الآخر^{١٨٢}، أو اعتبار أحدهما بالآخر، لغرض التأديب والتهديب أو التوضيح والتصوير، وهذا النوع فيه إطناب إذا قورن بسابقه، ويجمع بين عمق الفكرة وجمال التصوير^{١٨٣}.

والظاهر أن الجرجاني أطلق على هذا النوع (التمثيل المجازي) حيث يقول: "وأما التمثيل الذي يكون مجازا لمجيبك به على حد الاستعارة"، فمثاله قولك للرجل يتردد في الشيء بين فعله وتركه: "أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى". فالأصل في هذا:

^{١٨١} صحيح البخاري - كتاب النكاح، باب الخطبة، رقم الحديث: ٤٧٤٩
^{١٨٢} ابن القيم: الأمثال في القرآن، ص: ١٩. أنظر أبو النيل، محمد بن عبد السلام، الأمثال في القرآن الكريم، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد ٢٥، نيسان ١٩٩٥ م، على موقع www.gudsway.com
^{١٨٣} نظرات تربوية في أمثال الحديث (ص ٨٢) (لدكتور عبد المجيد محمود عبد المجيد)

أراك في ترددك كمن يقدم رجلا ويؤخر أخرى. ثم اختصر الكلام وجعل كأنه يقدم الرجل ويؤخرها على الحقيقة^{١٨٤}."

والحاصل أن المثل القياسي باب من أبواب التشبيه، بيد أن هناك تشبيهات بسيطة أفادت المقارنة والموازنة والمفاضلة، فهذه لا بد من وضعها تحت هذا النوع.

النوع الثالث: المثل الخرافي

وهي حكاية ذات مغزى على لسان غير الإنسان لغرض تعليمي مثل (أكلت يوم أكل الثور الأبيض^{١٨٥})، على أن الباحثين يرى أن العرب لم يدرجوا هذا النوع الثالث ضمن اصطلاح المثل^{١٨٦}.

فالفرق بين الخرافي والمثل القياسي أن الأول تنسب الأحاسيس الإنسانية فيه إلى غير الإنسان من حيوان أو طير أو غيرهما. أما القياسي فالحيوانات فيه - إن استخدمت - لا تعدو أن تكون مجرد توضيح للفكرة. دون أن تتعدى القوانين التي يخضع لها نوعها.

والمثل الخرافي يرمز إلى الأشياء. أي يقال شيء ويراد منه شيء آخر. أما القياسي فيراد بالأشياء المذكورة فيه توضيح الفكرة عن طريق التشبيه والتمثيل^{١٨٧}.

ضرب المثل:

نقول ضرب الله سبحانه لعباده الأمثال وضرب الرسول ﷺ لأمة الأمثال. وضرب الحكماء والعلماء والمؤدبون الأمثال.

فما معنى " ضرب الأمثال "؟ والجواب من عدة وجوه:

١. قد يكون أخذ من معنى (الضرب في الأرض) أي السير فيها، قال تعالى: "... وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله^{١٨٨}". ومعنى (ضرب

^{١٨٤} الجرجاني - أسرار البلاغة (ص: ٥٤) (عبد القاهر الجرجاني، فارسي الأصل جرجاني الدار عالم بالنحو والبلاغة، ومن تصانيفه (دلالات الإعجاز) (إعجاز القرآن) انظر القفطي انتباه النحاة على أنباء النحاة (ج ٢، ص: ١٨٨-١٩٠)

^{١٨٥} ابن القيم، محمد بن أبي بكر: (الأمثال في القرآن الكريم) (ص ١٩-٢٠)

^{١٨٦} انظر العلواني، الأمثال النبوية في الحديث النبوي الشريف (ص ٤٢)

^{١٨٧} نظرات تربوية في أمثال الحديث (ص ٨٢)

^{١٨٨} سورة المزمل: ٢٠

الأمثال) على ذلك: جعله ينتشر ويذيع في البلاد والعباد أو جعله يسير في الكلام وينتشر ويشتهر. والمعنى، وأن كان قريب المأخذ، لكن يبعده أن ضرب المثل جاء متعديا بنفسه، كما قال تعالى: "وضربنا لكم الأمثال" والضرب في الأرض جاء متعديا بحرف الجر... واختلاف التعدي ينقل الفعل من باب في المعنى إلى باب....

٢. وقد يكون بمعنى نصبه للناس بإشهاره، لتستدل عليه خواطرهم، كما تستدل عيونهم على الأشياء المنصوبة، ويكون اشتقاقه من قولهم: "ضربت الخباء" إذا نصبتّه، وأثبت طنبه.

٣. ومنه قوله تعالى: "وكذلك يضرب الله الحق والباطل"^{١٨٩}... "أي ينصب منارهما، ويوضح أعلامهما، ليعرف المكفون الحق بعلاماته، فيقصده ويعرفوا الباطل فيجتنبوه"^{١٩٠}.

٤. وقد يكون ضرب المثل بمعنى صنعه وإنشائه من ضرب اللين، وضرب الخاتم"^{١٩١}.

٥. وجاء من معاني الضرب:

قال في الصحاح: "وضرب الله مثلا" أي وصف وبين"^{١٩٢}.

وتقول: (صار الشيء ضربة لازب) أي لازما ثابتا"^{١٩٣}.

وما نقلته من معنى هذه المادة متصل متقارب، إذا لا تعارض بينها. وهي تتصل بمعنى ضرب الأمثال. وأرجح أن يكون أظهر الأقوال في ضرب المثل أنه إحكام صنعته وإنشائه ليكون الممثل مماثلا للممثل به، ومناسبا له وملائما.....

^{١٨٩} سورة الرعد: ١٧

^{١٩٠} انظر: تلخيص البيان في مجازات القرآن للشريف الرضي، ص: ١٧٨، بتحقيق الدكتور علي محمود مقلد، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٨٦م

^{١٩١} انظر مقدمة "الأمثال في القرآن الكريم" لابن القيم، بتحقيق سعيد محمد نمر الخطيب / انظر "نظرات فقهية وتربوية في أمثال الحديث (ص ٨٢-٨٣)

^{١٩٢} انظر الصحاح للجوهري: ١/١٦٨، ٢١٩

^{١٩٣} (قاموس المحيط) للفيروز ابادي: ١/١٣٢

الفصل الثالث : أهمية الأمثال وفوائدها

للمثل في الكلام مكانة هامة وأهمية كبيرة ووظيفة لا تتكرر فائدتها، فله تأثير عجيب في الآذان، وتقرير غريب لمعانيها في الأذهان. وفيها من تأنيس النفس وسرعة قبولها وانقيادها لما ضرب لها مثله من الحق - أمر لا يجحده أحد ولا ينكره، وكلما ضربت لها الأمثال ازداد المعنى ظهوراً ووضوحاً. فالأمثال شواهد المعنى المراد. وهي خاصية العقل ولبه وثمرته.

قال إبراهيم النظام: "يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام إيجاز اللفظ وإصابة المعنى وحسن التشبيه، وجودة الكناية، فهو نهاية البلاغة"^{١٩٤}.

ولقد كثرت الأمثال في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، لا يستطيع باحث أن يتغافل عن ورودها فيها، ولا على ما يترتب على ذلك من شرف مكانتها وسمو منزلتها. إذ لولا عظم شأنها لما تضمنناها فضلاً من إكثارها منها.

يقول الأستاذ أحمد بدوي: "ويهدف التشبيه في القرآن الكريم إلى ما يهدف إليه كل فن بلاغي فيه، من التأثير في العاطفة، فترغب أو ترهب ومن أجل هذا كان للمنافقين والكافرين والمشركين نصيب وافر من التشبيه الذي يزيد نفسيتهم وضوحاً، ويصور وقع الدعوة على قلوبهم وما كانوا يقابلون به تلك الدعوة من النفور والإعراض"^{١٩٥}.

فها هو القرآن الكريم بمثل وهن ما اعتمد عليه المشركون من عباداتهم غير الله وهنا لن يفيدهم فائدة ما، فهم يعبدون ويبدلون جهداً يظنونهم مثمراً وهو لا يجدي، فوجد في العنكبوت ذلك الحيوان الذي يتعب نفسه في البناء، ويبدل جهده في التنظيم وهو لا

^{١٩٤} انظر: نظرات فقهية وتربوية في أمثال الحديث: (ص ٨٣) / مجمع الأمثال للميداني: أبو الفضل أحمد بن محمد، مطبعة فؤاد بن بان وشركاه، (ص ٦/١) بيروت ١٩٦٢م
^{١٩٥} من بلاغة القرآن: ص(٢٠٤) د. أحمد بدوي، طبعة نهضة مصر، الفجالة، الطبعة الثالثة.

يبني سوى أوهن البيوت وأضعفها فقرن تلك الصورة المحسوسة إلى الأمر المعنوي فزادته وضوحا وتأثيرا. قال الله تعالى: "مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون"^{١٩٦}.

فحال المشركين أن تمثل آلهتهم التي ظلوا لها عاكفين ببيت العنكبوت ضعفا ووهنا وهم لا يرون أوهن منه. وألمهم أكثر من ذلك أنهم لا يستطيعون رد ذلك عنها أو نقضه فليس لديهم ما يرونه مقنعا لهم فضلا عن أن يقنع خصومهم من المسلمين بقوتها وقدرتها. وإذا كان بينهم ما يكابر في ذلك، فقد قطع الله مكابرتة بقوله: "يا أيها الناس ضرب مثل فاستعمرأ له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب"^{١٩٧}.

وهم يدخلون على الآلهة ويرون الذباب عليها ولو وقف على وجه أحدهم لطرده، ويرون الأصنام غير قادرة على ذلك ويتردد صدى الآية الكريمة في آذانهم شاؤوا أم أبوا. وتشغل نار الغيظ في نفوسهم. ويتمنون لو لم يكن الذباب قد خلق. أما وقد خلق فيا حبذا لو كانت الأصنام قادرة على التصرف معه، أو على الأقل ليت أن الله لم ينتبه إلى ضعفها عنه وعجزها إزاءه لم يقرنها به. وإذا لما كان بوسع المسلمين أن يتسلطوا عليهم بهذا السوط الذي ألهب ظهورهم إلا أن شيئا من ذلك لم يكن. فما هم المسلمون يقرعون آذانهم بما لا تهوى، فما عساهم أن يفعلوا؟

وضرب الله مثلا للموحد والمشارك فقال: "ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا، الحمد لله، بل أكثرهم لا يعلمون"^{١٩٨}.

يقول ابن القيم: "هذا مثل ضرب الله للمشارك والموحد، فالمشرك بمنزلة عبد يملكه جماعة متنازعون مختلفون متشاحنون، والرجل المتشاكس: الضيق الخلق.

^{١٩٦}سورة العنكبوت: ٤١

^{١٩٧}سورة الحج: ٧٤

^{١٩٨}سورة الزمر: ٢٩

فالمشرك، لما كان يعبد آلهة شتى شبه بعبد يملكه جماعة متنافسون في خدمته لا يمكنه أن يبلغ رضاهم أجمعين. والموحد لما كان يعبد الله وحده فمثله كمثل عبد لرجل واحد، قد سلم له، وعلم مقاصده، وعرف الطريق إلى رضاه، فهو في راحة من تشاحن الخلطاء فيه، بل هو سالم لمالكة من غير تنازع فيه، مع رافة مالكة به ورحمته له وشفقته عليه، وإحسانه إليه وتولييه لمصالحه، فهل يستوي هذان العبدان؟

وهذا من أبلغ الأمثال. فإن الخالص لمالك واحد يستحق من معونته وإحسانه، والتفاته إليه وقيامه بمصالحه ما لا يستحق صاحب الشركاء المتشاكسين، والحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون.

هكذا يكثر القرآن الكريم من ضرب الأمثال للكافرين والمنافقين بل والمؤمنين. ويبين أن الحكمة من ضرب الأمثال أن يتفكر الناس فيها. فيفهموا الشيء بنظيره فيقول تعالى: "وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون"^{١٩٩}.

يقول ابن القيم: "وقد ضرب الله ورسوله الأمثال للناس لتقريب المراد وتفهم المعنى وإيصاله إلى ذهن السامع وإحضاره في نفسه بصورة المثال الذي مثل به ليكون أقرب إلى تعقله وفهمه، وضبطه واستحضاره، فإن النفس تأنس بالنظائر والأشباه، وتتفر من الغربة والوحدة وعدم النظير.... فالأمثال شواهد المعنى المراد، وهي خاصية العقل ولبه وثمرته"^{٢٠٠}.

يقول الزمخشري: التمثيل إنما يصار إليه لكشف المعاني وإدناء المتوهم من المشاهد فإن كان التمثيل له عظيماً كان المتمثل به مثله وأن حقيراً كان المتمثل به كذلك فليس العظم والحقارة في المضروب به المثل إلا بأمر استدعته حال الممثل له، ألا ترى

^{١٩٩} سورة الحشر: ٢١
^{٢٠٠} أعلام الموقعين عن رب العالمين، بتحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، (ص ٢٩١/١)

أن الحق لما كان واضحا جليا تمثل له بالضياء والنور، وأن الباطل لما كان بضده تمثل له بالظلمة، وكذلك جعل بيت العنكبوت مثلا في الوهن والضعف^{٢٠١}.

يقول الأصفهاني: لضرب العرب الأمثال واستحضار العلماء النظائر شأن ليس بالخفي في إبراز خفيات الدقائق ورفع الأستار عن الحقائق. تريك المتخيل في صورة المتحقق والمتوهم في معرض المتيقن والغائب كأنه مشاهد، وفي ضرب الأمثال تبكيت للخصم الشديد الخصومة، وقمع لسورة الجامع الأدبي. فإنه يؤثر في القلوب ما لا يؤثر في وصف الشيء في نفسه. ولذلك أكثر الله تعالى في كتابه وفي سائر كتبه الأمثال، وفشت في كلام النبي ﷺ وكلام الأنبياء والحكماء^{٢٠٢}.

يقول البيضاوي: يضرب المثل زيادة في التوضيح والتقرير، فإنه أوقع في القلب، وأقنع للخصم الألد، ولأنه يريك المتخيل محققا والمعقول محسوسا، والأمر ما أكثر الله في كتبه الأمثال، وفشت في كلام الأنبياء والحكماء. والخلاصة: إن ضرب الأمثال يستفاد منه أمور كثيرة، منها: التذكير، والوعظ، والحث، والزجر، والاعتبار والتقرير، وتقريب المراد للعقل، وتصويره بصورة المحسوس. فإن الأمثال تصوير المعاني بصورة الأشخاص، لأنها أثبت في الأذهان لاستعانة الذهن فيها بالحواس، ومن ثم كان الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجلي والغائب بالشاهد^{٢٠٣}.

ونقل السيوطي عن الشيخ عز الدين قوله: "إنما ضرب الله الأمثال في القرآن تذكيرا ووعظا، فما اشتمل منها على تفاوت في الثواب أو على إحباط عمل أو على مدح أو ذم أو نحوه، فإنه يدل على الإحكام^{٢٠٤}".

وإذا كان هذا شأن الأمثال في القرآن الكريم فليس غريبا أن تحظى الأمثال بعناية الرسول ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، ولذلك نجده ﷺ يتمثل بأمثال غيره من

^{٢٠١} البرهان في علوم القرآن : ١ / ٤٨٨

^{٢٠٢} الإتيان في علوم القرآن السيوطي: ٣٤٤/٢

^{٢٠٣} تفسير البيضاوي: ١٨٦/١

^{٢٠٤} الإتيان في علوم القرآن: ١٣١/٢ للسيوطي: عبد الرحمن أبي بكرت، بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة مشهد الحسيني: الطبعة الأولى ١٩٦٧م

الأنبياء قبله، فقال: "إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت"^{٢٠٥}.

بل إنه تمثل أيضا بأقوال العرب في جاهليتهم. فقد جاء في الحديث أن أبا سفيان قال له معاتبا: (ما كدت أن تأذن لي حتى كدت تأذن لحجارة الجاهمتين^{٢٠٦})، فرد الرسول ﷺ: (ما أنت وذاك يا أبا سفيان، أنت كما قال القائل: كل الصيد في جوف الفرا^{٢٠٧}).

ولم يقتصر تمثله على النثر دون الشعر فقد تمثل بقول لبيد: (الأكل شيء ما خلا الله باطل^{٢٠٨}).

فهذه مكانة الأمثال عنده وهذا شأنها. فإذا تجاوزنا هذا إلى ما تولاه من ضربها بنفسه رأينا العجب، إذ لازمته أكثر من ظله، فما من حالة إلا وله فيها عدد من الأمثال. ضربها في حله وترحاله، ووقوفه وجلسه وفي يقظته ونومه وما بينهما، وفي ضيقه وفرجه وسائر ما يمر على الناس من أحوال.

جاء عن المستورد بن شداد أنه قال: "إني لفي ركب مع النبي ﷺ إذ مر بسخلة منبوذة، فقال: أترون هذا هانت على أهلها؟ فو الذي نفسي بيده للدنيا أهون على الله من هذه على أهلها"^{٢٠٩}. فضربها مثلا لهوان الدنيا على الله.

دخل عمر بن الخطاب (ر) على النبي ﷺ فرآه مضطجعا على حصير وقد أثر الشريط في جنبه، فقال له: "لو نمت يا رسول الله على ما هو ألين، فقال: (ما لي ولدنيا؟ إنما مثلي ومثل الدنيا كمثل راكب مر بأرض فلاة فرأى شجرة فاستظل تحتها ثم راح وتركها"^{٢١٠}).

^{٢٠٥} البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب (٥٤) بدون عنوان رقم ٣٤٨٣ / أبوداود في سننه، كتاب الأدب في الحياء (رقم ٤٧٩٧) / ابن ماجة في سننه، كتاب الزهد، باب الحياء (رقم ٤١٨٣) أحمد (٤ / ١٢١)

^{٢٠٦} إجدى حافتي الوادي

^{٢٠٧} الفراء - حمار الوحش كلها دونه - يضرب لمن يفضل على أقوام

^{٢٠٨} الاتفاق ١٣١/٢

^{٢٠٩} أخرجه الترمذي في سننه، رقم ٢٣٢١، ابن ماجة (رقم ٤١١٠)

^{٢١٠} الترمذي، رقم ٢٣٧٧ ابن ماجة (٤١٠٩) ابن حبان ٨٠/٨

وكان بوسعها أن يقول ما يقوله الناس في مثل هذا الموقف بتعبيراتهم المباشرة كأن يقول: لم أجد غيره أو لا أملك أو لا أؤثر غيره وما أشبه ولكنه لم يقل شيئاً من هذا بل أجابه بمثل.

ولعل من الجوانب الأخرى التي تلقى ضوءاً على إيثاره للأمثال، وشدة اهتمامه بها وإكثاره منها، أنه ﷺ كان قد ضربها بكل الصور والأشكال التي يمكن أن تضرب بها الأمثال. فضربها عبارة وإشارة وصورة.

وفيما أوردناه ما يغنى من أمثال العبارة. أما في الإشارة فقد ورد عنه ﷺ عدد منها. ولعل من أوجزها قوله: "بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بإصبعيه: السبابة والوسطى" ^{٢١١}.

وأما أمثال الصورة والرسم، فقد روى البخاري بسنده من حديث عبد الله بن مسعود (ر) قال: (خط النبي ﷺ خطاً مربعاً، وخط خطاً في الوسط خارجاً منه، وخط خطاً صغراً إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط، فقال هذا الإنسان، وهذا أجله محيط به - أو قد أحاط به - وهذا الذي هو خارج أمله، وهذه الخطط الصغار الأعراض، فإن أخطأ هذا نهشه هذا، وإن أخطأ هذا نهشه هذا ^{٢١٢}).

وإذا كان قد استعان في هذا في الخطوط، فقد استعان في غيره بما يمكن أن نسميه الأدوات، فقد روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي سعيد الخدري (ر) أن الرسول ﷺ غرز بين يديه غرزاً ثم غرز إلى جنبه الآخر ثم غرز الثالث فأبعده، ثم قال: هل تدرون ما هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: هذا الإنسان، وهذا أجله، وهذا أمله، يتعاطى الأمل فيختلجه الأجل دون ذلك ^{٢١٣}.

فهل هناك من غاية أكثر من عنايته هذه، واهتمام أكثر من اهتمامه هذا.

^{٢١١} البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، رقم ٦٥٠٣، وأشراف الساعة ٧٤٠٣
^{٢١٢} صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب في الأمل وطوله، رقم (٦٤١٧)
^{٢١٣} مسند أحمد ١٨/٣ قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٥٨/١٠) طبعة: المكتبة الإسلامي، ط: ٥، ١٤٠٥ هـ.

ومن هذا كله يتضح أهمية الأمثال عنده ﷺ وكثرتها. وقد قاربت أمثاله ﷺ ألف مثل إن لم تزد عليه.

روى عبد الله بن عمرو بن العاص قال: حفظت عن رسول الله ﷺ ألف مثل.

ولتلك الأهمية التي أولاها القرآن الكريم والحديث الشريف للأمثال، وكانت عناية العلماء قديما وحديثا بها. حيث اهتموا بجمعها، وبنوا أهميتها ومنزلتها سواء منها ما كان من أمثال القرآن الكريم أو أمثال الحديث الشريف، أو أمثال العرب بوجه عام.

يقول الزمخشري: "ولضرب العرب الأمثال، واستحضار العلماء المثل والنظائر شأن ليس بالخفي، في إبراز غيبيات المعاني، ورفع الأستار عن الحقائق، حتى تريك المتخيل في صورة المتحقق، والمتوهم في معرض المتيقن، والغائب كأنه مشاهد. وفيه تبكيت للخصم الألد، قمع لصورة الجامح الأبى، ولأمر ما أكثر الله في كتابه المبين. وفي سائر كتبه من الأمثال^{٢١٤}".

وقال أبو هلال العسكري: "ولما عرفت العرب أن الأمثال تتصرف في أكثر وجوه الكلام، وتدخل في جل أساليب القول، أخرجوها في أقواها من الألفاظ ليخف استعمالها ويسهل تداولها. فهي من أجل الكلام وأنبله، وأشرفه وأفضله، لقلة ألفاظها وكثرة معانيها، ويسير مؤونها على المتكلم. ومن عجائبها أنها مع إيجازها تعمل عمل الإطناب. ولها روعة إذا برزت في أثناء الخطاب^{٢١٥}".

ويقول الدكتور محمد جابر فياض: "إن الأمثال عون للإنسان على الحياة في صراعه معها، واستجابة لدواعي المعرفة فيه، حيث أنه يحاول أن يعرف أكثر مما عرف فيجد نفسه مضطرا إلى الإفادة من تجارب غيره. لأن تجاربه أقل من أن تفي بغرضه، والحكم والأمثال أقصر الطرق لاطلاعه على تجارب الآخرين، ممن سبقه أو عاصره، فهي بمثابة المفاتيح لكثير من غرف الحياة المغلقة، التي يريد الإنسان

^{٢١٤}الكشاف ١٤٩/١ للزمخشري: محمد بن عمرت، بتحقيق: محمد الصادق القمحاوي طبعة الحلبي، الطبعة الأخيرة ١٩٧٢م.
^{٢١٥}جمهرة الأمثال (٥-٤/١) لأبي هلال العسكري: حسن بن عبد الله، مطبوع على هامش مجمع الأمثال.

ولوجها، والتعرف على ما فيها. وإذا كانت أساليب التعبير المختلفة - كلها - تعين على الحياة وفهمها، فالأمثال أشمل من كل تلك الأنواع، وأقصر من كل تلك السبل، ومن هنا كان لها ما كان من أهمية^{٢١٦}.

ومن أجمع وأمتع ما قيل في التأثير النفسي للأمثال قول شيخ البلاغة العربية وإمامها عبد القاهر الجرجاني، إذ يقول: "واعلم أن مما اتفق عليه العقلاء أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني، أو برزت هي باختصار في معرضه، ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته، كساها أبهة، وأكسبها منقبة، ورفع من أقدارها، وشب من نارها، وضاعف قواها في تحريك النفس لها، ودعا القلوب إليها واستثار لها من أفاصي الأفئدة صباية وكلفا، وقسر الطباع على أن تعطيه محبة وشغفا".

فإن كان مدحا كان أبي وأفخم، وأنبل في النفس وأعظم، وأهز للعطف، وأسرع للإلف، وأجلب للفرح، وأغلب على الممتدح، وأوجب شفاعة للمادح، وأفضى له بعز المنائح والمواهب، وأسير على الألسن وأذكر، وأولى أن تعلقه القلوب وأجدر.

وإن كان ذما كان مسه أوجع، وميسه أذع، ووقعه أشد وحده أحد. وإن كان حجاجا كان برهانه أنور، وسلطانه أقهر، وبيانه أبهر. وإن كان اعتذارا كان شأوه أبعد، وشرفه أجد، ولسانه ألد.

وإن كان اعتذارا كان إلى القبول أقرب، وللقلوب أخلب وللسخائم أسل، ولغرب الغضب أفل، وفي عقد العقود أنفث، وعلى حسن الرجوع أبعث.

وإن كان وعظا كان أشقى للصدر، وأدعى إلى الفكر، وأبلغ في التنبيه والزجر، وأجدر بان يجلي الغياية، ويبصر الغاية، ويبرئ العليل، ويشفى الغليل.

وهكذا الحكم إذا استقرت فنون القول وضروبه وتتبع أبوابه وشعوبه^{٢١٧}.

^{٢١٦} الأمثال في الحديث الشريف (ص ٣٨، ٣٩) للدكتور محمد جابر فياض العلواني، طبعة: مكتبة المؤيد، الرياض ط: ١، ١٤١٤هـ. ١٩٩٣م.

وخلص القول: إن أهمية ضرب الأمثال وفائدتها تتحلى بنظرة جامعة في الجوانب التالية.

أولاً: الجانب اللفظي؟

وفيه تتجلى بلاغة المتكلم، بإيجاز اللفظ وحسن التشبيه والتمثيل، وجودة الكفاية، وفيه وضوح المنطق، وتمكن المتكلم من شعب الحديث.

ثانياً: الجانب المعنوي

وتبرز فيه قدرة المتكلم على تقريب المراد، وتفهم المعنى وإيصاله إلى ذهن السامع، وإحضاره في نفسه، بصورة المثال الذي مثل به، ليكون أقرب إلى تعقله وفهمه، وضبطه واستحضاره. وفي ذلك يقول الإمام الزمخشري: (التمثيل إنما يصار إليه لما فيه كشف المعنى، ورفع الحجاب عن الغرض المطلوب، وإدناء المتوهم من المشاهد).

ويقول أيضاً: (إن الأمثال لها شأن كبير في إبراز خبيئات المعاني، ورفع الأستار عن الحقائق.....).

التمثيل يعين المتكلم أو المربي على استجماع معاني الكلام. والإمام بأطرافه وأبعاده، فله دوره في التربية والعطاء، كما له دلالاته على التمكن من (المادة) وحسن العرض والأداء.

ثالثاً: الجانب النفسي أو التربوي

ونعني به ما يتركه المثل السائر أو التشبيه التمثيلي في نفس السامع من أثر نفسي أو تربوي عميق، فإن كان السامع بعيداً عن الحق اقترب، وإن كان غافلاً معرضاً تنبه وانعظ، وإن كان جاحداً مكابراً قمع وانجزر. ولا شك أن النفس البشرية تأنس

^{٢٧} تفسير المنار (١/١٩٨-١٩٩) السيد محمد رشيد الرضا. طبعة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢م.

بالنظائر والأشباه، وتتأثر باقتراب بعضها البعض، وتفر من الغربية والوحدة وعدم النظير....) كما يقول ابن القيم.

ولا أدل على ذلك مما حدث لأحدهم مع عبد الملك بن مروان، عندما ظهر الطاعون بدمشق. وعزم ذلك الخليفة الأموي على الفرار منها إلى المدينة. فدخل عليه بعض أهل الفضل. وقال له: يا أمير المؤمنين بلغني أن ثعلبا صادق أسدا على أن يجيره من كل سباع الأرض. فكان دائما بين يديه، فظهر في يوم من الأيام عقاب في الجو، فخافه الثعلب، ووثب على ظهر الأسد، فانقض عليه العقاب واختطفه، فصاح الثعلب بالأسد: يا أبا الحارث... العهد العهد، فقال له الأسد: إنما عاهدتك عل أن أحفظك من أهل الأرض وأما أهل السماء فلا قدرة لي عليهم. ففهم عبد الملك مقصده، وقال: والله لقد وعظمتي ثم رجعت عن فكرته بمغادرة دمشق^{٢١٨}.

رابعاً: الجانب المعرفي

وأعنى به أن الأمثال تثري جوانب المعرفة المختلفة لدى الإنسان. إذ فيها يتجلى وعي الشعوب. ومن خلالها تتكشف عادات الأمم وأخلاقها، وعقليتها وتقاليدها، لأن الأمثال عادة - وليدة البيئة التي نشأت فيها^{٢١٩}.

يقول الأستاذ أحمد أمين: (وأمثال كل أمة مصدر هام جدا للمؤرخ والأخلاقي والاجتماعي، يستطيعون منها أن يعرفوا كثيرا من أخلاق الأمة، وعاداتها وعقليتها، ونظرتها إلى الحياة، لأن الأمثال - عادة - وليدة البيئة التي نشأت عنها).

ونختم هذه النقطة، بتحقيق دقيق وكشف نفيس عن أهمية الأمثال وفائدتها للإمام الحسن اليوسي رحمة الله تعالى، يقول في (زهر الأكم):

^{٢١٨} قطفوف لغوية لفتحي الخولي، ص: ٩٩ طبعة: مكتبة الإرشاد، جدة.
^{٢١٩} فجر الإسلام، ص: ٦١، لأحمد أمين، طبعة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط: ٦ (١٩٥٠م) / ١٣٧٠هـ.

(... لا يخفى على ذي ميز، ولا يشتبه على ذي لب ما جعل الله تعالى في المثل من الحكمة، وما أودع فيه من الفائدة وناط به من الحاجة. فإن ضرب المثل يوضح المنبهم، ويفتح المنغلق، وبه يصور المعنى في الذهن، ويكشف المعنى عند اللبس. وبه يقع الأمر في النفس حسن موقع وتقبله فضل القبول، وتطمئن به اطمئنانا وبه يقع إقناع الخصم، وقطع تشوف المعترض... وهذا كله معروف بالضرورة، شائع في الخاص والعام. ومتداول في العلوم كلها منقولها ومعقولها، وفي المحاورات، والمخاطبات، حتى شاع في كلام عامة المتعلمين والمعلمين قولهم "بأمثالها تعرف أو تبين الأشياء").

وسر ذلك أن المثل يصور المعقول بصورة المحسوس، وقد يصور المعدوم بصورة الموجود، والغائب بصورة المشاهد الحاضر، فيتعين العقل على إدراك ذلك بالحواس، فيتقوى الإدراك ويتضح المدرك.

وتحقيق ذلك أن العقول، وإن كانت تدرك المعلومات، لكنها غير مستقلة بنفسها غالبا في إدراك جميعها، ولا جلها استقلالا صرفا لاسيما القاصرة. وذلك أن العقول إنما تستقل بإدراك أوائل الضروريات التي توجد في غرائزها، ولا تدري لها سببا غير اختراع الفاعل المختار، وما سوى ذلك فالعقول فيها إما مفتقرة إلى الحواس، كالمعلومات التجريبية التي موادها محسوسة بإحدى الحواس، وإما مستعينة بها ضربا من الاستعانة على طريق التمثيل والتقرير ونحوه.

والعقل عادة إنما تدرك بنفسه الضروريات، وما سوى ذلك إنما يدركه بواسطة تأدية، أو تؤدي نظيره إليه من الحواس الظاهرة أو الباطنة، ومع ذلك فالمتأدي إليه إنما هو أمر جزئي بالضرورة، فمتى حاول جنسا من ذلك لم يكن الجنس بنفسه من حيث أنه جنس متأديا بشيء منها. فاحتاج إلى أن يمثل بصورة من ذلك الجنس، فيدركها لأنها هي التي كانت تتأدي إليه ليقيس عليها غيرها. وبذلك يمكنه أن يدرك القاعدة والقانون، وهو الذي نعني بالجنس في هذا المحل. حيث أدرك مادته إلا أن يكون له من لطف الإدراك وقوة الذكاء ما يستحضر به تلك الصور، وينتزع منها

مراده من غير أن يصور منها شيء مخصوص، فهذا يستغني عن التمثيل، وقليل ما هم، ومع ذلك فالنفس قد قلنا إنها قوية الاستئناس بالمحسوسات لوضوحها وسبقها... والاستئناس بالمألوف مركز في جبلة النفوس... ثم إنه كلما عرف الإنسان ضربا من العلوم ومارسه ألفتة نفسه واستأنست به، فإذا ارتحل عنه إلى منزلة أخرى حنت النفوس إلى الأولى المألوفة أيضا، فاحتيج إلى أن يضرب لها مثل بشيء مما ألفتة أو نظيره لتستأنس به وتطمئن إليه حتى لا يختص التمثيل بالمحسوسات الصرفة وهكذا أبدا...

هذا ما ألهمني الله تعالى في هذا المقام على سبيل الإجمال، وأما بسطه كل البسط فلا يسعه القول. وفيما ذكرناه كفاية، إذ ليس من الغرض الإكثار إذا فهم المقصود وأدرك المراد، فقد ظهر بهذا عظم فائدة التمثيل، وبذلك تبين فضله.^{٢٢٠}

وحقا إنه كلام نفيس وفهم دقيق، وفتح ظاهره في تحليل فائدة المثل، والكشف عن الحكمة من ضربه.

^{٢٢٠} "زهر الأكم في الأمثال والحكم" ١/٣١-٣٤، باختصار وتصرف يسير، للإمام الحسن اليوسي، طبعة: دار الهلال، بيروت.

CHAPTER 4

Muhamed V.M.”Proverbs of the Prophet : Collection Classification and Literary Analysis” Thesis. Research Department of Arabic,Farook College,University of Calicut, 2014.

الباب الرابع
الأمثال النبوية

الباب الرابع

الأمثال النبوية

ضرب النبي ﷺ الأمثال للناس، ولم يضربها لغاية فنية بحتة كغاية الأدباء في تحسين الكلام وتزيينه. وإنما استخدمها لهدف أسمى وهو إبراز المعاني فيما وكل على النبي ﷺ من رسالة ربه وبلاغه ويجعلها صورة مجسمة، لتوضيح الغامض وتقريب البعيد، وإظهار المعقول في صورة المحسوس، كما أن ضرب الأمثال أسلوب من أساليب التربية، يحث النفوس على فعل الخير، ويحضها على البر، ويدفعها إلى الفضيلة ويمنعها عن المعصية والإثم، وهو في نفس الوقت يربي العقل على التفكير الصحيح والقياس المنطقي السليم، لأجل ذلك ضرب النبي ﷺ طائفة من الأمثال في قضايا مختلفة وفي مواطن متعددة.

ولما كان الهدف من ضرب الأمثال هو إدراك المعاني الذهنية المجردة، وتقريبها من العقل، وتكوين صورة لهذا المعنى في المخيلة، ليكون التأثير بتلك الصورة أشد وأقوى من الأفكار المجردة، كثر الاعتماد على هذا الأسلوب في القرآن الكريم، قال تعالى: "ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلمهم يتذكرون"^{٢٢١}، حتى ضربت فيه ببعض الأشياء التافهة، كما في قول الله تعالى "إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها"^{٢٢٢}.

كان النبي ﷺ يمر بآيات الأمثال المضروبة للناس ويجد أثرها في الرد والتحدي، والترغيب والترهيب والوعد والوعيد، وكان يعرف دور المثل ومكانته عند قومه، فلا غرابة إذا أن يحظى^{٢٢٣} المثل باهتمامه ﷺ ما دام وسيلة من الوسائل على أداء هذه المهمة.

^{٢٢١} الزمر ٢٧
^{٢٢٢} البقرة ٢٦
^{٢٢٣} فضل عليه

والمتمثل للأمثال النبوية يجد التنويع صفة ظاهرة فيها، فقد نوع النبي ﷺ في الممثل وضارب المثل نفسه فتارة يسند ضرب المثل إلى نفسه ﷺ كما في حديث البخاري الذي مثل فيها حاله مع الأنبياء قبله، وتارة يسند ضرب المثل لله عز وجل كما في قول الرسول ﷺ في الحديث الذي رواه الإمام أحمد: (إن الله ضرب مثلاً صراطاً مستقيماً.... الحديث)، وتارة يسند ضربه للملائكة كما في حديث البخاري في قصة الملائكة الذين جاءوا إلى النبي ﷺ وهو نائم والشاهد فيه أنهم قالوا أن لصاحبكم هذا مثلاً فاضربوا له مثلاً فاضربوا مثلاً لحاله مع أمته.

نوع النبي ﷺ كذلك من موضوع الممثل، والغرض الذي سيق لأجله، فضرب الأمثال في مواضيع متعددة ولأغراض شتى من أمور العقيدة والعبادة، والأخلاق والزهد، والعلم والدعوة، وفضائل الأعمال والترغيب والترهيب، وغير ذلك، ونوع النبي ﷺ كذلك في أسلوب العرض وطريقة ضرب المثل، فاتخذ لضربه طرقاً متعددة، وأساليب مختلفة، وسلك في ذلك كل ما من شأنه إيضاح المراد، وإبرازه ماثلاً أمام الأعين، فمن تلك الأساليب استخدامه للإشارة التي تلفت أنظار السامعين وتعينهم على الفهم، فالناظر يرى الإشارة ويسمع العبارة، فيكون ذلك أدعى للذكر، كما في البخاري في الحديث عن الساعة، أشار فيه ﷺ بإصبعيه عندما أراد أن يقرر أن بعثته مقاربة لقيام الساعة، ومن ذلك أيضاً استعانه بالرسم التوضيحي كوسيلة من وسائل التعليم والإيضاح، عندما تحدث عن الصراط المستقيم وسبل الشيطان.

كان رسول الله ﷺ حريصاً على ضرب المثل في الأحداث والمواقف المتعددة لأهداف تربوية، ففي بعض المواقف كان رد المباشر كافياً لكن النبي ﷺ أثر ضرب المثل لما يحمله من توجيه تربوي وسرعة في إيصال المعنى المراد ربّما لا يؤدي غيره دوره في هذا المقام، فيراه الصحابة مرة نائماً على حصير وقد أثر الحصير في جنبه فيقولون: "يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاء"، فيقول: "ما لي وللدنيا وما أنا إلا كراكب استنزل تحت شجرة ثم راح وتركها"، كما في الترمذي، حتى المشاهد التي تمر في حياة الناس، فلا يلتفتون إليها، ولا يلقون لها بالاً، يجد فيها النبي ﷺ أداة

مناسبة للتوجيه والتعليم وضرب الأمثال بها، يمر النبي ﷺ مرة بالسوق والناس كتفيه، فمر بجدي أسك ميت، فتناوله، فأخذ بأذنه ثم قال: "أيكم يحب أن يكون هذا له بدرهم؟" فقالوا: "ما نحب أنه لنا بشيء وما نصنع به؟" ثم قال: "أتحبون أنه لكم؟" قالوا: "والله لو كان حيا كان عيبا، أنه أسك، فكيف وهو ميت!" فقال: "فو الله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم" رواه مسلم^{٢٢٤}.

هذه الدلالات - وغيرها كثير - تؤكد مكانة الأمثال في السنة النبوية، واهتمام النبي ﷺ بها، وضرورة الاعتناء بالأمثال النبوية جمعا وتحليلا ودراسة، والاستفادة المثلى منها في مناهجنا التعليمية وبرامجنا التربوية والدعوية ودراستنا الأدبية.

^{٢٢٤} انظر: النووي، الإمام أبو زكريا يحيى بن شرف الدمشقي، رياض الصالحين (رقم الحديث ٤٦٤).

الفصل الأول:

أغراض الأمثال النبوية وخصائصها التربوية

اهتم العلماء والأدباء وأهل الحديث وأهل البلاغة بالأمثال أيما اهتمام، فقد عمدوا إلى شرحها وبيان معانيها، وأبرزوا دورها في تقريب المعاني من الأفهام، وأمثال النبي ﷺ لها أهمية عظيمة، ومما يدل على ذلك إكثار النبي ﷺ منها، وتركيزه عليها في حله وترحاله وفرحه وحزنه، واعتمادها أحد الأساليب التي يعلم بها أصحابه رضوان الله عليهم وأمتة من بعدهم^{٢٢٥}.

أغراض الأمثال النبوية :

ضرب رسول الله ﷺ الأمثال على أغراض تربوية عدة، حتى أن الناظر فيها ليجد أغراضا متعددة حتى في الحديث الواحد، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على حرص النبي ﷺ على إيصال دعوته للناس وحرصه على فهمهم لها، ومن هذه الأغراض^{٢٢٦}:

١. إبراز المعنى المعقول في صورة المحسوس وذلك لأن المعنى المعقول لا يستقر في الذهن إلا إذا كان في صورة حسية تقربه من الفهم، وذلك أن النفس تأنس بالشبيه والنظير، وتتفر من عدمه، فشرع إلى الانقياد والقبول.
٢. الإعانة على فهم المعاني الرائعة بألفاظ موجزة، وتقديم أفكار غزيرة ودقيقة، لتدل على المراد بعبارة مختصرة.

^{٢٢٥} العطار، سالم ناليف، بحث بعنوان "طرائق النبي ﷺ في تعليم أصحابه" مجلة جامعة الأقصى/المجلد ١١/العدد الثاني، يونيو ٢٠٠٧م (ص ١٣٢-١٣٣)

^{٢٢٦} الميداني عبد الرحمن حسين حنيفة، أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع، دار القلم، دمشق (ط ١٤١٢/٢هـ، ١٩٩٤م/الحكيم الترمذي، أبو عبد الله محمد بن علي، الأمثال من الكتاب والسنة: تحقيق د. سيد الجميلي، دار ابن زيدون، دار أسامة، بيروت (ص ١٣-١٤)

٣. تقرير المقصود، ففيها كشف للمعاني، وتشبيه الخفي منها بالجلي، والغائب بالشاهد.
٤. الترغيب والترهيب، وذلك إما بالمدح أو التعظيم، أو بالذم أو التحقير، مما ينعكس على السلوك إقبالا أو نفورا.
٥. قوة وقعها على الأسماع، وتأثيرها في القلوب، فهي بالغة في الوعظ، قوية في الزجر، وإقامة الحجة، والقياس والاستنباط، وأقوم على الإقناع بذكرها محاسن الحق والترغيب فيه، وذكرها قبائح الباطل والتنفير منه.
٦. تغطية المقصود بعبارات من الألفاظ مراعية للأدب والحياء.
٧. إثارة المشاعر بتركيزها على محو الطمع أو الرغبة أو الخوف أو الحذر لدى الشخص المخاطب.
٨. تحريك الطاقات الفكرية وشحن الذهن لتوجيهه للفكر والتأمل من أجل إدراك المراد.
٩. الدلالة على الحكم والفوائد العلمية والأحكام الشرعية في جوانب العقيدة.
١٠. تربية النفوس بإظهار نموذج القدوة الحسنة للاقتداء بها، وإظهار نموذج القدوة السيئة للنفور منها والاعتبار بها.
١١. ترسيخ مفاهيم التوحيد والإيمان، والإبلاغ عن المغيبات، كما توجه المخاطب إلى أداء العبادات والالتزام بالأخلاق الحسنة، وتجنب الأخلاق السيئة.
١٢. تبكيت الخصم وإقناعه وإقامة الحجة عليه.

خصائص الأمثال النبوية :

ضرب النبي ﷺ الأمثال حينما حدث أصحابه ومن سواهم للتنبيه على ما فيه من الخير في حياتهم الدنيوية والأخروية. وكرر مواعظه ونصائحه لهم، للفت انتباههم وإزالة الغفلة عن نفوسهم، وأن الناظر المتفحص لأمثاله ﷺ ليجد فيها الخصائص والميزات ما تروق له النفس وتأنس به ومن تلك الخصائص ما يلي:

١. دقة التصوير.

٢. دقة المماثلة وصدقها بين الممثل والممثل له.
٣. التشويق والبعد عن النفور.
٤. التكرار بهدف ترسيخ المعلومات والحقائق، وعدم نسيانها ولتكون أكثر وقعا في النفس.
٥. التنويع في طرق عرض الأمثال.
٦. البناء على الأمثال والحكم عليها كأنها عين الممثل له حيث أن المثل هو الطريقة لبيان صورة الممثل له في مخيلة المخاطب ثم بعد ذلك متابعة الكلام لإبراز الأمور المراد بيانها.
٧. الكثرة، حتى أفرد بعض العلماء كتباً خاصة بها، وما ذلك إلا لعظيم فائدتها في الإرشاد والتوجيه والتربية.
٨. إبراز الحقائق في صورة واضحة للناظر كأنه يراها رأي العين.
٩. التصوير المتحرك الحي، بحيث تبرز فيه المشاعر النفسية والوجدانية.
١٠. الإيجاز، الذي يعمل عمل الإطناب حتى في الأمثال القياسية، فهي موجزة بالنسبة لغيرها من الكلام، وهذا الإيجاز يساعد على الحفظ حيث أن الحفظ مرتبط باللفظ الرائع والمعنى النادر.
١١. موافقة أمثال القرآن الكريم بما فيها من بيان وشرح ووعظ وتذكير وتمثيل.
١٢. الجمال في التنغيم الصوتي الذي ينفذ إلى الروح، والقيم الصوتية تقاس إما بالتفعيلات الموجودة في الوزن الشعري وإما بالبديع، ولذلك يقتبس الشعراء من الأحاديث. يفهم هذه الخصائص من شرح الأمثال النبوية الذي سيأتي بعد في باب خاص.

الفصل الثاني : التأليف في الأمثال

ولمكانة الأمثال وأهميتها اهتم العلماء بالتأليف فيها قديما وحديثا حيث جمعوها ورتبها وشرحوا غريبها وبنوا القصص التي صدرت عنها، والمناسبات التي تضرب فيها وتحكى، وليس من غايتنا استقصاء المؤلفات فيها، إنما الإشارة إلى بعضها وبخاصة ما يتعلق منها بأمثال القرآن وأمثال الحديث.

الكتب المؤلفة في أمثال القرآن الكريم :

كثرت الكتب المتعلقة بأمثال القرآن الكريم كثرة بالغة.... وقد ذكر عدد من الباحثين والمحققين مجموعة كبيرة منها ما يأتي:

١. أمثال القرآن - للجنيد بن محمد القواريري، المتوفى سنة ٢٩٨هـ.
٢. أمثال القرآن - لإبراهيم بن محمد بن عرفة بن مغيرة المعروف بنفطوية، توفي سنة ٣٢٣هـ (مخطوط)
٣. أمثال القرآن - لأبي علي محمد بن أحمد بن الجنيد الإسكافي (ت ٣٨١هـ)
٤. أمثال القرآن - لأبي عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي النيسابوري (ت ٤١٢هـ) (مخطوط)
٥. أمثال القرآن الظاهرة - مخطوط توجد صورة منه بمعهد المخطوط العربية بالقاهرة برقم (١٠٠٨) أدب، وهو مصور عن نسخة بباريس برقم (٩٦٢٨) ٢٢٧
٦. أمثال القرآن - لشمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (ت ٧٥٤هـ) طبع في كتاب مستقل، وهو جزء من كتاب أعلام الموقعين.
٧. أمثال القرآن وصوره من أدبه الرفيع - لعبد الرحمن حسن حنبكة الميداني.

٨. أمثال القرآن - للمولوي أحمد بن عبيد الله الكوزكعاني التبريزي (ت ١٣٢٧هـ)
مطبوع على الحجر في تبريز عام ١٣٢٤هـ
٩. أمثال القرآن - للدكتور محمود بن الشريف، طبع دار المعارف بمصر.
١٠. الأمثال في القرآن الكريم - للدكتور محمد جابر الفياض، مطبوع.
١١. الصورة الفنية في المثل القرآني - للدكتور محمد بن حسين علي الصغير،
مطبوع.
١٢. أمثال القرآن - للدكتور منصور بن عون الأبدلي الشريف، رسالة ماجستير
بجامعة أم القرى.
١٣. أمثال القرآن وأثرها في أدب العرب - نوري الحق تنوير، رسالة ماجستير في
كلية دار العلوم بالقاهرة.
١٤. أمثال القرآن - لأبي القاسم محمد بن حبيب النيسابوري، تحقيق زكريا سعيد
علي - القاهرة: دار الهاني للطباعة والنشر، طبعة تجريبية.
١٥. رسالة في أمثال القرآن مع شرح روضات الأمثال - لأحمد بن عبد الله
الكوزكفاني.
١٦. الأمثال القرآنية - لعلي بن محمد الماوردي.
١٧. المثل في القرآن - لمنير القاضي.
١٨. أمثال القرآن - لناصر بن سعد الرشيد.
١٩. الأمثال في القرآن الكريم - لجعفر السبحاني، وهو كتاب ضخمة، مؤلفه
معاصر، وله موقع كبير على شبكة المعلومات (الإنترنت).
٢٠. الأمثال في النثر العربي القديم مع مقارنتها بنظائرها في الآداب السامية
الأخرى - للدكتور عبد المجيد عابدين.

الكتب المؤلفة في أمثال الحديث الشريف :

أ- نظرة في كتب الحديث :

لقد اختلف طرائق أهل الحديث في ترتيب أحاديث الرسول ﷺ وتبويبها، ولقد لجأ البخاري ومسلم إلى ترتيب الأحاديث حسب الأبواب الفقهية واقتصر أصحاب السنن

كالترمذي وأبو داود والنسائي وابن ماجة على أحاديث الأحكام التي رتبوها حسب مواضعها أيضا، بينما رتب آخرون الأحاديث حسب راويها من الصحابة، كما قام به أصحاب المسانيد كأحمد في مسنده.

بيد أن أيا من جامعي الأحاديث حسب المواضيع والأبواب الفقهية لم يفرد كتابا للأمثال سوى الترمذي، فقد أفرد لها كتابا جاء في ستة أبواب وجمع فيه أربعة عشر حديثا، وكذلك لم تحظ أمثال الحديث بالعناية التي نالها أمثال القرآن أو الأمثال العربية بعامة.

جهود السيوطي :

قام السيوطي بخدمة الحديث النبوي الشريف من خلال محاولة جمع الأحاديث النبوية قاطبة. وسمى كتابه بـ"الجامع"، وقد رتبته على حسب حروف الهجاء، في الحرف الأول وما بعده ليكون الكشف عن الحديث سهلا ميسورا^{٢٢٨} لهذا فقد جاءت الأمثال النبوية متسلسلة لأنها تبدأ بكلمة (مثل)، وكان عدد الأمثال التي جمعها اثنين وأربعين مثلاً، وها هي بعضها:

١. مثل البيت الذي يذكر الله فيه والبيت الذي لا يذكر الله فيه مثل الحي والميت.
٢. مثل الإيمان مثل القميص تقمصه مرة، وتنزعه أخرى.
٣. مثل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل صاحب المسك وكبير الحداد، لا يعدمك من صاحب المسك إما أن تشتريه أو تجد ريحه، وكبير الحداد يحرق بيتك أو ثوبك أو تجد منه ريحا خبيثة.

ب- كتب الأمثال وجمعها للأمثال النبوية :

فلم تتل أمثال الحديث العناية التي نالتها أمثال القرآن وأمثال العربية بعامة، على الرغم من ذلك اهتم عدد من جامعي الأمثال القدامى بجمع الأمثال، ولكنهم اختلفوا

^{٢٢٨} عبد الهادي، عبد المهدي، طرق تخريج حديث رسول الله ﷺ، ص ٣١، دار الاعتصام ١٩٨٧م

في طريقة الجمع والتبويب كما كان جمعهم جزئياً، ومن أهم من قام بذلك أبو عبيد القاسم بن سلام والميداني.

جهود أبي عبيد القاسم بن سلام :

لم يفرد أبو عبيد في كتابه الأمثال باباً للأمثال النبوية، بيد أنه أورد ثلاثين مثالا من الأمثال النبوية، وأدرجها مع الأمثال الأخرى، لكنه كان يشير عند كل مثال أنه حديث مرفوع إلى الرسول ﷺ، ومنها ما يأتي:

١. البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس.
٢. ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما أيدي الناس يحبوك.
٣. إنكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع.
٤. إياكم وخضراء الدمن.
٥. الجار ثم الدار والرفيق قبل الطريق.

جهود الحكيم الترمذي :

ولم يوجد أحد من أصحاب الكتب الستة أفرد لها باباً في كتابه سوى الإمام الترمذي الذي خصص للأمثال الحديث مكاناً في جامعه تحت عنوان: 'أبواب الأمثال عن رسول الله ﷺ'. لكنه لم يذكر تحت هذا العنوان غير أربعة عشر حديثاً، ولهذا يقول ابن العربي: ولم أر أحداً من أهل الحديث صنف فأفرد لها باباً غير أبي عيسى - يعنى الترمذي - والله دره، لقد فتح باباً، أو بنى قصرًا أو داراً، ولكن اختط خطأ صغيراً، فنحن نقنع به ونشكره عليه^{٢٢٩}."

ويشير ابن العربي بقوله هذا إلى ما ذكره الترمذي من الأمثال قليلاً جداً بالنسبة لما روى عن النبي ﷺ فيها، فقد روى ابن خلد بسنده عن ابن عمر (ر) قال: "حفظت

^{٢٢٩} الترمذي، بشرح ابن العربي (١٠/٢٩٥) انظر نظرات فقهية وتربوية في أمثال الحديث (ص ٨٥)

عن النبي ﷺ ألف مثل"، ومع أن ابن العربي قد حكم على هذا الأثر بعدم الصحة، لكنه يدل بصورة واضحة على كثرة الأمثال المروية عن النبي ﷺ.^{٢٣٠}

وهذه بعض الأمثال النبوية التي جمعها الحكيم الترمذي:

١. إنما مثل العالم كمثل ينبوع من ماء، يسقى بلده ومن مر به.
٢. الصيام جنة كجنة أحدكم من القتال.
٣. مثلي ومثل الساعة كفرسي رهان سبق أحدهما الآخر بأذنه.
٤. مثلي كمثل قوم بعثوا طليعة، فرأى العدو، فجاء ليخبرهم إن العدو قد هجم فلاح بثوبه مخافة أن يسبقه العدو.
٥. مثل المصلي الذي لا يتم ركوعه ولا سجوده كمثل الجائع الذي يأكل التمرة والتمرتين لا تغنيان عنه شيئاً.

وقد جاءت أمثاله كلها من نوع المثل القياسي (مثل التمثيل) وليس مثل السائر.

الرامهرمزي :

ومن المحدثين الذين أفردوا أمثال الحديث في التأليف أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي، له (كتاب أمثال الحديث المروية عن رسول الله ﷺ) وهو كتاب صغير، احتفظ معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بميكروفيلم له تحت رقم ٩٤ حديث^{٢٣١}.

يقول ابن خلاد في مقدمة هذا الكتاب: "هذا ذكر الأمثال المروية عن رسول الله ﷺ، وهي على خلاف ما رويناها من كلامه المشاكل للأمثال المذكورة عن متقدمي العرب، فإن تلك تقع مواقع الإفهام باللفظ المجمل الموجز، وهذه بيان وشرح وتمثيل، يوافق أمثال التنزيل، التي وعد الله عز وجل بها وأوعده، وأحل وحرّم، ورجّى

^{٢٣٠} نفس المرجع (ص ٨٦)
^{٢٣١} حققته أمة الكريمة القرشية، وطبع بحيدرآباد، باكستان سنة (١٣٨٨هـ/١٩٦٨م).

وخوف، وفزع بها المشركين، وجعلها موعظة وتفكيراً، ودل على قدرته مشاهدة وعياناً، وعاجلاً وأجلاً.

(وله المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم)

ويشير ابن خلد في هذه المقدمة إلى أن الأمثال المأثورة عن النبي ﷺ، منها ما يندرج تحت النوع الأول - وهو المثل الموجز السائر، ومنها ما يدخل تحت النوع الثاني - وهو المثل القياسي، الذي هو موضوع كتابه هذا، كما يشير إلى أن أمثال الحديث توافق أمثال القرآن في القصد والغاية.

الميداني :

هو أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني، وقد خصص الميداني في آخر كتابه (مجمع الأمثال) فصلاً للكلام النبوي المندرج تحت المثل الموجز السائر، جمع فيه ثمانية وخمسين حديثاً ذهب مذهب الأمثال في اختصارها وبلاغتها، ساقها بدون أسانيد، ومن غير تخريج لها عن كتب السنة، ودون أن يبين الظروف التي قيلت فيها.

وقد ذكر الميداني في مقدمة كتابه (مجمع الأمثال): إن للعسكري كتاباً في أمثال الحديث، فقال: "وأما الكلام النبوي من هذا الفن، فقد صنف العسكري^{٢٣٢} فيه كتاباً برأسه ولم يأل جهداً في تمهيد قواعده وأساسه).

ومن المؤلفين في الأمثال النبوية :

١. أبو عروبة الحسين بن محمد بن أبي معشر الحراني، المتوفى سنة ٣١٨هـ.

كتابه : الأمثال السائرة عن رسول الله ﷺ

٢. عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني : روائع من أقوال الرسول ﷺ، شركة

عكاظ للنشر والتوزيع.

^{٢٣٢} هو أبو الحسن علي بن سعيد بن عبد الله العسكري، كتابه الأمثال، جمع فيه ألف حديث مشتملة على ألف مثل عن النبي ﷺ، كذلك قال الكتاني في (الرسالة المستطرفة) انظر نظرات فقهية وتربوية في أمثال الحديث ص ٧٨.

٣. كامل سلامة دقس : من روائع الأدب النبوي، دار الشروق، جدة.
٤. عبد المجيد محمود : أمثال الحديث مع مقدمة في علوم الحديث، مطبعة السنة المحمدية بمصر سنة ١٩٧٥.
٥. محمد علي الصابوني : من كنوز السنة.
٦. أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري المعروف بأبي الشيخ الأصبهاني، المتوفى سنة ٣٦٩هـ، أمثال في الحديث النبوي.
٧. أبو عبد الله محمد بن سلامة القضاعي، ت ٤٥٤هـ : مسند الشهاب.
٨. الدكتور عبد المجيد محمود عبد المجيد : نظرات فقهية وتربوية في أمثال الحديث مع مقدمة في علوم الحديث.
٩. محمد جابر الفياض العلواني : الأمثال في الحديث النبوي الشريف.
١٠. عكاشة عبد المنان الطيبي : الصحيح المسند في الأمثال والحكم.
١١. أبو هلال حسن بن عبد الله بن سهل العسكري : جمهرة الأمثال.

الفصل الثالث : أقسام الأمثال النبوية

الباحث في أحاديث رسول الله ﷺ يرى أنه ﷺ ما كان يستعمل الأمثال السائرة على ألسنة الناس في ذلك العصر، بل كان يكثر من استخدام التمثيل القياسي في مختلف الأحيان والأوقات.

والمتفحص في كتب الأمثال النبوية لا يجد أي ذكر لأنواع الأمثال في السنة النبوية سوى فقرة في مقدمة كتاب (أمثال الحديث) للرامهرمزي، أشار فيها إلى ذلك بقوله: "هذا ذكر الأمثال المروية عن النبي ﷺ وهي على خلاف ما رويناها من كلامه

المشاكل للأمثال المذكورة عن متقدمي العرب، فإن تلك مواقع الإفهام باللفظ الموجز
المجمل، وهذا بيان وشرح وتمثيل يوافق أمثال التنزيل التي وعد الله عز وجل بها،
وأوعد وحرم وأحل ورجا وخوف وقرع بها المشركين، وجعلها موعظة
وتذكيراً^{٢٣٣}.

يقول د. عبد المجيد في كتابه: (نظرات فقهية وتربوية في أمثال الحديث): إن ابن
خلاد الرامهرمزي أشار في كتابه إلى أن الأمثال المأثورة عن النبي ﷺ القول
الموجز السائر الذي يشابه فيه أمثال العرب ومنها المثل القياسي الذي هو موضوع
كتاب ابن خلاد، كما ذكر أنها أمثال توافق القرآن في القصد والغاية^{٢٣٤}.

وجدير بالذكر هنا حينما يبحث عن أمثاله السائرة وهي في الحقيقة ما استعملها النبي
ﷺ عبارات قصيرة لتوضيح فكرة ما، ثم أصبحت هذه العبارات قولاً سائراً على
أسنة الناس، فالرسول ﷺ هو مبدع هذه العبارات على غير مثال سابق.... لذا فهي
لم تكن أمثالا سائرة في عصره، بينما هو اليوم كذلك لاستطارة أمرها على الألسن،
من هنا يجدر تقسيم الأمثال النبوية إلى الأقسام التالية :

١. أمثال قياسية.

٢. أمثال أصبحت سائرة، وسنسميها أمثالا سائرة على اعتبار ما صار.

٣. أمثال سائرة في عصره.

التفريق بين القسمين الثاني والثالث لم يكن سهلاً، بل سيكون التفريق في جزء منه
ظنياً، لذلك سأضرب مثالا واحداً ثم أجعل القسمين قسماً واحداً، قال الرسول ﷺ:

^{٢٣٣} الرامهرمزي، أبو الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد (ت ٥٧٦هـ) أمثال الحديث المروية عن النبي ﷺ، تحقيق: أحمد عبد الفتاح
تمام، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت (ط ١/٤٠٩هـ) ص ٨.
^{٢٣٤} عبد المجيد محمود، نظرات فقهية وتربوية في أمثال الحديث، مكتبة الصديق الطائف، مكتبة البيان - الطائف، مكتبة السوادي، جدة،
(ط ٢/١٣٤١٣هـ/١٩٩٢م) ص ٨٧.

انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، قالوا: يا رسول الله هذا ننصره مظلوماً، فكيف ننصره ظالماً؟ قال: تأخذ فوق يديه^{٢٣٥}.

والظاهر أن العرب في جاهليتهم يستخدمون مقولة: (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً) وكانت جزءاً من قيمهم وكانوا ينصرون أخاهم في ظلمه وحقه وجوره وعدله ولكن النبي ﷺ قد غير في دلالتها، ونقلها إلى دلالة ذات قيمة عظيمة حين بين هذا التغيير بعد ما سئل، وهو كان يتوقع هذا السؤال من الرجال الذين تربوا على يديه، وعلموا أن عليهم أن يكونوا شهداء بالقسط ولو على أنفسهم أو الوالدين والأقربين.

الأمثال القياسية :

قد بينا في الباب السابق عن المثل القياسي وذلك كل مثل فيه تشبيه مهمما كان نوع هذا التشبيه، والتشبيه والتمثيل في اللغة بمعنى واحد، ومعنى التشبيه: الدلالة على المشاركة بين شيئين في صفة من الصفات أو معنى من المعاني، إما على سبيل التتابع أو التقارب لغرض ما، ويختص لفظ التمثيل بالتشبيه المركب الذي يكون وجه الشبه فيه منتزعا من متعدد، وأركانه هي: المشبه والمشبه به وأداة التشبيه ووجه الشبه.

أما وجه الشبه ربما يكون صفة أو يكون صفات مشتركة بين المشبه والمشبه به وأداة التشبيه: إما حروف كالكاف أو كأن وإما أسماء كمثل أو شبه وشبيه ونظير ومثيل، وإما أفعال كيشبه ويماثل ويُنَظَر ونحوها، وعند النظر في أقوال النبي ﷺ نجد في كلامه أنه استخدم المثل القياسي بكثرة. وسأكتفي هنا بذكر بعض الأمثال القياسية وسيأتي بيان مزيد منها في الفصول اللاحقة، أن شاء الله.

^{٢٣٥} صحيح البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب أعن أخاك ظالماً أو مظلوماً، الرقم ٢٢٦٤

ومن الأمثال القياسية في الأحاديث ما يلي:

مثل الرسول والأنبياء :

١. قال الرسول ﷺ مثلي ومثل الأنبياء كرجل بنى دارا فأكملها وأحسنها إلا موضع لبنة، فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون ويقولون: "لولا موضع اللبنة^{٢٣٦}".

مثل الرسول ومثل الناس :

٢. إنما مثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله، جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها، فجعل ينزعهن ويغلبهن فيقتحمن فيها، فأنا آخذ بحجزكم عن النار وهم يقتحمون فيها^{٢٣٧}.

مثل هدى الرسول ﷺ وعلمه واستفادة الناس بهما :

٣. مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً، فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا وأصابت منها طائفة أخرى، إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به^{٢٣٨}.

الأمثال السائرة :

المثل السائر فهو كل حديث قاله الرسول ﷺ مما يمكن أن يستدل به أي شخص لحالة مشابهة للأمر الذي قيل فيه هذا الحديث، وبشرط ألا يكون استدلاله عقدياً أو فقهيّاً، لأنه إن كان قد استدل به على حكم شرعي، فإنه يخرج من باب الأدب الأمثال ليدخل

^{٢٣٦} صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب خاتم النبيين ﷺ، ٣٢٧٠، ٣٢٧١.
^{٢٣٧} صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب الانتهاء عن المعاصي، ٦٠٠٢، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى (ووهبنا لداود سليمان) ٣١٧٣.
^{٢٣٨} كتاب العلم، باب فضل من علم وعلم، ٧٧ (صحيح البخاري)

موضوعا آخر، فالمثل لا يستدل به على حكم شرعي، ولا على أمر غيبي، بل يؤتى به لتقريب الصورة الحاضرة من خلال قياسها بصورة سابقة^{٢٣٩}.

وعرف كذلك ما أثر عن النبي ﷺ من أقوال موجزة وكلمات جامعة حكيمة سارت وفشت بين المسلمين فأصبحت أمثالا^{٢٤٠}.

وهذا المثل النبوي الموجز الذي نسميه مثلا سائرا هو على اعتبار ما صارت إليه تلك الأقوال الموجزة من التداول على الألسن.

ثمة خلط بين الحكمة والمثل، لذا فإن ما سيتم سرده هنا قد لا ينطبق على بعضه تعريف (المثل) الاصطلاحي، وها هي بعض الأمثال السائرة:

١. لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين^{٢٤١}.
٢. أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم^{٢٤٢}.
٣. الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا^{٢٤٣}.

الجديد في الأمثال النبوية :

المثل هو القول الشائع السائر على ألسنة الناس، وحينما نبحت عن الجديد في المثل النبوي ينبغي أن نعتبر أمرين هاميين، أولا: إلى أي حد استخدم النبي ﷺ الأمثال التي كانت سائرة في عصره، ثانيا: إلى أي منتهى بلغ شيوع أقوال النبي ﷺ على ألسنة عامة الناس، يعنى الأقوال التي كان النبي ﷺ هو منشؤها ولم يسبق إليها.

ومما لا جدال في أن الإسلام ألغى كثيرا من القيم الجاهلية ومن ألفاظها، بل إنه غير دلالة كثير منها، واستحدث ألفاظا جديدة، فما الجديد في أقواله ﷺ ؟

^{٢٣٩} حسين سمرهاني طاهر محمد، الأمثال في صحيح البخاري دراسة لغوية دلالية، جامعة النجاح الوطنية نابلس، فلسطين، ٢٠٠٤م، ص ١٩-٣٥

^{٢٤٠} جربوع عبد الله بن عبد الرحمن، الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان، مجلد ٣، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية (ط ١ / ٤٢٤ هـ، ٢٠٠٣م)، ج: ١، ٢١

^{٢٤١} البخاري، الجامع الصحيح المختصر، كتاب الأدب، باب لا يلدغ المؤمن، حديث رقم ٥٧٨٢، ج: ٥، ص ٢٢٧١.

^{٢٤٢} البخاري، كتاب الأحكام، باب الألد الخصم، رقم ٦٦٥١.

^{٢٤٣} البخاري، كتاب الأنبياء، حديث رقم ٣٢٠٣.

بحث عن هذا الأمر من القدماء الجاحظ في كتابه "البيان والتبيين" حيث قال:
"سنذكر من كلام رسول الله ﷺ مما لم يسبقه إليه عربي ولا شاركه فيه أعجمي ولم
يدع لأحد ولا ادعاه أحد، مما صار مستعملا ومثلا سائرا^{٢٤٤}"، ولكنه لم يأت إلا
بسبعة أمثال وها هي كلها:

١. يا خيل الله اركبي^{٢٤٥}.
٢. مات حتف أنفه^{٢٤٦}.
٣. لا تنتطح فيه عنزان^{٢٤٧}.
٤. الآن حمي الوطيس^{٢٤٨}.
٥. كل الصيد في جوف الفرا^{٢٤٩}.
٦. هدنة على دخن وجماعة على أفداء^{٢٥٠}.
٧. لا يلسع المؤمن من جحر واحد مرتين^{٢٥١}.

يستغرب الباحثون من اقتصار الجاحظ على هذه الأمثال السبعة على ما لم يسبق فيه
الرسول ﷺ، لأنهم يرون مئات الأحاديث شائعة مثل هذه السبعة أو أكثر منها، لكن
يبدو أن الجاحظ لم ير غيرها شائعة في عصره.

إذا كان الشيوع سببا في اعتبار القول مثلا وانتقلنا إلى الجدة في قوله وجدنا أمثالا
نبوية عديدة لم يسبق فيها النبي ﷺ، وحيث أنها كثيرة كثرة بالغة، كان الأولى محاولة
جمع الأحاديث التي قالها الرسول مختارا إياها ممن سبقه، ومن الأمثال النبوية
الجديدة كل الجدة الأمثال القياسية.

^{٢٤٤} الجاحظ، أبو عثمان، البيان والتبيين، ج ٢، ص ٤٣، دار الفكر للجمع، ١٩٦٨م.
^{٢٤٥} الميداني، أبو الفضل أحمد، مجمع الأمثال، ص ١٨٢ تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط ٢، المكتبة التجارية الكبرى ١٩٥٩م
^{٢٤٦} مسند الإمام أحمد، ١٥٨١٨، الميداني، مجمع الأمثال ج: ٢، ص: ١٨٢
^{٢٤٧} لم أجده في الكتب المشهورة (للحديث).
^{٢٤٨} مسند الإمام أحمد، ١٦٨٠ / الميداني، مجمع الأمثال ج: ٢، ص ١٠٤.
^{٢٤٩} انظر العسكري، أبو هلال جمهرة الأمثال، دار الجيل، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وزميله، ج: ٢، ص ١٦٢، رقم المثل
١٤٥٠ (لم أجده في كتب الأحاديث).
^{٢٥٠} أبو داود، سليمان، كتاب الفتن والملاحم ٣٧٠٦، دار الريان للتراث ١٩٨٨
^{٢٥١} صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ٥٦٦٨، لكن لفظ: يلدغ بدل يلسع، انظر الميداني، المجمع،
ص: ٢١٥

الأمثال القياسية :

ينبغي أن يذكر هنا أن هذا النوع من الأمثال لم تكن معروفة قبل عصر الرسول ﷺ حتى يصعب أن تجد مثلاً قياسيًّا في مجمع الأمثال للميداني على سبيل المثال وهو أضخم موسوعة في الأمثال العربية، وكذلك الحال بالنسبة إلى أمثال أبي عبيد، أهم كتاب في الموضوع من ناحية قدمه^{٢٥٢}، "والظاهر أن المثل القياسي في الآداب السامية بنوع خاص قد نشأ في أحضان الديانات^{٢٥٣}"، من هنا فإن الأمثال النبوية القياسية جديدة عن بكرة أبيها ولم يفلد فيها الرسول ﷺ أحداً، ولم يتمثل فيها بقول أحد سبقه..... وإن كان قد استقاها من القرآن الكريم.

الجديد في موضوع المثل النبوي :

تختلف مواضيع المثل النبوي عن مواضيع المثل الجاهلي، ففي المثل النبوي نجد أنها تتركز على الدعوة إلى الالتزام بطاعة الله تعالى وعبادته، وعلى التخلق بالقيم الإسلامية وما شابه ذلك وكذلك الألفاظ كانت واضحة وخالية من الفحش بينما نرى المثل الجاهلي يميل إلى استخدام الألفاظ التافهة والفاحشة.

استخدام الرسول ﷺ الأمثال السائرة في عصره :

ذكرنا أن الأمثال السائرة كانت كثيرة قبل بعثة النبي ﷺ وبعده، واستخدام النبي ﷺ هذه الأمثال ممكن. ولكن كيف نعرف أن هذا القول قد كان متداولاً قبل أن يقوله الرسول ﷺ أو لم يكن؟ أرى سبيلاً لحل هذه المشكلة وذلك الاحتكام إلى الميداني في مجمع أمثاله هو أصح ما يمكن فعله، ولكن العملية ليست سهلة، ذلك أن الميداني يعد من المتأخرين وأنه توفي سنة ٥١٨ هـ، وكذلك أنه لم يبين أصل المثل أو قائله الأول إلا نادراً، كما أن رواية الأحاديث لم يثيروا إلى شيء من ذلك إلا أن التدوين قد بدأ

^{٢٥٢} أبو عبيد لم يورد سوى مثلاً قياسيًّا واحداً، وهو مثل نبوي ونصه، "مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع، تميلها الريح مرة هاهنا ومرة هاهنا، ومثل الكافر كمثل الأرزة المجدية على الأرض حتى يكون انحعافها مرة، البكري، أبو عبيد فضل المقال في شرح كتاب الأمثال، تحقيق إحسان عباس وزميله، ط ٣ مؤسسة الرسالة، ص ٧
^{٢٥٣} عابدين، عبد المجيد، الأمثال في النثر العربي القديم مع مقارنتها بنظائرها في الآداب السامية الأخرى، ص ١٢، الطبعة الأولى، دار المصر للطباعة ١٩٥٦م

منتصف القرن الثاني الهجري، هذه الأسباب تجعل عملية التمييز الدقيق بين الأمثال النبوية الأصيلة وبين الأمثال النبوية التي فيها مجازاة لما كان سائرا من أمثال عمل دونه خراط القتاد، إذا اعتمدنا على الأسس التالية تعيّن كثيرا على تمييزها وإن لم يكن كاملا :

١. أن يلحق الميداني المثل صراحة لشخصية جاهلية
٢. أن ينسب للرسول ﷺ المثل ويصرح أنه تمثل به
٣. أن يذكر أن العرب تضرب شيئا لشيء استخدمه الرسول ﷺ في مثل أو يقول إن هذه كلمة استخدمها العرب لكذا وكذا.
٤. أن يذكر أنه مثل قديم ولا يذكر أنه مثل نبوي ثم نجد هذا المثل ذاته في كتاب من كتب الحديث المعروفة.
٥. أن نجد شيئا من المماثلة بين حديث ومثل قديم، لكن من غير أن يكون ثمة تطابق بينهما.
٦. أن يصرح أن الحديث على معنى كذا، لكن العرب كان مذهبهم في هذا المثل كذا، وفيها يلي بعض هذه الأمثال:

(١) تربت يدك :

قال الميداني: قال أبو عبيد: يقال للرجل إذا قل ماله (قد ترب) أي افنقر حتى لصق بالتراب، وهذه كلمة جارية على السنة العرب. يقولونها ولا يريدون وقوع الأمر، ألا تراهم يقولون لا أرض لك، ولا أم لك، ويعلمون أن له أرضا وأما^{٢٥٤}.

وقد تمثل الرسول ﷺ بهذا القول في أحاديث عديدة، قالها الرسول ﷺ حينما بين عن أوصاف النساء التي ترغب الرجال في نكاحهن، طلب الرسول ﷺ من المؤمنين أن

^{٢٥٤} الميداني، المجمع، ج: ١، ص: ١٣٢، رقم: ٦٦٢

يختاروا منهن ذوات الدين ثم قال: تربت يداك، وهذا متن الحديث كاملاً: "تتكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين، تربت يداك"^{٢٥٥}.

٢) انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً^{٢٥٦} :

قال الميداني بعد أن ذكر هذا المثل: يروى أن النبي ﷺ قال هذا، فقيل: يا رسول الله هذا ننصره مظلوماً، فكيف ننصره ظالماً؟ فقال ﷺ: ترده عن الظلم. ثم أورد تعليق أبي عبيد: أما الحديث فهذا، وأما العرب فكان مذهبهم في المثل نصرته على كل حال، قال المفضل: أول من قال ذلك جندب بن العنبر بن تميم بن عمرو.... ثم أورد قصة المثل بطولها وتامها.

وهذا الحديث أخرجه البخاري في صحيحه بهذا المتن: "انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً"، قالوا: يا رسول الله هذا ننصره مظلوماً، فكيف ننصره ظالماً؟ قال: تأخذ فوق يديه"^{٢٥٧}.

٣) كل الصيد في جوف الفراء :

وهذا ورد فيه التصريح من المؤلفين في الأمثال على أن الرسول ﷺ قد تمثل به فقد قال أبو عبيد: ومنها قوله ﷺ لأبي سفيان بن حرب: "أنت يا أبا سفيان كما قيل: (كل الصيد في جوف الفراء)"، أي إنك في الرجال كالفراء في الصيد، وهو الحمار الوحشي. قال: قاله ذلك يتألفه على الإسلام، وقصة هذا المثل أوردتها البكري والميداني وغيرهما. وفيها: إن ثلاثة نفر خرجوا متصيدين، فاصطاد أحدهم أرنباً والآخر ظبياً والثالث حماراً (وحشياً) فاستبشر صاحب الأرنب وصاحب الظبي بما نالا، وتطاولا عليه، فقال الثالث: كل الصيد في جوف الفراء، أي هذا الذي رزقت

^{٢٥٥} صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الإكفاء في الدين ٤٧٠٠
^{٢٥٦} الميداني، مجمع الأمثال، ج: ٢، ص: ٣٤٤، رقم: ٤٢٠٣
^{٢٥٧} صحيح البخاري، كتاب المظالم: ٢٢٦٤

وظفرت به يشتمل على ما عندكما، وذلك أنه ليس مما يصيده الناس أعظم من الحمار الوحشي^{٢٥٨}.

(٤) حذو القدة بالقدة^{٢٥٩} :

قال الميداني تعليقا: أي مثلا بمثل، يضرب في التسوية بين الشئيين. القدة: ريشة السهم، وحذو: قرب. أي مثل قرب ريشة السهم من ريشة السهم الأخرى. ولم يذكر الميداني أن هذا حديث مرفوع إلى الرسول ﷺ، مما يعني أنه يرويه كمثل سائر من دون أن يعلم أن الرسول ﷺ قد تمثل به، بيد أننا نجد من مسند أحمد الحديث التالي: "ليحملن شرار هذه الأمة على سنن الذين خلوا من قبلهم، أهل الكتاب، حذو القدة بالقدة^{٢٦٠}". وهذا يدل على أن النبي ﷺ قد تمثل به.

(٥) أنا النذير العريان^{٢٦١} :

ذكر الميداني قول ابن الكلبي في مناسبة هذا المثل، ومخلص قصته: إن زوجة رقبة بن عامر، الذي نازعه أبو داود الشاعر جار المنذر بن ماء السماء، قد أطلقت هذا القول حين طلب منها زوجها رقبة أن تلحق بقومها لتنذرهم، لما رأى المنذر قد بعث له بكتيبتين^{٢٦٢}. كما نقل قولاً آخر في هذا المثل، مفاده أن الرجل كان إذا رأى غارة جاءت فجأة فإنه كان يتجرد من ثيابه ويشير بها ليعلم قومه أنه قد فجأهم أمر. فصار مثلاً لكل أمر تخاف مفاجأته.

ونرى أن الرسول ﷺ قد استقى هذا المثل، كما في الحديث التالي: مثلى ومثل ما بعثني الله كمثل رجل أتى قوما، فقال: رأيت الجيش بعيني، وإني أنا النذير العريان،

^{٢٥٨} الميداني، مجمع الأمثال، ج: ٢، ص: ١٣٦
^{٢٥٩} نفس المرجع، ج: ١، ص: ١٩٥، رقم ١٠٣٠
^{٢٦٠} مسند أحمد: ١٦٥١٢
^{٢٦١} الميداني، المجمع، ج: ١، ص ٤٨، رقم ١٨٦
^{٢٦٢} الميداني، المجمع، ج: ١، ص ٤٨

فالنجا النجاء! فأطاعته طائفة فأدلجوا على مهلم فنجوا، وكذبت طائفة فصبحهم الجيش فاجتاحهم^{٢٦٣}.

إن النبي ﷺ يشبه هنا نفسه وهو حامل دعوة إلهية تنفذ الناس من الآفة العظيمة بالذير العريان الذي يحمل رسالة عاجلة تنجي قومه من هجوم فجائي، بمعنى آخر أن النبي ﷺ قد تمثل بهذا المثل.

هذه الأمثال الخمسة تكون في أغلب ظن الباحث استقاها النبي ﷺ من السابقين، وهي من بين ٤٧٦٦ مثالا أوردها الميداني في مجمع أمثاله.

أقسام أخرى للأمثال النبوية :

تنقسم الأمثال النبوية على صراحتها ووضوحها إلى ثلاثة أقسام، هي: الأمثال المصراحة والأمثال الكامنة والأمثال المرسلة.

(١) الأمثال المصراحة :

وهي ما صرح فيها بلفظ المثل، أو ما يدل على التشبيه، كما جاء في الحديث الصحيح: "إن مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا فكان منها طائفة قبلت الماء فأنبتت الكلاً والعشب الكثير وكان منها طائفة أمسكت الماء فشرب الناس واستقوا وزرعوا وكانت منها طائفة إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلاً، وذلك مثل من فقه في دين الله فنفعه ما بعثني الله به من الهدى والعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به"^{٢٦٤}، والأمثلة عليها كثيرة.

^{٢٦٣} صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب الانتهاء عن المعاصي ٦٠٠١.
^{٢٦٤} صحيح البخاري، كتاب العلم، باب فضل من علم وعلم، برقم ٧٩/ وصحيح مسلم، كتاب الفضائل: باب بيان ما بعث به النبي ﷺ برقم ٢٢٨٢

٢) الأمثال الكامنة :

وهي التي لم يصرح فيها لفظ التمثيل، ولكنها تدل على معاني رائعة في إيجاز، يكون لها وقعها إذا نقلت إلى ما يشبهها، مثاله: "ليس الخبر كالمعاينة"^{٢٦٥}، و "لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين"^{٢٦٦}، وغيرهما.

٣) الأمثال المرسلة :

وهي جمل أرسلت إرسالا من غير تصريح بلفظ التشبيه، مثاله: "سبقك بها عكاشة"^{٢٦٧}.

جوامع كلمه ﷺ :

كان كلام نبينا ﷺ جامعا بليغا وهو أفصح العرب لسانا وأكملهم بيانا، مما لم يسبقه إليه عربي ولا شاركه فيه عجمي ولم يدع لأحد ولا ادعاه أحد، مما صار مستعملا ومثلا سائرا، وكم من قول من أقوال النبي ﷺ يعجز أبطال البلاغة عن مباراتها. كريم النجر، عظيم القدر الذي هو النهاية في البيان والغاية في البرهان، المشتمل على جوامع الكلم وبدائع الحكم، وقد قال رسول الله ﷺ "أنا أفصح العرب، بيد أني من قریش واسترضعت في بني سعد بن بكر"، وليس بعض كلامه بأولى من بعض بالاختيار ولا أحق بالتقديم والإيثار. وهذه شذور من قوله ﷺ الصريح الفصيح العزيز الوجيز المتضمن بقليل من المباني كثير المعاني.

جوامع الكلم :

قال النبي ﷺ : "أوتيت جوامع الكلم". الكلم جمع كلمة، والجوامع جمع جامعة، أي الكلم الجوامع للمعاني، والجامعة اسم فاعلة من جمعت فهي جامعة، كما يقال في المذكر جمع فهو جامع. وقد نقل الإمام البخاري عن ابن شهاب الزهري قال : "بلغني أن جوامع الكلم أن الله يجمع الأمور الكثيرة التي كانت تكتب في الكتب قبله

^{٢٦٥} مسند الإمام أحمد: ٢١٥/١ برقم ٥٨٩٧

^{٢٦٦} صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين، برقم ٦١٣٣ / صحيح مسلم، كتاب الأدب، برقم ٢٩٩٨

^{٢٦٧} صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب يدخل الجنة سبعون ألفا بغير حساب، برقم ٦٥٤٢ / صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة، برقم ٢١٦

في الأمر الواحد والأميرين ونحو ذلك^{٢٦٨}. قال ابن الأثير : " المراد بذلك أنه ﷺ الكلم الجوامع للمعاني"^{٢٦٩}.

وقال ابن حجر العسقلاني : "وحاصله أنه ﷺ كان يتكلم بالقول الموجز ، القليل اللفظ، الكثير المعاني"^{٢٧٠}. وقال الثعالبي : 'جوامع' جمع جامع، أي : قل لفظه وكثر معناه، و'كلم' جمع كلمة، أعني : كلام النبي ﷺ القليل اللفظ، الكثير المعاني، تلك عين البلاغة"^{٢٧١}.

يقول ابن الأثير : وهو عندي على قسمين. القسم الأول: هو ما استخرجته ونهت عليه ولم يكن لأحد فيه قول سابق، وهو أن لنا ألفاظا تتضمن من المعنى ما لا تتضمنه أخواتها مما يجوز أن يستعمل في مكانها فمن ذلك ما يأتي على حكم المجاز ومنه ما يأتي على حكم الحقيقة.

أما ما يأتي على حكم المجاز فقوله ﷺ يوم حنين : "الآن حمي الوطيس". وهذا لم يسمع من أحد قبل رسول الله ﷺ. ولو أتينا بمجاز غير ذلك في معناه فقلنا : "استعرت الحرب" لما كان مؤديا من المعنى ما يؤديه "حمي الوطيس". والفرق بينهما أن الوطيس هو التتور، وهو موطن الوقود ومجتمع النار. وذلك يخيل إلى السامع أن هناك صورة شبيهة بصورته في حميها وتوقدها، وهذا لا يوجد في قولنا "استعرت الحرب" أو ما جرى مجراه.

أما القسم الثاني: من جوامع الكلم فالمراد به الإيجاز الذي يستدل به بالألفاظ القليلة على المعاني الكثيرة، أي : إن ألفاظه ﷺ جامعة للمعاني المقصودة على إيجازها واختصارها. وكل كلام جار هذا المجرى فلا يحتاج إلى ضرب الأمثلة به، وسيأتي في الإيجاز منه ما فيه كفاية ومقنع^{٢٧٢}.

ومن هذا النوع كلامه ﷺ "إن من البيان لسحرا".

^{٢٦٨} مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم (١/ ٢٧٠) / انظر : نظرات فقهية وتربوية في أمثال الحديث (ص: ٣٨٤)
^{٢٦٩} انظر: التصوير الفني في الحديث النبوي للدكتور محمد بن لطفي الصباغ ، (ص: ٥٨)، الطبعة الأولى ١٩٨٩ م ، المكتب الإسلامي، بيروت.

^{٢٧٠} انظر : نظرات فقهية وتربوية (ص: ٣٨٤)

^{٢٧١} الثعالبي، أبو منصور، الإعجاز والإيجاز (ص: ١٦)، المطبعة العمومية، مصر، الطبعة الأولى ١٨٩٧م.
^{٢٧٢} المثل السائر لابن الأثير / انظر : التصوير الفني في الحديث النبوي، ص: ٥٨ - ٥٩

يقول الرافعي حينما يبحث عن جوامع كلمه ﷺ : "فكل ذلك من الأوضاع التي نطق بها أفصح العرب محمد ﷺ في هذه اللغة ابتداء، ولم تسمع من أحد قبله، ولا شاركه في مثلها أحد بعده. وكل كلمة منها كما رأيت لا يعدلها شيئاً في معناها، ولا يفى بها كلام في تصوير أجزاء هذا المعنى، وانتظام هذه الأجزاء، ونفض أصباغها عليها، وهذا الضرب من الكلام الجامع هو الذي يمتاز البليغ في كل أمة بالكلمة الواحدة من مثله، أو الكلمتين، أو الكلمات القليلة. ولو ذهبت تحصيه في العربية ما رأيت إلا معدوداً على حين أن خطباءها وشعراءها وكتابتها وأدبائها لا يأخذهم العد، وقد انفردت بكثرتهم هذه اللغة خاصة، حتى لا يساويها في ذلك لغة أمة من الأمم، فإن كان لأضخم هذه الأمم بعض شعراء فلنا بعض وكل، وإن عدّوا لنا واحداً 'صفرناه' ولا فخر.

وقلما يتفق ذلك الضرب من الكلام في العربية على مثل ما رأيت من الغرابة البيانية، إلا في القرآن الكريم، والبلاغة النبوية"^{٢٧٣}.

ومن جوامع كلمه ﷺ ما يلي :

١. الآن حمي الوطيس
٢. إن من البيان لسحرا
٣. بعثت في نفس الساعة
٤. خير الأمور عواقبها
٥. كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة
٦. إن خير السنن سنن محمد ﷺ
٧. اليد العليا خير من اليد السفلى
٨. وما قل وكفى خير مما كثر وألهى
٩. من غشنا فليس منا
١٠. الخمر جوامع الإثم

^{٢٧٣} مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب (٢ / ٣٣١ - ٣٣٢) ، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية: ١٩٧٤م

- ١١ . الحياء شعبة من الإيمان
- ١٢ . سباب المسلم فسوق وقتاله كفر
- ١٣ . لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين
- ١٤ . فمن رغب عن سنتي فليس مني
- ١٥ . من لا يرحم لا يُرحم
- ١٦ . خير الأمور أوسطها
- ١٧ . ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء
- ١٨ . الدنيا كلها متاع وخير متاعها المرأة الصالحة
- ١٩ . الدنيا خضرة حلوة واتقوا الدنيا واتقوا النساء
- ٢٠ . الصبر عند الصدمة الأولى
- ٢١ . كل مولود يولد على الفطرة، وأبواه يهودانه ويمجسانه وينصرانه
- ٢٢ . الظلم ظلمات يوم القيامة
- ٢٣ . إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات ووأد البنات ومنعا وهات، وكره عليكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال
- ٢٤ . إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين
- ٢٥ . إذا ضيقت الأمانة فانتظر الساعة
- ٢٦ . إذا استتصحك فانصح له
- ٢٧ . كما تعامل تعامل
- ٢٨ . ولو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها
- ٢٩ . الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها تمنى
- على الله الأمانى
- ٣٠ . الصيام جنة
- هذه الأقوال النبوية رائعة جدا تشمل معاني غزيرة في ألفاظ قليلة. وإذا قمنا إلى شرحها نفهم عمقها ووسعها، ويقول كل أديب : "يا رسول الله أنت سيد البيان!".

CHAPTER 5

Muhamed V.M.”Proverbs of the Prophet : Collection Classification and Literary Analysis” Thesis. Research Department of Arabic,Farook College,University of Calicut, 2014.

الباب الخامس
مجموعة من الأمثال النبوية

الباب الخامس

مجموعة من الأمثال النبوية

يوجد في كتب الأدب كثير من الأمثال النبوية، ولكن حين تتبعها يوجد كثيرا منها لم يثبت رفعها إلى النبي ﷺ ولم يصح سندها، ولذا قام الباحث في هذا البحث بجمع ما فهم من أقوال علماء الأصول (الأحاديث) على ثبوتها. فالأمثال التي جمعت هنا إما صحيح أو حسن.

أشار الباحث في الباب السابق إلى أنواع الأمثال، ولكن جميعها تدرج تحت قسمين أساسيين هما الأمثال القياسية والأمثال السائرة.

الفصل الأول : الأمثال القياسية

مثل الرسول ﷺ والأنبياء :

١. إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة، قال: أنا اللبنة وأنا خاتم النبيين.^{٢٧٤}

مثل الرسول ﷺ :

٢. إن مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قومه فقال: يا قوم إني رأيت الجيش بعيني، وإني أنا النذير العريان، فالنجاء، فأطاعه طائفة من قومه

^{٢٧٤} صحيح البخاري في باب خاتم النبيين، رقم الحديث ٣٢٧٠، ٣٢٧١

فأدلجوا على مهلتهم، وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم، فصبحهم الجيش واجتاحهم، فذلك مثل من أطاعني واتبع ما جئت به، ومثل من عصاني وكذب ما جئت به من الحق.^{٢٧٥}

مثل النبي ﷺ ومثل الناس :

٣. إنما مثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد نارا، فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها، فجعل الرجل يزعهن ويغلبنه فيقتحم فيها، وأنا آخذ بحجركم عن النار وأنتم تقحمون فيها.^{٢٧٦}

مثل هدى الرسول ﷺ وعلمه واستفادة الناس به :

٤. إن مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كمثل غيث أصاب أرضا، فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجادب أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوا منها وسقوا وزرعوا، وأصاب طائفة منها أخرى، إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه بما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به.^{٢٧٧}

مثل الناس :

٥. إنما الناس كالإبل المائة لا تكاد تجد فيها راحلة.^{٢٧٨}

مثل الإسلام ومبادئه :

٦. ضرب الله مثلا صراطا مستقيما فعلى جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط داع يقول: يا أيها الناس ادخلوا الصراط جميعا ولا تتفرجوا، وداع يدعو من جوف الصراط، فإذا أراد أن يفتح شيئا من تلك الأبواب قال: ويحك لا تفتحه، فإنك إن تفتحه تلجه. فالصراط الإسلام، والسوران حدود الله، والأبواب المفتحة محارم الله، وذلك

^{٢٧٥} صحيح مسلم باب شفقتة على أمته ومبالغته في تحذيره ج:٧، ص:٦٣ رقم الحديث ٦٠٩٣
^{٢٧٦} صحيح البخاري كتاب أحاديث الأنبياء، رقم الحديث ٣١٧٣، باب الإتهاء عن المعاصي، الرقم، ٦٠٠٢
^{٢٧٧} صحيح البخاري كتاب العلم باب فضل من علم وعلم الرقم ٧٧، وصحيح مسلم الجزء السابع، ص:٦٣، رقم الحديث: ٦٠٩٣،
صحيح ابن حبان ج:١، ص:١٧٧ الرقم ٤
^{٢٧٨} صحيح البخاري كتاب الرقاق، باب رفع الأمانة، رقم الحديث ٦٠١٧

الداعي على رأس الصراط كتاب الله عزوجل والداعي فوق الصراط واعظ
الله في قلب كل مسلم....^{٢٧٩}

مثل الرسول ﷺ :

٧. جاءت ملائكة إلى النبي ﷺ وهو نائم، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان. فقالوا: إن لصاحبكم هذا مثلاً، فاضربوا له مثلاً، فقال بعضهم: إنه نائم وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان: فقالوا: مثله كمثل رجل بنى داراً، وجعل فيها مائدة، وبعث داعياً. فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المائدة، ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المائدة، فقالوا: أولوها له يفقهها، فقال بعضهم: إنه نائم فقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان، فقالوا فالدار الجنة، والداعي محمد ﷺ، فمن أطاع محمداً ﷺ فقد أطاع الله، ومن عصى محمداً ﷺ فقد عصى الله، ومحمد ﷺ فرق بين الناس.^{٢٨٠}

مثل أجل المؤمنين واليهود والنصارى :

٨. وإنما مثلكم ومثل اليهود والنصارى كرجل استعمل عمالاً، فقال: من يعمل لي إلى نصف النهار على قيراط قيراط؟ فعملت اليهود على قيراط قيراط، فقال: من يعمل لي من نصف النهار إلى العصر على قيراط قيراط؟ فعملت النصارى على قيراط قيراط، ثم أنتم تعملون من صلاة العصر إلى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين، فغضب اليهود والنصارى وقالوا: نحن أكثر عملاً وأقل عطاءً، قال: هل ظلمتكم من حقكم شيئاً؟ قالوا: لا، قال: فإنه فضلي أوتيه من أشياء.^{٢٨١}

مثل أمة محمد ﷺ :

٩. مثل أمتي مثل المطر، لا يدري أوله خير أم آخره.^{٢٨٢}

^{٢٧٩} مسند الإمام أحمد، حديث النواس بن سمعان رقم الحديث ١٧٦٣، موقع الشاملة

^{٢٨٠} صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب الإنتهاء عن المعاصي رقم ٦٠٠١

^{٢٨١} نفس المرجع، باب فضل القرآن على سائر الكلام، رقم الحديث، ٤٦٣٣

^{٢٨٢} تحفة الأحوذى، للمباركفوري، ج: ٨، ص: ١٧٠ تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، نظرات فقهية والتربوية في أمثال الحديث، ص: ١٧٦

مثل القائم في حدود الله والواقع فيها :

١٠. مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا. فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم نجوا، ونجوا جميعا.^{٢٨٣}

مثل أمراء النبي ﷺ ورعيته:

١١. قتل رجل من حمير رجلا من العدو، فأراد سلبه فمنعه خالد بن الوليد وكان واليا عليهم، فأتى رسول الله ﷺ عوف بن مالك، فأخبره، فقال لخالد: ما منعك أن تعطيه سلبه؟ قال: استكثرت يا رسول الله. قال: ادفعه إليه، فمر خالد بعوف فجر بردائه ثم قال: هل انجزت لك ما ذكرت لك من رسول الله ﷺ فسمعه رسول الله ﷺ، فاستغضب فقال: لا تعطه يا خالد، لا تعطه يا خالد، هل أنتم تاركون لي أمرائي، إنما مثلكم ومثلهم كمثل رجل استرعى إبلا أو غنما فرعاها، ثم تحين سقيها فأوردها حوضا فشرعت فيه فشربت صفوه وتركت كدره، صفوه لكم وكدره عليهم.^{٢٨٤}

مثل الجليس الصالح والجليس السوء :

١٢. إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء، كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه، وإما أن يجد منه ريحا طيبة. ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد ريحا خبيثة.^{٢٨٥}

مثل المؤمنين في علاقاتهم :

١٣. المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا.^{٢٨٦}

^{٢٨٣} صحيح البخاري، كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة ٢٣١٣
^{٢٨٤} مسلم بن الحجاج صحيح مسلم بشرح النووي ١٢/٦٤-٦٥ باب استحقاق القاتل سلب القاتل من كتاب الجهاد (الطبعة المصرية بالأزهر ١٩٥٩م)
^{٢٨٥} البخاري، ٢/٩-٨ في كتاب البيوع، ١٩٥٩

١٤. مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.^{٢٨٧}

١٥. مثل المؤمن كمثل شجرة خضراء لا يسقط ورقها ولا يتحات.^{٢٨٨}

١٦. إن مثل المؤمن كمثل القطعة من الذهب نفخ عليها صاحبها فلم تتغير ولم تنقص.^{٢٨٩}

١٧. إن مثل المؤمن كمثل النحلة، أكلت طيباً ووضعت طيباً، ووقعت فلم تكسر ولم تفسد.^{٢٩٠}

مثل المؤمن والفاجر :

١٨. مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع، من حيث أُنْتها الريح كفأتها، فإذا اعتدلت تكفأ بالبلاء، والفاجر كالأرزة، صماء معتدلة حتى يقصمها الله إذا شاء.^{٢٩١}

١٩. مثل المؤمن كمثل الفرس على أخيته، يجول ثم يرجع على أخيته، وإن المؤمن يسهو ثم يرجع إلى الإيمان.^{٢٩٢}

مثل المنافق :

٢٠. مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين: تعير إلى هذه مرة وإلى هذه مرة.^{٢٩٣}

مثل قارئ القرآن :

٢١. مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة: ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة، لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة: ريحها طيب وطعمها مر، ومثل

^{٢٨٦} البخاري، كتاب الصلاة، باب تشبيك الأصابع رقم الحديث ٤٥٩
^{٢٨٧} نفس المصدر، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم الرقم ٥٥٥٢ / مسلم باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدتهم، ج: ٨، ص: ٢٠ الرقم ٦٧٥١

^{٢٨٨} البخاري، كتاب العلم ٦٠٥٩

^{٢٨٩} أحمد، الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام ابن حنبل الشيباني - لعبد الرحمن البنا الشهير بالساعاتي، ١١٢/١ رقم الحديث: ٩٥
^{٢٩٠} نفس المرجع

^{٢٩١} البخاري، صحيح البخاري كتاب المرضى، باب ما جاء في كفارة المرض، رقم الحديث: ٦٩١٢، مسلم، الترمذي
^{٢٩٢} الفتح الرباني وبلوغ الأمان، ج: ١/١١٣، أحمد مسند أحمد بن حنبل ج: ٣/٣٨ الرقم ١٣٣٥٣ / أحمد مسند الإمام أحمد، ج: ٣، ص: ٣٨ رقم الحديث ١١٣٥٣

^{٢٩٣} مسلم شرح النووي، باب حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ج: ٨/١٢٤ الرقم ٧٢٢٠

المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ريحها مر وطعمها مر، وفي رواية البخاري (طعمها مر لا ريح لها)، (ومثل الفاجر) بدل من (ومثل المنافق).^{٢٩٤}

٢٢. إنما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المعلقة، إن عاهد عليها أمسكها وإن أطلقها ذهبت.^{٢٩٥}

مثل سورتي البقرة وآل عمران :

٢٣. اقرأوا الزهراوين البقرة وآل عمران، فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيايتان، أو كأنهما فرقان من طير صوافٍ يحاجان عن أصحابهما.^{٢٩٦}

مثل الصلوات الخمس :

٢٤. أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شيء؟ قالوا: لا يبقى من درنه شيء. قال: فذلك مثل الصلوات الخمس، يمحو الله بهن الخطايا.^{٢٩٧}

٢٥. مثل الذي لا يتم ركوعه وينقر في سجوده مثل الجائع يأكل التمرة والتمرتين، لا يغنيان عنه شيئا.^{٢٩٨}

٢٦. مثل الذي لا يقيم صلبه في صلاته كمثل حبلى فلما دنا نفاسها سقطت، فلا هي ذات حمل ولا هي ذات ولد.^{٢٩٩}

مثل البخيل والمنفق :

٢٧. مثل البخيل والمنفق، كمثل رجلين عليهما حبتان من حديد، من تديهما إلى تراقيهما. فأما المنفق فلا ينفق إلا سبغت أو وفرت على جلده حتى تخفى بنانه وتعفو أثره، وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئا، إلا لزقت كل حلقة مكانها، فهو يوسعها ولا تتسع.^{٣٠٠}

^{٢٩٤} البخاري، في باب فضل القرآن على سائر الكلام، / مسلم باب فضائل القرآن وما يتعلق به، رقم ٤٦٣٢
^{٢٩٥} البخاري، في باب فضل القرآن على سائر الكلام، / مسلم باب فضائل القرآن وما يتعلق به، رقم ٤٦٣٢
^{٢٩٦} مسلم، باب فضل القرآن وسورة البقرة، من كتاب صلاة المسافرين، رقم الحديث: ٤٠٨ / انظر: ابن كثير ٢١٧/١، حققه وخرج أحاديثه وآثاره وعلق عليه مجلس التحقيق العلمي بدار الفتوح، الشارقة، الطبعة الأولى: ١٩٩٩م.
^{٢٩٧} صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلوات الخمس كفارة، الرقم: ٤٩٧ / سنن النسائي بأحكام الألباني، باب فضل الصلوات الخمس، ٢٣٠ / ١

^{٢٩٨} صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب مثل المتصدق والبخيل، الرقم ١٣٥٢
^{٢٩٩} رواه الطبراني في الكبير وأبو يعلى وإسناده حسن / ومجمع الفوائد ٢ / ١٢١ (انظر نظرات فقهية، ص: ٢٩٠)
^{٣٠٠} صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب مثل المتصدق والبخيل، الرقم: ١٣٥٢

مثل من يعتق عند الموت :

٢٨. مثل الذي يعتق عند الموت كمثل الذي يهدي إذا شبع.^{٣٠١}
٢٩. مثل الذي يعتق أو يتصدق عند موته مثل الذي يهدي بعد ما يشبع.^{٣٠٢}

مثل الصوم :

٣٠. الصيام جنة.^{٣٠٣}
٣١. يامعشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحسن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء.^{٣٠٤}
٣٢. إنما مثل صوم المتطوع مثل الرجل يخرج من ماله الصدقة، فإن شاء أمضاها وإن شاء حبسها.^{٣٠٥}

مثل المجاهد في سبيل الله :

٣٣. مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم وتوكل الله للمجاهد في سبيله بأن يتوفاه أن يدخله الجنة أو يرجعه سالما مع أجر أو غنيمة.^{٣٠٦}
٣٤. ناس من أمتي يركبون البحر الأخضر في سبيل الله، مثلهم مثل الملوك على الأسرة.^{٣٠٧}

مثل الإشراف بالله :

٣٥. إن مثل من أشرك بالله كمثل رجل اشترى عبدا من خالص ماله بذهب أو ورق، فقال: هذه داري وهذا عملي، فاعمل وأد إليّ. فكان يعمل ويؤدي إلى غير سيده، فأيكم يرضى أن عبده كذلك.^{٣٠٨}

٣٠١ تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى ٦/ ٣١٦، وأبو يعلى الموصلى، مسند، رقم الحديث ٣١٠ (الشاملة)، أمثال الحديث للامهرمزي، الرقم ٧٩ (الشاملة).
٣٠٢ سنن الترمذى، أبو عيسى، باب ما جاء في الرجل يتصدق أو يعتق عند الموت، الرقم ٢١٢٣، تحفة الأحوذى، المباركفوري، ٦/ ٢٦٤، انظر فتح الباري، كتاب الوصايا، باب الصدقة عند الموت شرح لحديث ٢٥٩٧، (الشاملة).
٣٠٣ الموطأ، كتاب الصوم، الرقم: ٦٨٩ / فتح الباري ٤/ ١٣٩، البخاري، كتاب الصيام (١٠٩٤) / مسلم، كتاب الصيام (١١٥١) / النسائي (٢٢١٦) / ابن ماجة (١٦٩١)
٣٠٤ صحيح مسلم، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تافت نفسه إليه، الرقم: ١٤٠٠
٣٠٥ سنن النسائي بأحكام الألباني، باب النية في الصيام من كتاب الصيام، ٢/ ١٦٩، الرقم: ٢٢٣٩
٣٠٦ البخاري ٤/ ١٨-١٩، كتاب الجهاد والسير، الباب الثاني، الرقم: ٥٠٦٥
٣٠٧ البخاري، باب غزوة المرأة في البحر من كتاب الجهاد/ مسلم، باب فضل الغزو في البحر من كتاب الجهاد
٣٠٨ رواه الحاكم في المستدرک ١/ ٥٨٢، الرقم: ١٥٣٤ / ابن سعد ٤/ ٣٥٩ مختصرا / ابن خزيمة ٣/ ١٩٥، أبو يعلى في المسند ٣/ ١٤٠

مثل الصدقة :

٣٦. وأمركم بالصدقة، فإن مثل ذلك كمثل رجل أسره العدو، فأوثقوا يده إلى عنقه، وقدمه ليضربوا عنقه، فقال: أنا أفندي منكم بالقليل والكثير، ففدى نفسه منهم.^{٣٠٩}

مثل ذكر الله :

٣٧. وأمركم أن تذكروا الله فإن مثل ذلك كمثل رجل خرج العدو في أثره سراعاً، حتى إذا أتى على حصن حصين فأحرز نفسه منهم.^{٣١٠}

٣٨. مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر مثل الحي والميت.^{٣١١}

مثل الدنيا والآخرة :

٣٩. ما مثل الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه في اليم، فلينظر بم يرجع.^{٣١٢}

مثل حوض رسول الله ﷺ :

٤٠. حوضي مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، من شرب منها فلا يظمأ أبداً.^{٣١٣}

٤١. إن قدر حوضي كما بين أيلة وصنعاء من اليمن. وإن فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء.^{٣١٤}

٤٢. بينما أنا أسير في الجنة إذا أنا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف. قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك. فإذا طينه أو طيبه مسك أذفر.^{٣١٥}

^{٣٠٩} الترمذي، في أبواب الأمثال، باب ما جاء في مثل الصلاة والصيام والصدقة، دار الكتب العلمية، الرقم: ٢٨٦٣

^{٣١٠} أحمد في المسند ٢٨ / ٤٠٤

^{٣١١} متفق عليه، البخاري - كتاب الدعوات، باب ذكر الله، الرقم: ٥٩٢٨ / مسلم - شرح النووي، ٣ / ٣٢٤ الرقم: ٧٧٩، حققه عصام الصباطي، دار أبي حيان، الطبعة الأولى ١٩٩٥م

^{٣١٢} ابن ماجة ٢ / ١٢٧٦، كتاب الزهد، باب مثل الدنيا، الرقم: ٤١٠٨ - www.islamweb.net - ١٤ / سبتمبر / ٢٠١٣ (حاشية السندي على ابن ماجة، أبو الحسن الحنفي الشهير بالسندي) / مسلم، انظر مرقاة المصابيح، كتاب الآداب، مسألة ٥١٥٦ - لعلني بن سلطان محمد القاري، دار الفكر ٢٠٠٢م.

^{٣١٣} صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب الحوض، الرقم: ٦٠٩٣

^{٣١٤} صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب الحوض، الرقم: ٦٠٩٤

^{٣١٥} صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب الحوض، الرقم: ٦٠٩٥

مثل الوحي :

٤٣ . يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس - وهو أشده علي - فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال. وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول.^{٣١٦}

٤٤ . أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح.^{٣١٧}

مثل حلاوة الإيمان :

٤٥ . قال ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان. أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار!^{٣١٨}

مثل الإيمان والمدينة :

٤٦ . إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها.^{٣١٩}

مثل المجاهد :

٤٧ . مثل المجاهد في سبيل الله - والله أعلم بمن يجاهد في سبيله - كمثل الصائم القائم. وتوكل الله للمجاهد في سبيله - بأن يتوقاه - أن يدخله الجنة، أو يرجعه سالما مع أجر أو غنيمة.^{٣٢٠}

مثل المؤمن والكافر :

٤٨ . مثل المؤمن كمثل خامة الزرع، يفيء ورقه، من حيث أنتها الريح تكفئها، فإذا سكنت اعتدلت، وكذلك المؤمن يكفأ في البلاد. ومثل الكافر كمثل الأرزة صماء معتدلة، حتى يقصمها الله إذا شاء.^{٣٢١}

^{٣١٦} صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب الحوض، الرقم: ٢

^{٣١٧} صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب الحوض، الرقم: ٣

^{٣١٨} صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، الرقم: ١٥

^{٣١٩} صحيح البخاري، كتاب الحج، باب الإيمان يأرز إلى المدينة، الرقم: ١٧٤٣ (يأرز - أي ينضم إليها ويجتمع بعضه إلى بعض فيها).

^{٣٢٠} صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب أفضل الناس مؤمن مجاهد، الرقم: ٢٥٧٩

^{٣٢١} صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب المشيئة والإرادة، الرقم: ٦٩١٢

٤٩. مثل المؤمن كالحامة من الزرع، تفيئها الريح مرة وتعديلها مرة. ومثل المنفق كالأرزة لا تزال حتى يكون انجعافها مرة واحدة.^{٣٢٢}

مثل محو الخطايا عن المؤمن :

٥٠. ما من مسلم يصيبه أذى، إلا حاتّ الله عنه خطاياهم. كما تحاتّ ورق الشجر.^{٣٢٣}

مثل عدم الاعتدال في السجود :

٥١. اعتدلوا في السجود، ولا يبسط ذراعيه كالكلب. وإذا بزق فلا يبرز بين يديه ولا عن يمينه فإنه يناجي ربه.^{٣٢٤}

مثل التبكير إلى صلاة الجمعة :

٥٢. من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة، ثم راح، فكأنما قرب بدنة. ومن راح في

الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا

أقرن، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة، ومن راح في الساعة

الخامسة فكأنما قرب بيضة. فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون

الذكر.^{٣٢٥}

مثل الأمانة :

٥٣. حدثنا رسول الله ﷺ حديثين رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر. حدثنا أن الأمانة

نزلت في جذر قلوب الرجال ثم علموا من القرآن ثم علموا من السنة. وحدثنا

عن رفعها، قال ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل أثر

الوكت^{٣٢٦}، ثم ينام النومة فتقبض فيبقى أثرها مثل المجل^{٣٢٧}، كجمر دحرجته

على رجلك فنغط فتراه منتبرا^{٣٢٨}، وليس فيه شيء. فيصبح الناس يتبايعون فلا

^{٣٢٢} صحيح البخاري، كتاب الرضى، باب ما جاء في كفارة المرض، الرقم: ٥٢١١

^{٣٢٣} صحيح البخاري، كتاب المرضى، باب شدة المرض، الرقم: ٥٢١٥، ٥٢١٦، ٥٢٢٨، ٥٢٢٩

^{٣٢٤} صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب المصلي يناجي ربه، الرقم: ٥٠١

^{٣٢٥} صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب فضل الجمعة، الرقم: ٨٣٢

^{٣٢٦} الوكت : الأثر اليسير في الشيء.

^{٣٢٧} المجل : أثر العمل في الكف يعالج بها الإنسان الشيء حتى يغلظ جلدها.

^{٣٢٨} التبر : الذهب كله، والتبر : الهلاك، وتبره : كسره وأهله.

يكاد أحد يؤدي الأمانة، فيقال: إن في بني فلان رجلاً أميناً. ويقال للرجل ما أَعقله وما أظرفه وما أجلده وما في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان.^{٣٢٩}

مثل الصدقة :

٥٤. من تصدق بعدل ثمرة من كسب طيب - ولا يقبل الله إلا الطيب - وإن الله يتقبلها بيمينه، ثم يرببها لصاحبه كما يربي أحدكم فلوه، حتى تكون مثل الجبل.^{٣٣٠}

مثل المال :

٥٥. من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته، مثل له ماله يوم القيامة شجاعا أقرع له ربيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه - يعني بشدقيه - ثم يقول: أنا مالك أنا كنزك، ثم تلا (ولا يحسبن الذين يبخلون ... الآية^{٣٣١}).^{٣٣٢}

مثل علم الله وعلم الناس :

٥٦. ... فلما ركبا في السفينة، جاء عصفور فوق على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة أو نقرتين. قال له الخضر: يا موسى ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور بمنقاره من البحر ...^{٣٣٣}

مثل العائد في هبته :

٥٧. ليس لنا مثل السوء، الذي يعود في هبته كالكلب يرجع في قيئه.^{٣٣٤}

مثل الواقع في الشبهات :

٥٨. الحلال بين والحرام بين، وبينهما مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس. فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه. ومن وقع في الشبهات كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعها. ألا وإن لكل ملك حمى، ألا إن حمى الله في أرضه

^{٣٢٩} صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب رفع الأمانة، الرقم: ٦٠١٦
^{٣٣٠} صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب الصدقة من كسب طيب، الرقم: ١٣٢١
^{٣٣١} سورة آل عمران، الرقم: ١٨٠
^{٣٣٢} صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة، الرقم: ١٣١٥
^{٣٣٣} صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى، الرقم: ٣١٤٩
^{٣٣٤} صحيح البخاري، كتاب الهبة، باب لا يحل لأحد أن يرجع في هبته أو صدقته، الرقم: ٢٤٢٩

محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت
فسد الجسد كله ألا وهي القلب.^{٣٣٥}

مثل سدره المنتهى :

٥٩. ورفعت لي سدره المنتهى فإذا نبقتها كأنه قلال هجر، وورقها كأنه آذان
الفيول، في أصلها أربعة أنهار. نهران باطنان ونهران ظاهران^{٣٣٦}

مثل بعض مشاهد النار :

٦٠. وفي جهنم كالليب مثل شوك سعدان. هل رأيتم شوك السعدان؟ قالوا: نعم.
قال : فإنها مثل شوك السعدان، غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله. تخطف
الناس بأعمالهم فيخرجون من النار قد امتحثوا، فيصب عليهم ماء الحياة،
فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل^{٣٣٧}، ثم يفرغ الله من القضاء^{٣٣٨}

مثل رؤية الله يوم القيامة :

٦١. كنا عند النبي ﷺ فنظر إلى القمر ليلة، يعني البدر فقال: إنكم سترون ربكم كما
ترون هذا القمر، لا تضامون^{٣٣٩} في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على
صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا.^{٣٤٠}

مثل تجنب الخطايا :

٦٢. اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب. اللهم نقني
من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس. اللهم اغسل خطاياي بالماء
والتلج والبرد.^{٣٤١}

مثل الحج المبرور :

٦٣. من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق، رجع كما ولدته أمه.^{٣٤٢}

^{٣٣٥} صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب من استبرأ لدينه، الرقم: ٥٠
^{٣٣٦} صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، الرقم: ٢٩٦٨
^{٣٣٧} الحميل : ما يحمله السيل، والمراد به أن الغطاء الذي يجيء به السيل تكون فيه الحبط فتقع في جانب الوادي فتصبح من يومها
نايئة.
^{٣٣٨} صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب فضل السجود، الرقم: ٧٦٤
^{٣٣٩} تضامون : تشكون ويشتبه عليكم.
^{٣٤٠} صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر، الرقم: ٥٢١
^{٣٤١} صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب ما يقال بعد التكبير، الرقم: ٧٠٢، كتاب الدعوات، باب التعوذ من المأثم والمغرم، الرقم: ٥٨٩٨

مثل المدينة المنورة :

- ٦٤ . المدينة تنقي الناس كما ينقي الكير خبث الحديد.^{٣٤٣}
٦٥ . لا يکید أهل المدينة أحد إلا إنماع كما ينماع الملح في الماء.^{٣٤٤}
٦٦ . المدينة كالکیر تنقي خبثها وينصع طيبها.^{٣٤٥}

مثل الأنصار :

- ٦٧ أما بعد، أيها الناس، فإن الناس يكثررون وتقل الأنصار، حتى يكونوا كالمح في الطعام، فمن ولي منكم أمرا يضر فيه أحدا أو ينفعه فليقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم.^{٣٤٦}
٦٨ . الأنصار كرشى وعيبيتي^{٣٤٧} . والناس سيكثررون ويقلون، فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم.^{٣٤٨}

مثل فضل عائشة رضي الله عنها :

- ٦٩ . كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون و مريم بنت عمران. وإلا فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام.^{٣٤٩}

مثل ذود الرجال عن حوض الرسول ﷺ :

- ٧٠ . والذي نفسي بيده لأذودن رجالا عن حوضي كما تذاذ الغريبة من الإبل عن الحوض.^{٣٥٠}

مثل من يأمر بمعروف ولا يأتيه :

- ٧١ . يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتتدلق أفتابه في النار، فيدور كما يدور الحمار برحاه، فيجتمع أهل النار عليه فيقولون: أي فلان، ما شأنك؟ أليس كنت

^{٣٤٢} صحيح البخاري، كتاب الحج، باب قول الله (فلا رفث)، الرقم: ١٦٩٠
^{٣٤٣} صحيح البخاري، كتاب الحج، باب فضل المدينة، الرقم: ١٧٣٨
^{٣٤٤} صحيح البخاري، كتاب الحج، باب إثم من كاد أهل المدينة، الرقم: ١٧٤٤
^{٣٤٥} صحيح البخاري، كتاب الحج، باب المدينة تنقي الخبيث، الرقم: ١٧٥١
^{٣٤٦} صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب قول النبي ﷺ: اقبلوا من محسنهم، الرقم: ٣٥١٦
^{٣٤٧} كرشى : بطانتي وموضع سري. عيبيتي : خاصتي وموضع نصح لي.
^{٣٤٨} صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب قول النبي ﷺ: اقبلوا من محسنهم، الرقم: ٣٥١٧
^{٣٤٩} صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ضرب الله مثلا للذين آمنوا، الرقم: ٣١٥٩
^{٣٥٠} صحيح البخاري، كتاب المسابقات، باب من رأى أن صاحب الحوض والقربة أحق بمائه، الرقم: ٢١٩٤

تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ قال: كنت أمركم بالمعروف ولا آتية،
وأنهاكم عن المنكر وآتية.^{٣٥١}

مثل الشياطين وإخبارهم الكاهن :

٧٢. الملائكة تتحدث في العنان - العنان الغمام - بالأمر يكون في الأرض، فتسمع
الشياطين الكلمة فتقرها^{٣٥٢} في أذن الكاهن كما تقر القارورة، فيزيدون معها
مائة كذبة.^{٣٥٣}

مثل الخوارج :

٧٣. دعه فإن له أصحابا يحقر أحدهم صلواته مع صلاتهم وصيامه مع
صيامهم، يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق
السهم من الرمية، ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى رصافه
فما يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى نضيه - وهو قدحه - فلا يوجد فيه شيء، ثم
ينظر إلى قذذه فلا يوجد فيه شيء، قد سبق الفرث والدم.^{٣٥٤}

مثل القتل :

٧٤. لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود.^{٣٥٥}

مثل أبواب الجنة :

٧٥. أمتي يا رب أمتي يا رب أمتي يا رب فيقال : يا محمد، أدخل من
أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء
الناس فيما سوى ذلك من الأبواب. ثم قال: والذي نفسي بيده، إن ما بين
المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وحمير أو كما بين مكة
وبصرى.^{٣٥٦}

^{٣٥١} صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة النار، الرقم: ٣٠٢٧
^{٣٥٢} فتقرها : فتضعها. والقر : ترديدك الكلام في أذن المخاطب حتى يفهمه.
^{٣٥٣} صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، الرقم: ٣٠٤٥
^{٣٥٤} صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، الرقم: ٣٣٤١ (النصل : حديدة السهم، الرصاص : ما يكون
فوق مدخل النصل، القذذ : جمع قذذة، وهي ريشة السهم)
^{٣٥٥} صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب بعث علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد، الرقم: ٤٠٠٤
^{٣٥٦} صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب (نزبة من حملنا مع نوح) الرقم: ٤٣٤٣

مثل إنبات الناس يوم القيامة :

٧٦. ثم ينزل الله من السماء ماء، فينبتون كما ينبت البقل، ليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظما واحدا، وهو عجب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة.^{٣٥٧}

مثل ترأى أهل الجنة الغرف :

٧٧. إن أهل الجنة ليتراءون الغرف في الجنة كما يتراءون الكوكب في السماء. وفي رواية: كما تراءون لكوكب الغارب في الأفق الشرقي والغربي.^{٣٥٨}

مثل أهون الناس عذابا :

٧٨. إن أهون أهل النار عذابا يوم القيامة رجل على أخمص قدميه جمرتان يغلى دماغه كما يغلى المرجل والقمقم.^{٣٥٩}

مثل الفرار من المجذوم :

٧٩. لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر. وفر من المجذوم كما تفر من الأسد.^{٣٦٠}

مثل الترك :

٨٠. لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوما نعالهم الشعر، وحتى تقاتلوا الترك صغار الأعين حمر الوجه ذلف الأنوف، كأن وجوههم المجان المطرقة. وتجدون من خير الناس أشدهم كراهية لهذا الأمر حتى يقع فيه. والناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام. وليأتين على أحدكم زمان لأن يراني أحب إليه من أن يكون له مثل أهله وماله.^{٣٦١}

^{٣٥٧} صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب (يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا) الرقم: ٤٥٥٤

^{٣٥٨} صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، الرقم: ٦٠٧١

^{٣٥٩} صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، الرقم: ٦٠٧٧ (المرجل: قدر من النحاس، والقمقم: إناء ضيق الرأس يسخن فيه الماء يكون من نحاس)

^{٣٦٠} صحيح البخاري، كتاب الطب، باب الجذام، من دون رقم.

^{٣٦١} صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامة النبوة في الإسلام، الرقم: ٣٣٢٢

مثل الخطايا الكثيرة :

٨١. من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياها وإن كانت مثل زبد البحر.^{٣٦٢}

مثل قرب الجنة والنار :

٨٢. الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله والنار مثل ذلك.^{٣٦٣}

مثل الأرض يوم القيامة :

٨٣. تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده كما يكفأ أحدكم خبزته في السفر نزلاً لأهل الجنة.^{٣٦٤}

مثل الاعتزال :

٨٤. قلت : فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم. قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك.^{٣٦٥}

مثل رأس العبد الوحشي :

٨٥. اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد وحشي كأن رأسه زبيبة.^{٣٦٦}

مثل همل النعم :

٨٦. بينما أنا قائم إذا زمرة، حتى إذا عرفتهم خرج رجل بيني وبينهم، فقال: هلم، فقلت: أين؟ قال: إلى النار، والله. قلت: وما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري. ثم إذا زمرة، حتى إذا عرفتهم، خرج رجل من بيني وبينهم، فقال: هلم، قلت: أين؟ قال إلى النار، والله. قلت: ما شأنهم؟ قال ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري، فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم.^{٣٦٧}

مثل العض :

٨٧. أن رجلا عض يد رجل فنزع يده من فمه فوقعت ثنيتاه، فاختموا إلى النبي ﷺ فقال: يعرض أحدكم أخاه كما يعرض الفحل لا دية لك.^{٣٦٨}

وفي رواية أخرى: أفيدع إصبعه في فيك تقضمها كما يقضم الفحل؟^{٣٦٩}

^{٣٦٢} صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب فضل التسييح، الرقم: ٥٩٢٦
^{٣٦٣} صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب الجنة أقرب إلى أحدكم، الرقم: ٦٠٠٧
^{٣٦٤} صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب يقبض الله الأرض، الرقم: ٦٠٣٩
^{٣٦٥} صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة، الرقم: ٦٠٥٧
^{٣٦٦} صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام، الرقم: ٦٦٠٩ / كتاب الأذان، باب إمامة العبد، الرقم: ٦٥٢
^{٣٦٧} صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب في الحوض، الرقم: ٦٠٩٩ (الهمل : ما لا يرعى ولا يستعمل)
^{٣٦٨} صحيح البخاري، كتاب الديات، باب إذا عض رجلا فوقعت ثنياه، الرقم: ٦٣٨٤

مثل نسيان القرآن :

٨٨. تعاهدوا القرآن فوالذي نفسي بيده لهو أشد تقصيا من الإيل في عقلها. ٣٧٠

مثل الإنسان وأجله وأمله :

٨٩. خط النبي ﷺ خطا مربعا، وخط خطأ في الوسط خارجا منه، وخط خطا

صغارا إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط. وقال: هذا الإنسان

وهذا أجله محيط به، أو قد أحاط به. وهذا الذي هو خارج أمله. وهذه الخطط

الصغار الأعراض، فإن أخطأه هذا نهشه هذا وإن أخطأه هذا نهشه هذا. ٣٧١

مثل أرض المحشر :

٩٠. يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة نقي. ٣٧٢

مثل نسبة الشرك في المسلمين مقارنة مع الأمم الأخرى :

٩١. ما أنتم في أهل الشرك إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود، أو الشعرة

السوداء في جلد الثور الأحمر. ٣٧٣

٣٦٩ صحيح البخاري، كتاب الإجارة، باب الأجير في الغزو، الرقم: ٢١٠٥
٣٧٠ صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب استذكار القرآن وتعاهده، الرقم: ٤٦٤٥
٣٧١ صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب في الأمل وطوله، الرقم: ٥٩٣٨
٣٧٢ صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب يقبض الله الأرض، الرقم: ٦٠٤٠
٣٧٣ صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب كيف الحشر، الرقم: ٦٠٤٧

الفصل الثاني : الأمثال السائرة

١. الآن حمي الوطيس^{٣٧٤}.
٢. إن من البيان لسحرا^{٣٧٥}.
٣. إن من الشعر حكمة^{٣٧٦}.
٤. من لا يرحم لا يُرحم^{٣٧٧}.
٥. اليد العليا خير من اليد السفلى^{٣٧٨}.
٦. إن مما ينبت الربيع ما يقتل حبطاً أو يلم^{٣٧٩}.
٧. المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده^{٣٨٠}.
٨. الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني.^{٣٨١}
٩. كلكم راع ومسئول عن رعيته^{٣٨٢}.
١٠. أول ما تفقدون من دينكم الأمانة وآخر ما تفقدون الصلاة^{٣٨٣}.

^{٣٧٤} صحيح مسلم – باب غزوة حنين من كتاب الجهاد والسير / بشرح النووي ١١٣/١٢ – ١١٧ المطبعة المصرية بالأزهر ١٣٤٧هـ، ١٩٥٩م.

^{٣٧٥} صحيح البخاري، باب إن من البيان لسحرا، رقم الحديث: ٥٧٦٧ / مسلم، شرح النووي، ١٥٧/٦، أبو داود (٥٠٠٩) / الميداني، الباب الأول، المثل (١)

^{٣٧٦} صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما يجوز من الشعر – ٥٦٧٩.

^{٣٧٧} صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقيله ومعانقته ٥٩٩٧ / الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد (ص ٨٠)، دار المعرفة، بيروت، عدد الأجزاء (٢) ص (٨).

^{٣٧٨} نفس المرجع، كتاب الزكاة، باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى ١٤٢٧.

^{٣٧٩} صحيح البخاري، كتاب الزكاة: انظر فتح الباري ٢٤٨/١١ لابن حجر العسقلاني، المطبعة السلفية ١٩٥٩م / ومسند الإمام أحمد، ١١١٧٣، (سند أبي سعيد الخدري) / الميداني، الباب الأول، ص: ٩.

^{٣٨٠} صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب من سلم المسلمون من لسانه ويده (رقم: ١٥) / مجمع الأمثال للميداني، الباب الثلاثون، في نبذ من كلام النبي ﷺ، ص: ٤٤٩.

^{٣٨١} الترمذي، رقم الحديث ٢٤٥٩. وأحمد وابن ماجه (انظر: كشف الخفاء) / الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، للشيخ إسماعيل بن العجلوني، مكتبة التراث الإسلامي، حلب.

^{٣٨٢} صحيح البخاري، باب العبد راع في مال سيده، كتاب العتق (٢٤٠٩) / انظر: فتح الباري للعسقلاني، (١٨١/٥) المطبعة السلفية، ١٩٥٩م / الميداني، مجمع الأمثال، الباب ٣٠.

^{٣٨٣} الترمذي، والطبراني، انظر: الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير (٤٦٩/١)، للسيوطي، ترتيب الشيخ يوسف النبهاني، مطبعة دار الكتب العربية الكبرى، مصطفى البابي الحلبي وشركاه بمصر، ومسند الشهاب، للقاظمي أبي عبد الله محمد بن سلامة القضاعي، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة بيروت، الميداني – مجمع، ٣٠.

١١. إن الرزق ليطلب العبد كما يطلبه أجله^{٣٨٤}.
١٢. الشؤم في المرأة والفرس والدار^{٣٨٥}.
١٣. نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ^{٣٨٦}.
١٤. الشيخ شاب في حب اثنين: في حب طول الحياة وكثرة المال^{٣٨٧}. وفي رواية أخرى يكبر ابن آدم ويكبر معه اثنان حب المال وطول العمر.
١٥. الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف^{٣٨٨}.
١٦. من سره أن يبسط له في رزقه وأن ينسأ له في أثره، فليصل رحمه^{٣٨٩}.
١٧. الرجل في ظل صدقته حتى يقضي بين الناس^{٣٩٠}.
١٨. المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا^{٣٩١}.
١٩. ما وقى به المرء عرضه كتب له به صدقة^{٣٩٢}.
٢٠. الناس معادن، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا^{٣٩٣}.
٢١. المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه^{٣٩٤}.
٢٢. من ساءته سيئته وسرته حسنته فهو مؤمن^{٣٩٥}.
٢٣. من أصبح معافيا في بدنه، آما في سربه، عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها^{٣٩٦}.

^{٣٨٤} الهيثمي، أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن، موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان ص ٢٦٧، تحقيق محمد عبد الرزاق حمزة - المطبع السلفية، ومكتبتها بمصر. الميداني ٣٠.

^{٣٨٥} صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب ما يتقى من شؤم المرأة ٤٧٠٧. الميداني ٣٠.

^{٣٨٦} صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب لا عيش إلا عيش الآخرة: ٥٩٣٣. الميداني ٣٠.

^{٣٨٧} صحيح البخاري، كتاب الرقاق، ١١١/٨، طبعة الشعب، وباحثيته السندي. انظر: نظرات فقهية وتربوية في أمثال الحديث، ص: ٣٩٧. الميداني ٣٠.

^{٣٨٨} البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء. باب الأرواح جنود مجندة، ٣٣٣٦ / مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب الأرواح جنود مجندة: ٦٨٧٩. الميداني - (٣٠).

^{٣٨٩} البخاري، كتاب الأدب، باب من بسط له في الرزق بصلة الرحم: ٥٩٨٥.

^{٣٩٠} مسند الإمام أحمد، رقم ١٧٦٦، انظر كشف الخفاء ٥١٠/١ - ٥١١. الميداني - ٣٠.

^{٣٩١} صحيح البخاري، باب تشبيك الأصابع في المسجد ونحوه، رقم: ٤٨١ / مسلم، بشرح النووي، (١٣٩/١٦) المطبعة المصرية بالأزهر ١٩٥٩م. الميداني ٣٠.

^{٣٩٢} رواه العسكري والقضاعي عن جابر مرفوعا / انظر كشف الخفاء ٣٧٣/٢. الميداني ٣٠.

^{٣٩٣} البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء. باب قول الله تعالى: لقد كان لكم في يوسف وإخوته آيات للسائلين. (٣٣٨٣). مسلم: باب خيار الناس: ٦٦١٥. الميداني ٣٠.

^{٣٩٤} البخاري، كتاب المظالم، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه (٢٣١٠). دار البيان للتراث ١٩٨٦م / ومسلم، شرح النووي (١٢٠/١٦). الميداني ٣٠.

^{٣٩٥} رواه ابن حبان والطبراني، انظر: الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير للسيوطي، ١٩٨/٣ / مطبعة دار الكتب العربية الكبرى. مصر. الميداني ٣٠.

^{٣٩٦} البخاري في "الأدب المفرد" (رقم ٣٠٠) والترمذي في السنن (٢٣٤٦) / سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني، ناصر الدين، (رقم: ٢٣١٨). الميداني ٣٠.

٢٤. رحم الله امرأ تكلم فغنم أو سكت فسلم^{٣٩٧}.
٢٥. دع ما يريبك إلى ما لا يريبك^{٣٩٨}.
٢٦. اتق دعوة المظلوم. فإنها ليس بينها وبين الله حجاب^{٣٩٩}.
٢٧. لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة^{٤٠٠}.
٢٨. لا يبلغ العبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه^{٤٠١}.
٢٩. إن الله إذا أنعم على العبد نعمة أحب أن ترى عليه^{٤٠٢}.
٣٠. إن الله يحب الرفق في الأمر كله^{٤٠٣}.
٣١. ليس لك من مالك إلا ما أكلت فأفانيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت^{٤٠٤}.
٣٢. رب مبلغ أوعى من سامع^{٤٠٥}.
٣٣. الصوم في الشتاء الغنيمة الباردة^{٤٠٦}.
٣٤. الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة^{٤٠٧}.
٣٥. السلام تحية لملتنا وأمان لذمتنا^{٤٠٨}.
٣٦. العالم والمتعلم شريكان في الخير^{٤٠٩}.
٣٧. ما تواضع أحد لله تعالى إلا رفعه^{٤١٠}.

^{٣٩٧} رواه الديلمي، والعسكري وابن المبارك، انظر كشف الخفاء ١/٥١٤ / الفتح الكبير ١٣٣/٢، الميداني ٣٠.

^{٣٩٨} رواه أبو داود، والترمذي والنسائي وأحمد، انظر كشف الخفاء ١/٤٨٩ / الفتح الكبير ١١/٢، الميداني ٣٠.

^{٣٩٩} البخاري كتاب المظالم، باب الاتقاء والحذر من دعوة المظلوم (٢٤٤٨). الميداني ٣٠.

^{٤٠٠} البخاري، كتاب المغازي، باب كتاب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر (٤٤٢٥)، رواه النسائي في "السنن" (٢٢٧/٨). الميداني ٣٠.

^{٤٠١} رواه أحمد: انظر في مسند الشاميين حديث رقم ٢٢١٤. الميدان ٣٠.

^{٤٠٢} رواه البيهقي في السنن ٢٧١/٤ والترمذي، ورواه الطحاوي في مشكل الآثار (١٥١/٤) وأحمد في المسند (رقم: ١٥٩٣٣) والحاكم في معرفة علوم الحديث ص (١٦١) انظر كشف الخفاء (٢٨٧/١). الميدان ٣٠، ص: ٤٥٠.

^{٤٠٣} البخاري، كتاب الأدب، باب الرفق في الأمر كله (رقم ٥٦٧٨) انظر فتح الباري للإمام ابن حجر العسقلاني، دار الريان للتراث، ١٩٨٦م. الميداني ٣٠.

^{٤٠٤} صحيح مسلم كتاب الزهد (رقم ٢٩٥٨، ٢٩٥٩) وانظر شرح النووي ٩٤/١٨. الميداني ٣٠.

^{٤٠٥} البخاري، كتاب العلم، باب قول النبي ﷺ رب مبلغ أوعى من سامع (٦٧) وفي كتاب الحج، أيضا، باب الخطبة أيام منى (٦٦٦٧). والترمذي (رقم الحديث: ٢٦٥٧) ابن حبان (٦٦). الميداني ٣٠.

^{٤٠٦} كشف الخفاء ٦٢/٢ - ٧، وسنن البيهقي، كتاب الصيام، باب ما ورد في صوم الشتاء (٢٩٦/٤) وقد حسن هذا الحديث الألباني في صحيح الجامع الصغير (٢٦٥/٣). الميداني ٣٠.

^{٤٠٧} البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الخيل معقود بنواصيها الخير (٢٦٣٨) / مسلم - شرح النووي (١٦/١٣ - ١٧، ٦٧/٧ - ٦٨). الميداني ٣٠.

^{٤٠٨} أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٢٩/٨) انظر نظرات فقهية وتربوية (ص: ٤٠٩). الميداني ٣٠.

^{٤٠٩} الفتح الكبير ٢٤٧/٢، وكشف الخفاء ٨٥/٢. الميداني ٣٠.

^{٤١٠} مسلم باب استحباب العفو والتواضع رقم ٢٥٨٨، شرح النووي (١٤٢/١٦). الميداني ٣٠.

- ٣٨ . الشتاء ربيع المؤمن قصر نهاره فصامه وطال ليله فقامه^{٤١١} .
- ٣٩ . الخمر مفتاح كل شر^{٤١٢} .
- ٤٠ . معترك المنايا ما بين الستين إلى السبعين^{٤١٣} .
- ٤١ . الخمر أم الخبائث^{٤١٤} .
- ٤٢ . يد الله مع الجماعة^{٤١٥} .
- ٤٣ . الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد^{٤١٦} .
- ٤٤ . الرغب شؤم^{٤١٧} .
- ٤٥ . تهادوا تحابوا^{٤١٨} .
- ٤٦ . من غشنا فليس منا^{٤١٩} .
- ٤٧ . من سرته حسنته وسأته سيئته وهو مؤمن^{٤٢٠} .
- ٤٨ . لا تطرقوا الطير في أوكارها، فإن الليل أمان^{٤٢١} .
- ٤٩ . منى مناخ من سبق^{٤٢٢} .
- ٥٠ . أبدأ بما بدأ الله^{٤٢٣} .
- ٥١ . زر غبا تزدد حبا^{٤٢٤} .

^{٤١١} سلسلة الأحاديث الصحيحة المجلدات الكاملة ١ - ٩، الجزء الرابع ص ٤٢١، رقم الحديث: ١٩٩٢ (للسيخ ناصر الدين الألباني).
^{٤١٢} سنن ابن ماجه تحقيق الألباني - ٤٦٣/٤، رقم الحديث (٣٣٧١)، كتاب الأشربة، الباب الأول، مصنف عبد الرزاق، باب ما يقال في الشرب ٢٣٨/٩، رقم الحديث: ٣٣٧١.
^{٤١٣} صحيح ابن حبان مع حواشي الأرنؤوط كاملة ٢٤٧/٧، صحيح وضعيف الجامع الصغير (٣٢١/٢٢) رقم الحديث: ١٠٨٢١ تخريج السيوطي، وتحقيق الألباني. الحديث حسن.
^{٤١٤} سنن الدار قطني - تدقيق مكتب التحقيق ٤٤٣/٥ (٤٦١٠) كتاب الأشربة وغيرها / سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣٥٣/٤) (١٨٥٤) / معجم الأوسط، باب من اسمه شباب، ٨١/٤ (٣٦٦٧).
^{٤١٥} الجامع الصغير من حديث البشير النذير. باب حرف السين. (٤٦٧/١) (٤٦٧٢) سنن الترمذي، شاكر الألباني. لزوم الجماعة (٤٦٦/٤). قال الألباني صحيح. صحيح ابن حبان - ذكر اثبات معونة الله (٤٣٨/١٠) مع حواشي الأرنؤوط الكاملة.
^{٤١٦} مسند الإمام أحمد، ١٨/١، الرقم: ١١٦
^{٤١٧} كنز العمال، الفصل الثاني من تعديد الأخلاق المحمودة (١٩٩/٣) / الجامع الصغير - من الحديث (٤٤٦/١) (٤٥٣٢) الرغب - الشره والحرص على الدنيا.
^{٤١٨} أمثال الحديث لأبي الشيخ الأصبهاني: ٩١/١ (الرقم: ٢١٤) السنن الكبرى للبيهقي ١٦٩/٦ (١٢٢٩٧) الأدب المفرد بأحكام الألباني، باب قبول الهدية ٢٠٨/١ (الرقم: ٥٩٤) حسن.
^{٤١٩} سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٠٥٨) (١٣٢/٣) للألباني / الجامع الصغير وزيادته (١١١٧/١).
^{٤٢٠} أحمد ١٨/١ (١١٤) تعليق شعيب أرنؤوط، سنن الترمذي شاكر ألباني (٤٦٥/٤) ٢١٦٥. قال الألباني صحيح / السنن الكبرى - للنسائي (٢٨٦/٨).
^{٤٢١} المعجم الكبير للطبراني، الباب الأول، الجزء الثالث ص: ٢١٥، رقم: ٢٨٢٨.
^{٤٢٢} أبو داود (٢٤٩)، الترمذي (٨٨١)، ابن ماجه (٣٠٠٦)، دارمي (١٩٨٠) / ابن خزيمة (٤/٢٨٤) (الترمذي، كتاب الحج، باب ما جاء أن منى مناخ من سبق. الألباني حسن.
^{٤٢٣} مسلم، كتاب الحج (١٢١٨) باب حجة النبي ﷺ (٢٤٠/٤)، أبو داود. مناسك (١٩٠٥) ابن ماجه (٣٠٧٤). دار أبي حبان، القاهرة، ط: ١، ١٩٩٥م، ابن ماجه: ٣٠٧٤. شرح مسلم للنووي.
^{٤٢٤} ابن حبان في صحيحه (٦٢٢)، حسنه الألباني في "صحيح الترغيب"

٥٢. المؤمن هين لين كالجمال الأبق، إن قيد انقاد وإن أنيخ على صخرة استناخ.^{٤٢٥}
٥٣. عترتي سفينة نوح، من ركب فيها نجا، ومن تخلف عنها غرق.^{٤٢٦}
٥٤. من كثر سواد القوم فهو منهم.^{٤٢٧}
٥٥. نعم صومعة الرجل بيته.^{٤٢٨}
٥٦. ما نحل والد ولدا أفضل من أدب حسن.^{٤٢٩}
٥٧. خير الأمور أوساطها.^{٤٣٠}
٥٨. إياك وما يعتذر منه من القول والفعل.^{٤٣١}
٥٩. الخير عادة والشر لجابة.^{٤٣٢}
٦٠. البركة في البكور.^{٤٣٣}
٦١. بلوا أرحاكم ولو بسلام.^{٤٣٤}
٦٢. الندم توبة.^{٤٣٥}
٦٣. الدال على الخير كفاعله.^{٤٣٦}
٦٤. سوء الخلق يفسد العمل، كما يفسد الخل العسل.^{٤٣٧}
٦٥. العائد على هبته كالعائد على قيئه.^{٤٣٨}
٦٦. المؤمن مرآة أخيه.^{٤٣٩}

^{٤٢٥} المراد بالهين سهولته في أمر دنياه ومهمات نفسه أما في أمر دينه فكما قال عمر ابن الخطاب فصرت في الدين أصلب من الحجر وقال بعض السلف: الجبل يمكن ان ينحت منه ولا ينحت من دين المؤمن شيء. اللين لين الجانب وسهولة الانقياد إلى الخير والمسامحة في المعاملة (كالجمال) لين لين الجمال، صحيح الجامع (٦٦٦٩) قال الألباني حسن.

^{٤٢٦} الجامع الصحيح للعلامة جلال الدين السيوطي (١٣٢١) ١٣٢٢/٢، طبع مصر. كنز العمال، لعلي المتقي الهندي الحنفي.

^{٤٢٧} الديلمي، ٥١٩/٣، (رقم ٥٦٢١). كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ٢٢/٩، (٢٤٧٣٥) فتح الباري. كتاب الفتن - باب من كره أن يكثر سواد الفتن والظلم.

^{٤٢٨} المنتقى شرح الموطأ - ما جاء في أمر الغنم ٤١٤/٤ (١٥٣٣).

^{٤٢٩} مجمع الزوائد ومنبع الفوائد. تحقيق الألباني ٨١/٨، حسن.

^{٤٣٠} مصنف ابن أبي شيبة ٤٧٩/١٣ (٣٦٢٧٦).

^{٤٣١} فيض القدير، شرح الجامع الصغير للألباني ١٥١/٣، (رقم ٢٨٨٨).

^{٤٣٢} صحيح ابن ماجه ١٤٣/١ (٢١٧) / صحيح ابن ماجه - تحقيق الألباني (٢٩٣/١) رقم ٢٢١، حديث حسن

^{٤٣٣} سنن ابن ماجه، كتاب التجارات، (٤١) باب ما يرجى البركة في البكور ٣٤٦/٣ (٢٢٣٦) / تحقيق الألباني (٧٥٢/٢).

^{٤٣٤} معرفة الصحابة، تحقيق الألباني (٥٠/١٠) (٣١٢١).

^{٤٣٥} سنن ابن ماجه، محقق مشكول، كتاب الزهد ٣٢٢/٥ (٤٢٥٢) / سنن أحمد، تعليق شعيب الأرنؤوط. صحيح. هذا إسناد حسن / صحيح ابن حبان - مع حواشي الأرنؤوط كاملة (٢) باب التوبة، ذكر خير الدال على أن الندم توبة، (رقم: ٦١١) مسند البزار، ١٨ مجلدا كاملا. ٣١٢/٥ (١٩٢٧) / مسند أبي يعلى، ١٣/٩ (مسند عبد الله بن مسعود) مسند الطيالسي (داهر هجر) باب الندم توبة (٢٩٨/١).

^{٤٣٦} ابن حبان - صححه الألباني (٣٤٢٩) / سلسلة الصحيحة ٢١٩/٤ حسن، الترمذي - يقول الألباني حسن صحيح (٨٠٧).

^{٤٣٧} أمثال الحديث لأبي الشيخ الأصبهاني، (١١٣/١) سلسلة الصحيحة باب ٩٠٦، (٦٠٨/٢).

^{٤٣٨} صحيح البخاري، (رقم: ٢٦٢١)

^{٤٣٩} الأدب المفرد بأحكام الألباني. باب المسلم مرآة أخيه (٩٣/١) حديث حسن.

٦٧. داووا مرضاكم بالصدقة.^{٤٤٠}
٦٨. صدقة السر تطفئ غضب الرب.^{٤٤١}
٦٩. لكل أمة فتنة، فتنة أمتي المال.^{٤٤٢}
٧٠. إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه.^{٤٤٣}
٧١. هدنة على دخن.^{٤٤٤}
٧٢. حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات.^{٤٤٥}
٧٣. انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فهو أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليكم.^{٤٤٦}
٧٤. المؤمن من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب.^{٤٤٧}
٧٥. مات فلان حتف أنفه (أي مات بغير قتل وقتال).^{٤٤٨}
٧٦. سبقك بها عكاشة.^{٤٤٩}
٧٧. أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم.^{٤٥٠}
٧٨. أتاكم أهل اليمن هم أرق أفئدة وألين قلوبا، الإيمان يمان والحكمة يمانية، والفخر والخيلاء في أصحاب الإبل. والسكينة والوقار في أهل الغنم.^{٤٥١}
٧٩. إن الحياء من الإيمان.^{٤٥٢}

^{٤٤٠} أبو داود، قال الألباني ضعيف / ضعيف الجامع، وضعيف الترغيب والترهيب. بل قال الألباني في "صحيح الترغيب والترهيب - حسن لغیره، رواه الطبراني والبيهقي وغيرهما من جماعة من الصحابة مرفوعا متصلا.

^{٤٤١} المعجم الكبير للطبراني (١٦٣٦٢) الباب الرابع (٣٥٥/١٤) أورده الألباني، سلسلة الضعيفة، ٢٥٧/٧، وقال في صحيح الترغيب والترهيب (٢١٦/١) حسن لغیره.

^{٤٤٢} المستدرک للحاکم مع تعلیق. کتاب الرقاق (٣٥٤/٤) سلسلة الصحيحة للألباني ١٤١/٢ (رقم الحديث: ٥٩٢) صحيح ابن حبان. تحقيق أرناؤوط، باب المال من حله وما يتعلق به ١٧/٨ (٣٢٢٣).

^{٤٤٣} سنن ابن ماجه، كتاب الأدب (٦٦٠/٤) سلسلة الصحيحة: ٢٠٣/٣ (١٢٠٥).

^{٤٤٤} سلسلة الصحيحة ٤/ مكتبة المعارف للنشر والتوزيع. باب الرياض سنة الطبع ١٩٩٥م، ١٤١٥هـ، رقم الصفحة ٣٩٩، رقم الحديث ١٧٩١، موقع ديار الإسلام.

^{٤٤٥} صحيح مسلم : ١٤٢ / ٨ ، دارمي - باب حفت الجنة بالمكاره، ٤٣٧/٢، سلسلة الصحيحة ١٦٠ (٣٨٤/٢).

^{٤٤٦} صحيح مسلم ٢١٣/٨ كتاب الزهد والرفاق، الباب الأول (٧٦١٩) / مسند أحمد ٤٨١/٢ (١٠٢٥١) مسند أبي هريرة.

^{٤٤٧} ابن ماجه، كتاب الفتن ٨٦/٥ (٣٩٣٤) / مسند ابن ماجه، باب حرمة دم المسلم وماله ٢٩٨/٢ (٣٩٣٤) / صحيح وضعيف ابن ماجه، تحقيق الألباني، ٤٣٤/٨ (٣٩٣٤).

^{٤٤٨} مصنف ابن أبي شيبة، كتاب الجهاد، باب ما ذكر في فضل الجهاد والحث عليه.

^{٤٤٩} صحيح البخاري (فتح الباري ٤٢، باب من لم يرق. (رقم ٥٧٥٢) ١٧٤/٧ من كتاب الطب. مسلم - ٩٦ باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين (١٣٦/١) (رقم الحديث: ٥٤٢). مسند البزار (٦٧/١٦) (٩١١٢) مسند الطيالسي، ٢٧٥/١، رقم: ٣٥٠.

^{٥٠٠} صحيح البخاري، فتح الباري، كتاب الأحكام، باب الألد الخصم، ٥٦٥/١٦، رقم الحديث: ٧١٨٨.

^{٥٠١} صحيح البخاري، باب قدوم الأشعريين، ٤٣٨٨ (٢١٩/٥).

^{٥٠٢} صحيح البخاري: كتاب الأدب، باب الحياء ٦١١٨ (٦٤٠/١٣).

٨٠. إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها (فراراً منه) ^{٤٥٣}.
٨١. أفضل الصدقة ما ترك غنى. واليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول ^{٤٥٤}.
٨٢. ألا إن الله حرم عليكم دماءكم وأموالكم وأعراضكم كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا ... ^{٤٥٥}.
٨٣. أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة ^{٤٥٦}.
٨٤. فمن رغب عن سنتي فليس مني. ^{٤٥٧}
٨٥. إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه ^{٤٥٨}.
٨٦. إن الشمس والقمر لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته، ولكنهما آيتان من آيات الله ^{٤٥٩}.
٨٧. إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم ^{٤٦٠}.
٨٨. إن الولاء لمن أعتق ^{٤٦١}.
٨٩. إن خياركم أحسنكم أخلاقاً ^{٤٦٢}.
٩٠. إن خيركم أحسنكم قضاء ^{٤٦٣}.
٩١. إن شر الناس ذو الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه ^{٤٦٤}.
٩٢. إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شره ^{٤٦٥}.
٩٣. إن في السحور بركة ^{٤٦٦}.
٩٤. إن في الصلاة شغلاً ^{٤٦٧}.

^{٤٥٣} صحيح البخاري، كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون ٥٧٢٨، ٥٧٣٠ (٧٦، ٧٧/١٣).

^{٤٥٤} صحيح البخاري، كتاب النفقات، باب وجوب النفقة على الأهل والعيال، ٤٩٣٦.

^{٤٥٥} صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب حجة الوداع، ٤٠٥١.

^{٤٥٦} صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب تبتغي مرضات أزواجك ٤٥٣٢.

^{٤٥٧} صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، ٤٦٧٥.

^{٤٥٨} صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، ٤٦٧٥.

^{٤٥٩} صحيح البخاري، باب الصلاة في كسوف الشمس ٩٨٤.

^{٤٦٠} صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق - باب صفة إبليس وجنوده ٣٠٣٩.

^{٤٦١} صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب ذكر البيع والشراء على المنبر ٤٣٦.

^{٤٦٢} صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسخاء، ٦٠٣٥.

^{٤٦٣} صحيح البخاري، كتاب الاستقراض، باب استقراض الإبل، ٢٣٩٠، الفتح ٤٩٢/٦.

^{٤٦٤} صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب ما يكره من ثناء السلطان ٧١٧٩ (٥٥٠/١٦).

^{٤٦٥} صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب لم يكن النبي ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً ٦٠٣٢ (٥٢٤/١٣).

^{٤٦٦} صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب بركة السحور ١٧٨٩.

^{٤٦٧} صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب ما ينهى عنه من الكلام في الصلاة ١١٢٤.

٩٥. إن الله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى^{٤٦٨}.
٩٦. إن لهذه البهائم أوابد كأوابد الوحش^{٤٦٩}.
٩٧. إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت^{٤٧٠}.
٩٨. أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا^{٤٧١}.
٩٩. أنفي ولا تحصي فيحصي الله عليك، ولا توعي فيوعي الله عليك^{٤٧٢}.
١٠٠. إنك أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عائلة يتكفون الناس^{٤٧٣}.
١٠١. إنك امرؤ فيك جاهلية^{٤٧٤}.
١٠٢. إنك مهما أنفقت من نفقة فإنها صدقة حتى اللقمة التي ترفعها إلى في امرأتك^{٤٧٥}.
١٠٣. إنكن صواحب يوسف^{٤٧٦}.
١٠٤. إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى^{٤٧٧}.
١٠٥. إنما الرضاة من المجاعة^{٤٧٨}.
١٠٦. إنما الصبر عند الصدمة الأولى^{٤٧٩}.
١٠٧. إنما جعل الإمام ليؤتم به^{٤٨٠}.
١٠٨. إنما جعل الاستئذان من أجل البصر^{٤٨١}.
١٠٩. إنه يأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة^{٤٨٢}.
١١٠. إنني أرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر^{٤٨٣}.

٤٦٨ صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ يعذب الميت ببعض بكاء أهله ١٢٠٤.

٤٦٩ صحيح البخاري، كتاب الشركة، باب قسمة الغنم: ٢٣٠٨.

٤٧٠ صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب إذا لم تستح فاصنع ما شئت، ٦١٢٠، ٦٤٣/١٣.

٤٧١ صحيح البخاري، كتاب الطلاق، باب اللعان، ٤٨٩٢.

٤٧٢ صحيح البخاري، كتاب الهبة، باب هبة المرأة لغير زوجها ٢٤٠٢.

٤٧٣ صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب رثاء النبي ﷺ خولة بنت سعد ١٢١٣.

٤٧٤ صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما ينهى من السباب واللعن، ٦٠٥٠، ٥٤٤/١٣.

٤٧٥ صحيح البخاري، كتاب الوصايا، باب أن يترك ورثته أغنياء خير ٢٥٣٧.

٤٧٦ صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى (لقد كان في يوسف وإفرته آيات الساتلين ٣١٣٢).

٤٧٧ صحيح البخاري، الحديث الأول.

٤٧٨ صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب الشهادة على الأنساب ٢٤٥٣.

٤٧٩ صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب زيارة القبور، ١٢٠٣، ١٢١٩.

٤٨٠ صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب الإشارة في الصلاة - ١١٦٠.

٤٨١ صحيح البخاري، كتاب الاستئذان، باب الاستئذان من أجل البصر ٥٧٢٢.

٤٨٢ صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن - باب قوله (أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ٤٣٦٠).

٤٨٣ صحيح البخاري، كتاب الحج، باب أكام المدينة ١٧٤٥.

١١١. إني لم أؤمر أن أنقب عن قلوب الناس، ولا أشق بطونهم^{٤٨٤}.
١١٢. أهل الجنة كل ضعيف متضعف، لو أقسم على الله لأيره^{٤٨٥}.
١١٣. أهل النار كل عتل جواظ مستكبر^{٤٨٦}.
١١٤. أولم ولو بشاة^{٤٨٧}.
١١٥. إياكم والجلوس في الطرقات^{٤٨٨}.
١١٦. إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث^{٤٨٩}.
١١٧. آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان^{٤٩٠}.
١١٨. ابن أخت القوم منهم^{٤٩١}.
١١٩. اسمع وأطع ولو لحبشي كأن رأسه زبيبة^{٤٩٢} (قاله ﷺ لأبي ذر الغفاري رضي الله عنه).
١٢٠. اشفعوا تؤجروا^{٤٩٣}.
١٢١. اعملوا فكل ميسر لما خلق له^{٤٩٤}.
١٢٢. البيعان بالخيار ما لم يتفرقا^{٤٩٥}.
١٢٣. البركة في نواصي الخيل^{٤٩٦}.
١٢٤. البينة أو حد في ظهرك^{٤٩٧}.
١٢٥. الجار أحق بسقبه وفي رواية بصقبه^{٤٩٨}.
١٢٦. التثاؤب من الشيطان^{٤٩٩}.

٤٨٤ صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب بعث علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد ٤٠٠٤.

٤٨٥ صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله (خلق الإنسان من علق) ٥٧٣.

٤٨٦ صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله (عتل بعد ذلك زنيم) ٥٣٧.

٤٨٧ صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب قول الرجل لأخيه ٦٨٤.

٤٨٨ صحيح البخاري، كتاب المظالم والغضب، باب أفنية الدور والجلوس فيها ٢٤٦٥ الفتح ٥٨٣/٦.

٤٨٩ صحيح البخاري، كتاب الوصايا، باب من بعد وصية توصون بها.

٤٩٠ صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق ٣٢.

٤٩١ صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب ابن أخت القوم منهم ٣٢٦٥.

٤٩٢ صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب إمارة المفتون والمبتدع ٦٥٥.

٤٩٣ صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب التحريض على الصدقة، ١٣٤٢.

٤٩٤ صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب فسنيسره للعسرى ٥٦٨.

٤٩٥ صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب إذا بين البيعان ٢٠٧٩. (الفتح ٩٩/٦).

٤٩٦ صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الخيل معقود في نواصيها الخير ٢٦٣٩.

٤٩٧ صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب ويدأ عنها العذاب ٤٣٧٨.

٤٩٨ صحيح البخاري، كتاب الحيل، باب في الهبة والشفعة ٦٩٦٢ (١٢١/١٦) (سبقه أي قربه).

٤٩٩ صحيح البخاري، بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده ٣٠٤٦.

١٢٧. السفر قطعة من العذاب^{٥٠٠}.
١٢٨. الحلف منقعة للسلعة ممحقة للبركة^{٥٠١}.
١٢٩. السواك مطهرة للفم، مرضاة للرب^{٥٠٢}.
١٣٠. الضيافة ثلاثة أيام^{٥٠٣}.
١٣١. الطاعون شهادة لكل مسلم^{٥٠٤}.
١٣٢. الظلم ظلمات يوم القيامة^{٥٠٥}.
١٣٣. العجماء جبار، والنبئر جبار. والمعدن جبار، وفي الركاز الخمس^{٥٠٦}.
١٣٤. الكلمة الطيبة صدقة^{٥٠٧}.
١٣٥. الكمأة من المن، وماؤها شفاء للعين^{٥٠٨}.
١٣٦. الحموموت^{٥٠٩}.
١٣٧. الحمى من فيح جهنم، فأبردوها بالماء^{٥١٠}.
١٣٨. الحياء لا يأتي إلا بخير^{٥١١}.
١٣٩. الخالة بمنزلة الأم^{٥١٢}.
١٤٠. الدين النصيحة^{٥١٣}.
١٤١. الذي تفوته صلاة العصر كأنما وتر أهله وماله^{٥١٤}.
١٤٢. الرحم شجنة، فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته^{٥١٥}.
١٤٣. اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف^{٥١٦}.

^{٥٠٠} صحيح البخاري، كتاب الأطعمة، باب ذكر الطعام ٥٠٠٩.

^{٥٠١} صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب (يمحق الله الربا ويربي الصدقات) ٢٠٨٧ (١٠٩/٦).

^{٥٠٢} سنن النسائي الكبرى، باب الترغيب في السواك الجزء الأول، الصفحة ٦٤. رقم الحديث ٤، المكتبة الشاملة، صفحة الألباني.

^{٥٠٣} صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ٦٠١٩، ٥١١/١٣.

^{٥٠٤} صحيح البخاري، الجهاد والسير، باب الشهادة سبع سوى القتال ٢٦١٨، وكتاب الطب ٥٢٩١.

^{٥٠٥} صحيح البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب الظلم ظلمات يوم القيامة ٢٤٤٧ (٥٦٤/٦).

^{٥٠٦} صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب ما يستخرج من البحر ١٤٠٣.

^{٥٠٧} صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من أخذ بالركاب ٢٧٦٧.

^{٥٠٨} صحيح البخاري، كتاب الأطعمة، باب المن شفاء للعين ٥٢٧٢.

^{٥٠٩} صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب لا يخلون الرجل بامرأة ٤٣٨١.

^{٥١٠} صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة أبواب الجنة ٣٠٢١.

^{٥١١} صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الحياء ٦١١٧ (٦٣٩/١٣).

^{٥١٢} صحيح البخاري، كتاب الصلح، باب كيف يكتب هذا ما صلح فلان ٢٥٠١.

^{٥١٣} صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب قول النبي ﷺ الدين النصيحة ٤٣.

^{٥١٤} صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب إثم من فاتته العصر ٥١٩.

^{٥١٥} صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب من بسط له في الرزق بصلة الرحم (٥٩٨٩) وفي رواية أخرى إن الرحم شجنة من الرحمن. قال الإسماعيلي معنى الحديث أن الرحم أشقق اسمها من اسم الرحمن فلما به علقه، فتح الباري (٤٦٣/١٣) دار أبي حيان.

^{٥١٦} صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب تسمية "الوليد" ٦٢٠٠، (٧٣٨/١٣).

- ١٤٤ . اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة^{٥١٧} .
- ١٤٥ . المتشيع بما لم يعط كلابس ثوب زور^{٥١٨} .
- ١٤٦ . المرء مع من أحب^{٥١٩} .
- ١٤٧ . المرأة كالضلع، إن أقمتها كسرتها، وإن استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج^{٥٢٠} .
- ١٤٨ . الولد للفراش، وللعاهر الحجر^{٥٢١} .
- ١٤٩ . اليمين على المدعى عليه^{٥٢٢} .
- ١٥٠ . انظر ولو خاتما من حديد^{٥٢٣} .
- ١٥١ . بعثت والساعة كهاتين^{٥٢٤} .
- ١٥٢ . بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار^{٥٢٥} .
- ١٥٣ . في كل ذات كبد رطبة أجر^{٥٢٦} .
- ١٥٤ . تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخمديصة، أن أعطي رضي وإن لم يعط لم يرض^{٥٢٧} .
- ١٥٥ . تتكح المرأة لأربع، لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين، تربت يداك^{٥٢٨} .
- ١٥٦ . حجبت النار بالشهوات وحجبت الجنة بالمكاره^{٥٢٩} .
- ١٥٧ . خيركم من تعلم القرآن وعلمه^{٥٣٠} .

^{٥١٧} صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب لا عيش إلا عيش الآخرة ٥٩٣٤ .

^{٥١٨} صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب المتشيع بما لم ينل ٤٨١٨ .

^{٥١٩} صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب علامة حب الله ٦١٦٨ (٧٠٠/١٣) .

^{٥٢٠} صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب المداراة مع النساء ٤٧٨٦، وفي عدة القاري للعيني رقم الحديث ٤٨١٥ .

^{٥٢١} صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب تفسير المشبهات، ٢٠٥٣ (٧١/٦) .

^{٥٢٢} صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب إن الذين يشتركون بعهد الله ٤١٨٧ .

^{٥٢٣} صحيح البخاري (فتح الباري)، كتاب النكاح، باب تزويج المعسر، الرقم: ٥٠٨٧ / صحيح مسلم، كتاب النكاح، باب الصداق وجواز قوله تعليم قرآن ولو خاتم، الرقم: ٣٥٥٣ .

^{٥٢٤} صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب يوم ينفخ في الصور ٤٥٥٥ .

^{٥٢٥} صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل ٣٢٠٢ .

^{٥٢٦} صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم ٦٠٠٩ (٤٩٨/١٣) .

^{٥٢٧} صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب ما يتقى من فتنة المال ٥٩٥٥ .

^{٥٢٨} صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الأكفاء في الدين، ٤٧٠٠ .

^{٥٢٩} صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب حجبت النار بالشهوات ٦٠٠٦ .

^{٥٣٠} صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه ٤٦٣٩ .

١٥٨. يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية^{٥٣١}.
١٥٩. دعوه فإن لصاحب الحق مقالا^{٥٣٢}.
١٦٠. ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه^{٥٣٣}.
١٦١. رب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة^{٥٣٤}.
١٦٢. سباب المسلم فسوق وقتاله كفر^{٥٣٥}.
١٦٣. سمع النبي ﷺ رجلا يثني على رجل ويطريه في المدحة، قال: أهلكتم أو قطعتم ظهر الرجل^{٥٣٦}.
١٦٤. شر الطعام طعام الوليمة، يدعى لها الأغنياء ويترك الفقراء، ومن ترك الدعوة فقد عصى الله ورسوله^{٥٣٧}.
١٦٥. صدق الله وكذب بطن أخيك^{٥٣٨}.
١٦٦. طعام الاثنين كاف للثلاثة، وطعام الثلاثة كاف للأربعة^{٥٣٩}.
١٦٧. عليكم ما تطيقون من الأعمال، فإن الله لا يمل حتى تملوا^{٥٤٠}.
١٦٨. الله أرحم بعباده من هذه بولدها^{٥٤١}.
١٦٩. فإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة^{٥٤٢}.
١٧٠. لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها^{٥٤٣}.
١٧١. فليتقين أحدكم النار ولو بشق تمرة، فإن لم يجد فبكلمة طيبة^{٥٤٤}.
١٧٢. فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم^{٥٤٥}.

^{٥٣١} صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامة النبوة في الإسلام، ٣٣٤١.
^{٥٣٢} صحيح البخاري، كتاب الوكالة، باب الوكالة في قضاء الديون ٢٣٠٦ (٣٨٧/٦).
^{٥٣٣} صحيح البخاري، كتاب بدئ الخلق، باب صفة إبليس وجنوده ٣٠٣٠.
^{٥٣٤} صحيح البخاري، كتاب العلم، باب العلم والعظة بالليل ١١٢.
^{٥٣٥} صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله ٤٦.
^{٥٣٦} صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما يكره في التماح ٦٠٦٠ (٥٦١/١٣).
^{٥٣٧} صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب من ترك الدعوة فقد عصى الله ورسوله ٤٧٧٩.
^{٥٣٨} صحيح البخاري، كتاب الطب، باب الدواء بالعسل ٥٦٨٤ (١٤/١٣).
^{٥٣٩} صحيح البخاري، كتاب الأطعمة، باب طعام الواحد يكفي الاثنين ٤٩٧٣.
^{٥٤٠} صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب ما يكره من التشديد في العبادة ١٠٨٣.
^{٥٤١} صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله، ٥٩٩٩ (٤٧٨/١٣).
^{٥٤٢} صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من سئل علما، ٥٩ (٢٧٥/١).
^{٥٤٣} صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب مقام النبي ﷺ بمكة أيام الفتح ٤٣٠٤.
^{٥٤٤} صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب الصدقة قبل الرد، ١٤١٣ (٤٥٤/٤).
^{٥٤٥} صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر ٣٨.

١٧٣. فو الله لهم أشبه به من الغراب بالغراب^{٥٤٦}.
١٧٤. فيهما فجاهد^{٥٤٧}.
١٧٥. كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل^{٥٤٨}.
١٧٦. كيف وقد قيل^{٥٤٩}.
١٧٧. لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا خيرا له من أن يمتلئ شعرا^{٥٥٠}.
١٧٨. لا تسأل المرأة طلاق أختها لتستقرغ صحفتها ولتتكح. فإن لها ما قدر لها^{٥٥١}.
١٧٩. لا تسأل الإمارة، فإنك إن أوتيتها عن مسألة وكلت إليها، وإن أوتيتها من غير مسألة أعنت عليها^{٥٥٢}.
١٨٠. لا تسبوا الأموات، فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا^{٥٥٣}.
١٨١. لا حسد إلا في اثنين، رجل آتاه الله مالا فسلط على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها^{٥٥٤}.
١٨٢. لا طاعة في معصية، إنما الطاعة في المعروف^{٥٥٥}.
١٨٣. لا نخاف في الله لومة لائم^{٥٥٦}.
١٨٤. لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا^{٥٥٧}.
١٨٥. لا يحلبن أحدكم ماشية امرئ إلا بإذنه^{٥٥٨}.
١٨٦. لا يدخل الجنة قاطع^{٥٥٩}.
١٨٧. لا يدخل الجنة قتات^{٥٦٠}.

^{٥٤٦} صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب ثياب الخضر ٥٣٧٧.

^{٥٤٧} صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الجهاد بإذن الأبوين ٢٧٨٢.

^{٥٤٨} صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل ٥٩٣٧.

^{٥٤٩} صحيح البخاري، كتاب العلم، باب الرحلة في المسألة النازلة، ٨٨.

^{٥٥٠} صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما يكره أن يكون الغالب على الإنسان الشعر ٦١٥٤ (٦٨٤/١٣).

^{٥٥١} صحيح البخاري، كتاب القدر، باب وكان أمر الله قدرا مقدورا ٦١١١.

^{٥٥٢} صحيح البخاري، كتاب الإيمان والنذور، باب قوله تعالى (لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم) ٦٦٢٢ (٦٤/١٥).

^{٥٥٣} صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ما ينهى من سب الأموات ١٣٠٦.

^{٥٥٤} صحيح البخاري، كتاب العلم، باب الاعتباط في العلم والحكمة ٧٣ (٣١٦/١).

^{٥٥٥} صحيح البخاري، كتاب أخبار الأحاد، باب ما جاء في إجازة خبر الواحد ٧٢٥٧ (٣٠/١٧)، الصدوق الثقة.

^{٥٥٦} صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب كيف يبائع الإمام الناس ٧٢٠٠ (٥٨٥/١٦).

^{٥٥٧} صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب فضل الجهاد ٢٥٧٥.

^{٥٥٨} صحيح البخاري، كتاب اللقطة، باب لا تحتلب ماشية أحد بغير إذنه ٢٤٣٥ (٥٤٤/٦).

^{٥٥٩} صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب إثم القاطع ٥٩٨٤ (٤٥٧/١٣).

^{٥٦٠} صحيح البخاري، كتاب الأدب، القتات هو ناقل الكلام بين الناس بقصد الإفساد وهو النمام، (٥٥٥/١٣).

١٨٨. لا يقبل منه صرف ولا عدل^{٥٦١}.
١٨٩. لا يوردن ممرض على مصح^{٥٦٢}.
١٩٠. لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر، وذراعا بذراع، حتى لو سلكوا حجر ضب لسلكتموه^{٥٦٣}.
١٩١. لعن المؤمن كقتله^{٥٦٤}.
١٩٢. لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها^{٥٦٥}.
١٩٣. لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه^{٥٦٦}.
١٩٤. لو دعيت إلى ذراع أو كراع لأجبت^{٥٦٧}.
١٩٥. لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب^{٥٦٨}.
١٩٦. لو يعلم الناس ما في الوحدة ما أعلم. ما سار راكب ليل وحده^{٥٦٩}.
١٩٧. ليّ الواجد يحل عقوبته وعرضه^{٥٧٠}.
١٩٨. ليدخلن الجنة من أمتي سبعون ألفاً أو سبع مائة ألف – شك في أحدهما – متماسكين أخذ بعضهم بعضاً حتى يدخل أولهم وآخرهم الجنة. ووجوههم على ضوء القمر ليلة البدر^{٥٧١}.
١٩٩. ليس لعرق ظالم فيه حق^{٥٧٢}.
٢٠٠. ليس من البر الصوم في السفر^{٥٧٣}.

^{٥٦١} صحيح البخاري، كتاب الجزية والمرادعة، باب ذمة المسلمين وجوارهم واحدة ٢٩٣٦ صرف: الفريضة أو التوبة، العدل: النافلة أو الفدية.

^{٥٦٢} صحيح البخاري، كتاب الطب، باب لا هامة ٥٧٧١ (١٧٣/١٣).

^{٥٦٣} صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل ٣٤٥٦ (٣٣٥/٨).

^{٥٦٤} صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب من كفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال ٦١٠٥ (٦٢٨/١٣).

^{٥٦٥} صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الغدوة والروحة في سبيل الله ٢٥٨٣.

^{٥٦٦} صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب قول النبي ﷺ لو كنت متخذاً خليلاً ٣٣٩٧، يقصد الصحابة، وهذا ورد في النهي من شتمهم.

^{٥٦٧} صحيح البخاري، كتاب الهبة، باب القليل من الهبة ٢٣٨٠.

^{٥٦٨} صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب ما يتقى من فتنة المال ٦٤٣٦ (٣٨٨/١٤).

^{٥٦٩} صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب السير وحده ٢٧٧٦.

^{٥٧٠} صحيح البخاري، كتاب الاستقراض، باب لصاحب الحق مقال، اللي: تأخير سداد الدين من قادر بغير عنر. الواجد: القادر علي السداد (روى تعليقا) بغير رقم (٥٠١/٦).

^{٥٧١} صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب ٦٥٤٣ (٦٢١/١٤).

^{٥٧٢} صحيح البخاري، كتاب المزارعة، باب من أحيا أرضاً مواتاً، ذكر تعليقا (٤٣١/٦).

^{٥٧٣} صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب قول النبي ﷺ لمن ظلل عليه واشتد الحر ليس من البر الصوم في السفر ١٩٤٦ (٦٩٤/٥).

٢٠١. ليس منا من لطم الخدود، وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية^{٥٧٤}.
٢٠٢. ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء^{٥٧٥}.
٢٠٣. ما المسئول عنها بأعلم من السائل^{٥٧٦}.
٢٠٤. ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء^{٥٧٧}.
٢٠٥. ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداهن^{٥٧٨}.
٢٠٦. ما من مسلم يصيبه أذى، شوكة فما فوقها، إلا كفر الله بها سيئاته كما تحط الشجرة من ورقها^{٥٧٩}.
٢٠٧. ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسونه فيها من جدهاء^{٥٨٠}.
٢٠٨. مطل الغني ظلم^{٥٨١}.
٢٠٩. من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كرهه لقاءه الله كرهه لقاءه^{٥٨٢}.
٢١٠. من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد^{٥٨٣}.
٢١١. من حمل علينا السلاح فليس منا^{٥٨٤}.
٢١٢. من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين^{٥٨٥}.
٢١٣. موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها^{٥٨٦}.
٢١٤. واعملوا أن الجنة تحت ظلال السيوف^{٥٨٧}.
٢١٥. والذي نفسي بيده لأن يأخذ أحكم حبله فيحطب على ظهره خير له من أن يأتي رجلا فيسأله أعطاه أو منعه^{٥٨٨}.

^{٥٧٤} صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ليس منا من شق الجيوب ١٢٩٤ (٢٦٨/٤).

^{٥٧٥} صحيح البخاري، كتاب الطب، باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء ٥٦٧٨ (الجزء ١٣/ص: ٦).

^{٥٧٦} صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل. قاله ﷺ سأله جبريل عن الساعة (الرقم: ٥٠) (٢٣٠/١).

^{٥٧٧} صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب ما يتقى من شئوم المرأة ٤٧٠٦.

^{٥٧٨} صحيح البخاري، كتاب الحيض، باب ترك الحائض الصوم ٣٠٤ (٧٩/٢).

^{٥٧٩} صحيح البخاري، كتاب المرضى، باب أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأئمة فالأمثل فالأمثل ٥٦٤٨ (٢٨٢/١٢).

^{٥٨٠} صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي ١٣٥٨ (٣٥٨/٤).

^{٥٨١} صحيح البخاري، كتاب الاستعراض، باب مطل الغني ظلم ٢٤٠٠ (٥٠١/٦)، كتاب الحوالة رقم: ٢٢٨٧، (٣٥٥/٦)، المطل - أجل موعد الوفاء به مرة بعد أخرى.

^{٥٨٢} صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب من أحب لقاء الله ٦٠٢٦.

^{٥٨٣} صحيح البخاري، كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا عن صلح جور فالصلح مردود ٢٤٩٩.

^{٥٨٤} صحيح البخاري، كتاب الديات، باب قوله تعالى (ومن أحيها...) ٦٨٧٤ (٨٠٥/١٥).

^{٥٨٥} صحيح البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب إثم من ظلم شيئاً من الأرض ٢٤٥٣ (٥٦٨/٦).

^{٥٨٦} صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة ٣٢٥٠ (٥٩/٨).

^{٥٨٧} صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الجنة تحت بارقة السيوف ٢٦٠٧.

^{٥٨٨} صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب الاستغفار عن المسألة ١٤٧٠ (٥٣٩/٤).

٢١٦. يا نساء المسلمات، لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة^{٥٨٩}.
٢١٧. يذهب الصالحون الأول فالأول ويبقى حفالة كحفالة الشعير أو التمر لا يباليهم الله بالة^{٥٩٠}. قال أبو عبد الله البخاري: يقال حفالة وحتالة.
٢١٨. يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي^{٥٩١}.
٢١٩. الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، أو القائم الليل الصائم النهار^{٥٩٢}.
٢٢٠. أنصر أخاك ظالما أو مظلوما. فقال رجل: يا رسول الله ﷺ أنصره إذا كان مظلوما، أفرأيت إذا كان ظالما كيف أنصره؟! قال: تحجزه أو تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره^{٥٩٣}.
٢٢١. لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه^{٥٩٤}.
٢٢٢. لا يلدغ مؤمن من جحر واحد مرتين^{٥٩٥}.
٢٢٣. من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت^{٥٩٦}.
٢٢٤. من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة^{٥٩٧}.
٢٢٥. إنما يرحم الله من عباده الرحماء^{٥٩٨}.
٢٢٦. والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك^{٥٩٩}.
٢٢٧. ويحك يا أنجشة، رويدك، سوقك بالقوارير^{٦٠٠}.

^{٥٨٩} صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب لا يحقرن جارة لجارتها ٦٠١٧ (٥٠٩/١٣).

^{٥٩٠} صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب ذهب الصالحون ٦٤٣٤ (٣٨٦/١٤)، حثالة: الرديء من كل شيء، الباله: قدر أو وزن.

^{٥٩١} صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى (ويحذرکم الله نفسه) ٧٤٠٥ (٢٦١/١٧).

^{٥٩٢} صحيح البخاري، كتاب النفقات، باب فضل النفقة على الأهل. ٥٣٥٣ (٢٣١/١٢).

^{٥٩٣} صحيح البخاري، كتاب الإكراه، باب يمين الرجل لصاحبه ٦٩٥٢ (٩٥/١٦).

^{٥٩٤} صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ١٣ (١٣٠/١).

^{٥٩٥} صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين ٦١٣٣ (٦٥٤/١٣).

^{٥٩٦} صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ٦٠١٨ (٥١٠/١٣).

^{٥٩٧} صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان ٦٤٧٤ (٤٧٢/١٤).

^{٥٩٨} صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب صلاة الإمام ودعائه لصاحب الصدقة ١٨٩٤ (٥٦٩/٥).

^{٥٩٩} صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب فضل الصوم ١٨٩٤ (٥٦٩/٥).

^{٦٠٠} صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما يجوز من الشعر ٦١٤٩، رويدك - أرفق. سوقك - أي أرفق في سوقك. القوارير: الزجاجات. أي لا تكسر القوارير يعني النساء، المعنى سقهن كسوقك القوارير. ٦٦٩/١٣، ٦٧٩، ٦٨٠.

٢٢٨. وإن من البيان سحرا وإن من العلم جهلا وإن من الشعر حكما وإن من القول عيا^{٦٠٢}.
٢٢٩. إنما الأعمال بخواتيمها^{٦٠٣}.
٢٣٠. المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه^{٦٠٤}.
٢٣١. لا يزال قلب الكبير شابا في اثنين، في حب الدنيا وطول الأمل^{٦٠٥}.
٢٣٢. ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب^{٦٠٦}.
٢٣٣. ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى لنفس^{٦٠٧}.
٢٣٤. يسروا ولا تعسروا بشروا ولا تنفروا^{٦٠٨}.

^{٦٠١} هو تكلف العالم فيما لا يعلم فيجهله ذلك.

^{٦٠٢} عدم الإبانة. وفي سنن أبي داود "وإن القول عيالا" أي عرض الحديث على من ليس له شأنه ولا يريده. وذكر الخطابي أن غير أبي داود رواها. "وإن من القول عيالا" أي العرض على من لا يريده (انظر نظرات فقهية وتربوية) ص: ٣٨٧.

^{٦٠٣} صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب الأعمال بالخواتيم ٦٠١٢.

^{٦٠٤} صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ١٠ (١٢٤/١).

^{٦٠٥} صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب من بلغ سنين سنة ٦٤٢٠ (٣٦٦/١٤).

^{٦٠٦} صحيح البخاري، باب الحذر من الغضب ٦١١٤، (٦٣٥/١٣).

^{٦٠٧} صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب الغنى غنى النفس ٦٤٤٦، (٤١٦/١٤).

^{٦٠٨} صحيح البخاري، كتاب العلم، باب ما كان النبي ﷺ يتغولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا. رقم الحديث (٦٩) / صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير. رقم (١٧٣٢).

CHAPTER 6

Muhamed V.M.”Proverbs of the Prophet : Collection Classification and Literary Analysis” Thesis. Research Department of Arabic,Farook College,University of Calicut, 2014.

الباب السادس

شرح الأمثال النبوية الأدبية

الباب السادس

شرح الأمثال النبوية الأدبية

أقوال نبينا ﷺ أروع مثال للأدب العربي، وبلاغة أحاديثه على قمتها لا يقدر لأديب ولا باحث أن يدركها على تمامها وكمالها. لأنه قول رسول كريم وسيد الأنبياء والمرسلين أوحى من رب عظيم.

أما الأمثال في الأدب فهي أحسن نوع منه وأروع، فأين تكون مكانة الأمثال النبوية ومنزلتها على سائر الأمثال العربية، فالجهود على شرحها خصوصا على جوانبها الأدبية البلاغية أصعب جدا لقلّة علم الإنسان وقصور وقتهم وكثرة عددها وروعة جمالها ومكانتها.

يريد الباحث هنا أن يشرح بعضا منها شرحا أدبيا لأنه كاف للمتخصص أن يدرك على علو كعبها وسمو أدبها وتربعها على ذروة الأدب، ويقيس عليها ما بقيت منها:

١ - "الآن حمي الوطيس" :

هذا القول الكريم لرسول الله ﷺ في غزوة حنين، وقد أوشكت الحرب أن تكون لصالح (هوازن) بوادي (حنين) على مقربة من (الطائف)، ثم امتن الله على المسلمين أخيرا بالنصر، وفي ذلك نزل قوله تعالى: "لقد نصركم الله في مواطن

كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين. ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين" ^{٦٠٩}.

في وقت اشتداد المعركة بين الفريقين قال رسول الله ﷺ: "الآن حمي الوطيس".

المفردات :

الآن : إشارة إلى أن ميدان المعركة لم يصر إلى ما صار إليه من الشبه بالوطيس وهو: الفرن المتوهج بالنار العالي الحرارة إلا بعد مضي وقت من بداية القتال، وأن وقت نطقه ﷺ بالحديث كانت الحرب قد بلغت فيه ذروتها.

حمي : إما أن يكون بفتح الميم فيقال حمَى - مضارعه يحمُو، والمصدر حموا - فلامه واو. وإما أن يكون بكسر الميم فيقال (حمى يحمى حميا) فلامه - بناء على ذلك - ياء. والمعنى في كل منهما: اشتداد حر النار ^{٦١٠}.

الوطيس : في أصل الوضع بمعنى (التنور) وهو حفيرة تحتقر وتحاط بحجارة يختبئ فيها ويشوى. فإذا حميت فلا يستطيع أحد أن يلمسها من شدة حرارتها.

فإطلاق (الوطيس) على (الحرب) من قبيل الاستعارة التصريحية، حيث شبهت (الحرب) ب (الوطيس) بجامع: ارتفاع الحرارة وغلبة الحمرة في شدة مهلكة. يقول ابن الأثير: وأراد بذلك شدة الحرب، فإن (الوطيس) - في أصل الوضع - هو (التنور)، فنقل إلى (الحرب) استعارة ^{٦١١}.

وعلى ذلك فلفظ حمي ترشيح لهذه الاستعارة.

^{٦٠٩} التوبة / ٢٥، ٢٦

^{٦١٠} انظر المعجم الوسيط / حمى

^{٦١١} ابن الأثير، المثل السائر - ١٣٥/١ (انظر أضواء على البلاغة النبوية، تأليف الأستاذ الدكتور إبراهيم طه الجعلي، ص: ١٥٦، مكتبة الرشد، الرياض الطبعة الثانية، ٢٠٠٧)

الشرح الأدبي :

وتمكن بلاغة هذه الصورة في أن القتال إذا اشتد في ميدان المعركة فصالت السيوف وجالت الرماح، وانطلقت السهام فإن الحرب تكون قد قامت على قدم وساق. وفي وسط هذا الجو المتجهم المكفهر تتطاير الرؤوس، وتتناثر الأشلاء وتتزف الجراح، فتغلى مراحل الغضب في القلوب، ويتوقد جمر النار في النفوس وترتفع الحرارة في دماء المقاتلين طلبا للثأر والانتقام.

فإذا نظر الرائي وجد صورة أشبه ما تكون بفرن يتأجج بنيران عالية الحرارة، يغلب على ميدان المعركة الحمرة، فالنار هنا نار دموية كما ترى.

وواضح ما في الصورة من البلاغة العالية التي لم تسمع إلا منه ﷺ فقد انفرد بتوليد هذا التعبير المعبر أصدق تعبير عن المعنى المراد.

٢ - "الناس معادن، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا" :

الحديث الكامل: عن أبي هريرة رضي الله عنه سئل رسول الله ﷺ : من أكرم الناس؟ قال: أتقاهم لله، قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: فأكرم الناس يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله، قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: فعن معادن العرب تسألوني؟ الناس معادن، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا^{٦١٢}.

المفردات :

المعادن من معدن : مكان كل شيء فيه أصله ومركزه، وموضع استخراج الجوهر من ذهب ونحوه.

^{٦١٢} صحيح البخاري، انظر فتح الباري لابن حجر العسقلاني، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى "لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين (ص: ٢١٣/٨) (٣٣٨٣) الطبعة الأولى، دار أبي حيان، القاهرة.

الشرح الأدبي :

هذا النص النبوي الكريم إذا حملنا على التصوير يمكن أن نخرج منه بهذه المدلولات:

١ - المشتقات في الكشف عن الحقائق: المعادن في مكونات الجبال والهضاب. وفي طبقات الأرض وأغوارها البعيدة تحتاج إلى بحث عنها وتنقيب لاستخراجها، ثم مصانع لاستخلاصها من الشوائب، وحتى يصل معدن كالحديد إلى صورته النهائية التي نراه عليها يحتاج إلى جهد جهيد في استخراجه من المناجم وتصنيعه في الأفران عالية الحرارة ثم في صوغه على القوالب المرادة للانتفاع به، وبقية المعادن يفعل بها مثلما يفعل بالحديد في الكشف عنه وتصنيعه.... طاقات من البشر، ومعدات من الآلات تستخدم في إخراج مثل معدن الحديد إلى دنيا الناس.

والناس كالمعادن، حتى يتبين لك الغث من السمين، والوضيع من الشريف واللئيم من الكريم، فإن ذلك يحتاج منك إلى طول ملازمة، ودوام عشرة. يقول صاحب المجازات النبوية: لأنه ﷺ شبه الناس بالمعادن التي تكون في قرارات الأرض، فلا يحكم على ظواهرها، حتى تستخرج دفائنها، وتستتبط كوامنها، فيكون منها اللجين والنضار، ويكون منها النفط والقار^{٦١٣}.

٢ - الاختلاف في المراتب: ليس المعادن المستخرجة من باطن الأرض على قدم المساواة، فمنها الغالي النفيس مثل الذهب والياقوت والزمرد^{٦١٤} الذي تزين به تيجان الملوك، أو تصنع منه العقود التي تعلق على الصدور من الغيد الحسان، كما أن منها الداني الرخيص الذي يحتذيه الإنسان في قدميه ويدوس به على تراب الأرض.

كذلك يكون الناس فيهم موطأ الأكناف دمث الأخلاق، كما أن فيهم القاسي القلب، جافي الطبع، إلى هذا يشير قوله ﷺ: (الناس كالإبل المائة لا تكاد تجد منه راحلة)،

^{٦١٣} شريف الرضي، المجازات النبوية (١٠١) اللجين = الفضة، النضار = الذهب، النفط = البترول، القار = مادة سوداء تمهد بها الطرق، (أنظر: الأضواء على البلاغة النبوية).
^{٦١٤} حجر كريم أخضر اللون، شديد الخضرة، شفاف، وأشدّه خضرة أجوده وأصفاه جوهرًا.

والحديث يضرب مثلا في أن الناس كثيرون ولكن قل منهم من يكون فيه خير. الناس فيهم الكريم، وفيهم اللئيم وفيهم الشجاع وفيهم الجبان.

٣ - الاختلاف في الألوان: المعادن مختلفة في الألوان منها الأبيض كما في الحجر الجيري، ومنها الأحمر مثل النحاس، ولأصفر كما في الذهب، ومنها الأسود كما في المنجنيز والفحم، وهذه معادن تكون في الأرض مختلطة بعضها ببعض في الجبال حيث تتكون صخورها من عروق الحديد والنحاس، والذهب والفحم والمنجنيز.....

ولما كان الإنسان من عناصر الأرض اختلفت الألوان ما بين أسمر (كالآسيوي) وأسود (كالزنجي) وأبيض (كالأوربي) وأصفر (كالمغولي).
وخلاصة القول أن حمل النص النبوي على (التصوير) يكون من قبيل التشبيه، والمشبه: الناس، والمشبه به: المعادن في الأرض، ووجه الشبه: مجموعة هذه الدلالات الثلاثة (الاختلاف في الألوان والمراتب مع صعوبة الكشف عن هذه الحقائق).

وبقية الحديث تنصر هذا الوجه (خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا) أي من كان كريم الأصل إذا فقه في الدين مع اعتناقهم الإسلام يكون كريما شريفا وأما من لم يكن كذلك يكون تافها.

٣ - "إن كل ما ينبت الربيع يقتل حبطا أو يلم" :

الحديث الكامل: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ فخطب الناس فقال: لا والله أخشى عليكم أيها الناس إلا ما يخرج الله لكم من زهرة الدنيا، فقال رجل: يا رسول الله أيأتي الخير بالشر؟ فصمت رسول الله ﷺ ساعة ثم قال: (كيف قلت؟) قال: قلت يا رسول الله، أيأتي الخير بالشر؟ فقال له رسول الله ﷺ: "إن الخير لا يأتي إلا بخير أو خير هو؟ أن كل ما ينبت الربيع يقتل حبطا أو يلم إلا آكلة الخضر، أكلت حتى إذا امتلأت خاصرتها استقبلت الشمس، تلطت أو بالت ثم اجترت فعدت فأكلت، فمن يأخذ مالا بحقه يبارك له فيه، ومن يأخذ مالا بغير حقه

فمثله كمثل الذي يأكل ولا يشبع". رواه مسلم في باب التحذير من الاغترار بزينة الدنيا وما يبسط منها^{٦١٥}.

المفردات :

حبط : الحبط أن تأكل الماشية فتكثر حتى تنتفخ لذلك بطونها ولا يخرج عنها ما فيها، فالحبط انتفاخ البطن من التخمة.

يلم : أي يقارب، فمعنى يقتل حبطا أو يلم : يقتل من التخمة أو يقارب أن يقتل.

الخضر : وهو ليس من أحرار البقول التي تأكلها الماشية كثيرا، الماشية ترتعي منه شيئا فشيئا ولا تستكثر منه فلا تحبط بطونها عنه.

تلطت : راثت روثا رقيقا.

اجترت : أي جعلت تمضغ ما تخرجه من بطنها.

يبين النبي ﷺ في هذا الحديث فلسفة الخير والشر، وأن هناك من الأمور ما هي خير محض وما هي شر محض وما هي لا توصف بذاتها بأنها خير أو شر، وهي صالحة بحسب الاستعمال لكل منهما، ومن هذا النوع الثالث زهرة الدنيا يعني المال.

الشرح الأدبي :

ومثل زهرة الحياة الدنيا للناس كمثل الربيع للماشية، فإذا استحل الإنسان زهرة الحياة الدنيا، فغفل عن واجبه فيها فجمعها بغير ما أحل الله وأذن، أو أمسكها عن ذوي الحقوق، ولم يؤد ما فرض الله فيها، أو أنفقها في غير ما أذن الله، كانت سببا في هلاكه وشقائه، ونجم عنها شر كبير له، وما ذلك لأنها بذاتها شر، وإنما الشر هو استعمال الإنسان لها في سبل الشر التي حرمها الله، إذا تأملنا في حال هذا الإنسان

^{٦١٥} رواه مسلم، انظر روائع من أقوال الرسول الله ﷺ لعبد الرحمن حسن حنيفة الميداني، (ص: ٢٣) دار القلم، دمشق، الطبعة الخامسة ١٩٩٩م.

أفلسنا نرى مثله كمثل الماشية التي استكثرت من أحرار البقول لما استطابتها واستحلتها، فانتفخت بطونها فماتت حبطاً أو كادت.

أما من يأخذ المال ويستعملها كما أمر الله تعالى على حقها مثله كمثل الماشية آكلة الخضر، التي لا يستولي عليها الشره، والطمع فلا تستكثر فوق طاقتها، فتكون صحيحة ولا تطلع على الهلاك، فأما من يأخذ المال بغير حقه فمثله كمثل المريض المصاب بداء البطنة الذي يأكل ولا يشبع، فإنه لا محالة هالك، ويكون ماله الذي جمعه شهيداً عليه يوم القيامة، فيعاقب على جمعه وعلى منعه وعلى معصية الله فيه، وبذلك يكون له وسيلة شر.

"من زهرة الدنيا" : في هذا الاستعمال استعارة أصلية إذا استعير لفظ الزهرة لمختلف أنواع المال، والأصل فيها تشبيه الأموال بالزهرة بجامع المظاهر الخلاب، وسرعة الفناء والزوال.

والغرض تخفيف زيادة الولوع بها والتعلق بأسبابها، عن طريق تصوير حقيقتها بصورة الزهرة التي هي أقصر ما ينبت الربيع عمراً، وأسرعه ذبولاً وفناء.

وقد ضرب الرسول ﷺ في الحديث مثلين حسيين لتقريب الحقيقة إلى فهم السائل وتأكيدها له بعد أن نفى له أن يكون المال بذاته خيراً محضاً.

وخلاصة المثل الأول : تشبيه أخذ المال بغير حقه بالدابة التي تسرف في أكل أحرار البقول وتمسك ما في بطنها، لتوضيح صورة هلاكه المرتقب كهلاك الدابة بالتخمة إذا أسرفت في أكلها.

وخلاصة المثل الثاني: تشبيه أخذ المال بحقه بأكلة الخضر التي لا تسرف في أكلها، ولا تمسك ما في بطنها، لبيان صورة سلامته منه، والاستعانة به على الخير، كسلامة آكلة الخضر واستعانتها بما أكلت.

٤ - "أنا النذير العريان" :

الحديث الكامل: عن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال: إن مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قومه فقال: يا قوم، إني رأيت الجيش بعيني، وإني أنا النذير العريان، فالنجاه، فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا على مهلتهم، وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم، فصبّحهم الجيش فاجتاحهم فذلك مثل من أطاعني واتبع ما جئت به، ومثل من عصاني وكذب ما جئت به من الحق^{٦١٦}.

المفردات :

أنا النذير العريان : ذكر الميداني هذه الجملة في كتابه 'مجمع الأمثال' وقال: إنها مثل يضرب في تحقيق الخبر، وروى قصة. وروى ابن حجر قصصا أخرى. وأنسب ما قيل فيه هو ما ذكره النووي^{٦١٧} حيث قال: إن أصل هذا المثل أن الرجل إذا أراد إنذار قومه وإعلامهم بما يوجب المخافة نزع ثوبه وأشار به إليهم إذا كان بعيدا عنهم ليخبرهم بما دهمهم، وأكثر ما يفعل هذا ربيّة القوم، وهو طليعتهم ورقبيهم، وإنما يفعل هذا ليكون أبين للناظر وأغرب وأشنع منظرا، فهو أبلغ في طلب سرعة التأهب للعدو.

فالنجاه : أي اطلبوا النجاه بأن تسرعوا بالهرب، إشارة إلى أنهم لا يطيقون مقاومة ذلك الجيش.

فأدلجوا : أي سار أول الليل أو سار الليل كله.

على مهلتهم : يعني بهدوء وسكينة.

فصبّحهم : أي أتاهم صباحا في وقت النوم والغفلة وعدم الاستعداد.

^{٦١٦} هذه رواية مسلم ٤٨/١٥-٤٩ بشرح النووي، المطبعة المصرية بالأزهر ١٩٥٩م / رواه البخاري في (باب الانتهاء عن المعاصي) من كتاب (الرقاق) مع اختلاف يسير.
^{٦١٧} شرح النووي على صحيح مسلم (٤٨/١٥)

فاجتاحهم : أي استأصلهم، من الجائحة، وهي الآفة التي تقبأ الزروع والثمار وتهلكها.

الشرح الأدبي :

شبه الرسول ﷺ في هذا الحديث بعثته إلى الناس، واختلافهم في الاستجابة لدعوته ما بين مؤمن به وكافر وعاقبة كل، بحال رجل رأى خطرا عظيما يهدد قومه، فأسرع لإبذارهم، وحرصا على نجاتهم وإحساسا بضيق الوقف وإمعانا في المبالغة في إيظاظهم - بادر فخلع ثيابه ملوحا بها إليهم، حتى يقتنصوا الفرصة، فيأمنوا من أن يأخذوا على غرة، فنجوا من صدقه وهلك من كذبه.

والرسول ﷺ حين يقرب للأفهام ويجسم للأذهان ما يريد أن يلقي إليها به، إنما يستخدم الصور الشائعة في البيئة، كما يستخدم الأمثال الشائعة فيها كذلك، وقد كانت عبارة (أنا النذير العريان) شائعة عند العرب، يضرب بها المثل في تحقيق الخبر وصدق من حمله، وإذا تجاوزنا عن الاختلاف في سبب مورده هذا المثل وفي أول من قاله، فمن المؤكد أن العري ليس الحالة الطبيعية للإنسان، ولا يتعري إلا لسبب يقتضيه، وقد كان من عادة العرب إذا أرادوا التهويل في الإندار أن يغيروا نظام ملابسهم وهيناتهم، بل قد يصل الأمر إلى درجة المثلة، حيث يقطعون بعض أعضائهم أو أعضاء الحيوانات التي تحملهم مبالغة في الإندار، وقد وردت لنا كتب السيرة كيف أن أبا سفيان حين خشي على قافلته من المسلمين في غزوة بدر، استأجر ضمضم بن عمرو بعشرين مثقالا، وأمره أن يخبر قريشا أن محمدا ﷺ قد عرض لعيرهم، وأمره أن يجدع بعيره إذا دخل مكة - أي يقطع أذنيه إنذارا بالشر المستأصل - ويحول رحله، ويشق قميصه من قبله ودبره، ويصيح الغوث الغوث^{٦١٨}.

فالنبي ﷺ هو النذير المبين عن عذاب يوم عقيم الذي يكون فيه وجوه ناضرة، إلى ربها ناظرة، ووجوه يومئذ عليها غبرة، ترهقها قنطرة، أولئك هم الكفرة الفجرة.

^{٦١٨} إمتاع الأسماع، للمقريزي (٦٦/١) تصحيح أحمد شاكر، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.

٥ - "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا" ثم شبك بين أصابعه^{٦١٩}:

رواه الشيخان عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

وروى الشيخان عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"^{٦٢٠}.

وفي رواية مسلم: "المسلمون كرجل واحد، إن اشتكى عينه اشتكى كله، وإن اشتكى رأسه اشتكى كله".

يعرض النبي ﷺ في هذه الأحاديث صورة المجتمع المسلم، ويقدم نموذجا لما ينبغي أن يكون بين أفراد من علاقات.

الشرح الأدبي :

هذا أروع بيان من بيان النبي ﷺ. يشبه النبي ﷺ في الحديث الأول المؤمنين بالبناء العظيم. البناء إنما يشتد إذا كانت أبنته تشد بعضها ببعض وتقوي بعضها بعضا على أساس الإيمان والإخلاص، ليست للبناء قوة إذا كانت موضوعة متفرقة بغير نظام وكذلك إذا كانت مجردة، وإنما شبك النبي ﷺ هنا أصابعه ليعلم أصحابه أن قوة اليد في جمع الأصابع وضعفه في عدمها كما يقوى المجتمع اتحاد أفراده ويضعفه افتراقهم، وفي الحديث الثاني يشبه النبي ﷺ المؤمنين بالجسد الواحد.

فقوة الجسد في معاونة أعضائه بعضها ببعض. والحلقات التي تلتصق وتربط بينها هي الود والرحمة والعطف التي تكون بينهم والآفة التي تصيب لعضو من أعضاء

^{٦١٩} صحيح البخاري (فتح الباري) كتاب الأدب، باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضا (رقم ٦٠٢٦) (٥١٨/١٣) دار أبي حيان، القاهرة.
^{٦٢٠} كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم (٦٠١١) (٤٩٨/١٣) دار أبي حيان، القاهرة.

الجسد تؤثر في نواحيها الباقية كذلك يكون المؤمنون لا يحقر أخاه ولا يخذله ولا يسلمه إلى المصيبة ويكون كل مسلم في حاجة أخيه ومعونته.

وفي الحديث الثالث - يشبه النبي ﷺ جميع المسلمين برجل واحد ويشبه أعضائه المختلفة بمختلف الرجال من المجتمع.

تقرر هذه الأحاديث أن المجتمع المسلم كيان واحد، وأن الفرد المسلم لبنة في بناء هذا الكيان، تسد ثغرة منه وتشد أزره، وتوضح أن الفرد المسلم عضو في جسد يؤدي دوره في تلبية احتياجات هذا الجسد، ويدفع عنه ما قد يتعرض له من ضرر: يصح العضو بصحة الجسد، ويضعف العضو إن مرض الجسد، وبالعكس: يمرض الجسد لمرض العضو، ويتألم لألمه ويسعى لإزالة هذا الألم عنه.

إنه نوع عجيب من تبادل التأثير والتأثر، من الفعل ورد الفعل، من الامتزاج الكامل أو الانسجام التام، إنه الوحدة التي تنتظم فريقا ربطت بين أفراده وحدة الهدف، ووحدة الشعار، ووحدة الشعور..... إنها الأخوة في الله الواحد الأحد الذي لا إله إلا هو، تلك الأخوة التي رفع من شأنها القرآن وسجلها في قوله تعالى: "إنما المؤمنون إخوة"^{٦٢١}.

وهي أخوة أشرف من أخوة الدم وأعلى وأبقى، وبدونها لا تتحقق حلوة الإيمان في قلب المسلم هذه الأخوة تمنح حقوقا وتفرض التزامات، وإذا لم تراعى هذه الحقوق وتلك الواجبات لم تتحقق الأخوة ولم يصح الجسد، أما إذا روعيت وطبقت وأقيم السلوك على وفقها تحققت الأخوة وصح الجسد واستقام البنيان.

وقد أرشدنا المثل الذي نحن بصدده إلى بعض الأخلاق والقيم التي ينبغي على المجتمع الإسلامي أن يسود بها، ومنها ما يأتي:

^{٦٢١} سورة الحجرات، الآية ١٠

١ - الرحمة : وهي من صفات الله سبحانه وتعالى، وطالب عباده أن يتخلقوا بها، وأن يكون لها الصدارة في سلوكهم.

والرحمة من أهم صفات المجتمع الإسلامي، ومن أبرز ملامح الأخوة الإسلامية، فيعين المسلم على أن يغفر لأخيه زلته، ويمسك يده عن الاعتداء، وتدفع القوي إلى مساعدة الضعيف، والغني إلى مساعدة الفقير.

٢ - التواد والصلة : وهو سلوك يعمق المحبة بين أفراد المجتمع، ويشعر بالأخوة التي تنتظمهم.

ويبدأ هذا السلوك بصلة الوالدين وبرهما والإحسان إليهما، ثم يتسع ليشمل ذوي القربى، لأن الأسرة هي الأساس، ولا يتصور أن تسود القيم العظيمة في المجتمع والأسرة تفنقدها، ثم تنتسج الدائرة لتشمل الجار ثم كل مسلم.

٣ - التعاون : وكما تتعاون اللبنة لتنتج بناء كاملاً قوياً، وكما تتعاون الأعضاء في خدمة الجسد الذي يتألف منها ويعطيها بدوره - يتعاون المسلم مع المسلم، بنفسه، وبماله، وبوجهاته، ومركزه الإسلامي.

٦ - "إنما الناس كالإبل المائة لا تكاد تجد منها راحلة"^{٦٢٢} :

المفردات :

إبل مائة - بدون ألف ولام : تقول العرب للمائة من الإبل: إبل، ويقولون : لفلان إبل، أي مائة بعير، ولفلان إبلان أي مائتان.

كالإبل المائة : وهي رواية البخاري، بالألف واللام الجنسية حيث يصبح المعنى: كالمائة من جنس الإبل.

^{٦٢٢} صحيح البخاري، ومسلم، والترمذي.

الراحلة : هي من الإبل الذكر النجيب والأنثى النجبية التي تختار للركوب والهاء للمبالغة، وهي فاعلة بمعنى مفعولة، لأنها ترحل أي يوضع عليها الرحل استعدادا للركوب.

لا تكاد تجد : فالمعنى على نفي مقاربة وجود راحلة.

الترمذي روى بطريق آخر (عن سفيان بن عيينة عن الزهري) ثم بالإسناد نفسه إلى ابن عمر، وجاء في هذه الطريقة الثانية : "لا تجد فيها راحلة أو لا تجد فيها إلا راحلة". هكذا على الشك.

الشرح الأدبي :

يقول النبي ﷺ هناك كثير من الناس عددا ولكن الإنسان الكافي للأمر لا يوجد إلا نادرا، اختلف العلماء في بيان التمثيل في هذا الحديث، ولعل هذا الاختلاف كان مسببا عن وجود كلمة (لا تكاد) في الرواية أو عدم وجودها.

فعلى الرواية بدونها يكون المعنى هو تشبيه الناس في تساويهم في النسبة إلى آدم، أو في تساويهم أمام أحكام الشريعة، بالإبل المتساوية في الصلاحية للحمل والتي لا توجد فيها ناقة مروضة مختارة للركوب.

وعلى رواية البخاري التي أثبتت كلمة (لا تكاد) يكون المعنى أن الممتازين الأختيار من البشر قليل قلة النجيب المختار للركوب في الإبل.

أي تشبيه الناس في كثرتهم مع قلة الممتازين منهم بالإبل الكثيرة التي ينذر أن يكون فيها راحلة، ووجه الشبه هو كثرة النوع مع قلة الممتاز فيه وندرته.

هذا الحديث من جوامع كلمه ﷺ ومن تشبيهاته الرائعة المنتزعة من واقع البيئة، مما يلمسه الناس ويعايشونه، فالإبل قد تكون كثيرة، ولكن ما أقل الممتاز فيها، ومثل الإبل سائر الحيوان، ومثلها الإنسان.

والجنس البشرى في تطوره وحضارته ومسيرته عبر الزمن، مدين في كل هذا لقلة من الأفراد، وكان نفع البشرية اقتضى وجود أفراد ممتازين فيه.

فالقادة والزعماء والعلماء قليلون بالنسبة لسواد الشعوب، والممتازون من القادة والزعماء والعلماء أقل، ثم يندر من هؤلاء الأقل من تصح عقيدته، والإسلام حين ينظر إلى الإنسان الممتاز لا ينظر إليه معزولا عن عقيدته، بل ينظر إليه في إطار العقيدة السليمة.

وصحيح أن نبوغ الإنسان في مجالات مختلفة يطور الحياة المادية ويدفع بها إلى التقدم، ولكن هذا التقدم إذا لم تصنه عقيدة سليمة تحكمه وتوجهه يتخبط ويتحطم، لأنه سيترك حينئذ للشهوات تحكمه وللأهواء توجهه وللشيطان يقوده، وستكون النتيجة المحتومة حينئذ هي الطغيان والظلم والفساد والانهيال، والحضارة الغربية التي نعايشها تقدم الدليل على هذا.

إن هذه الفئة القليلة هي القلة الممتازة، التي رباها رسل الله وأنبيأؤه - والرسل الأنبياء هم صفوة الخلق - وقد قادت العالم وبهرته وغيرت معالمه فئة قليلة رباها محمد ﷺ، وظهر من هذه الفئة مثل تحتذي في فن القيادة الحربية والقيادة السياسية، وفي التضحية والفداء والرحمة والعدالة ورعاية الفقير وحماية الضعيف، وفي كل هذا أخبار ووقائع هي نماذج فريدة، ومنازل مضيئة في ليل البشرية الطويل.

قال السموأل بن عاديا :

تغيرنا أنا قليل عديدنا

فقلت لها إن الكرام قليل

وما ضرنا أنا قليل وجارنا

عزيز وجار الأكثرين ذليل

٧ - "مثل أمتي مثل المطر، لا يدري أوله خير أم آخره" :

هذا الحديث ما رواه الترمذي عن أنس رضي الله عنه قال ابن حجر في الفتح: وهو حديث حسن له طرق قد يرتقي بها إلى الصحة.

الشرح الأدبي :

في هذا الحديث يشبه النبي ﷺ الأمة في تتابعها وخيرها والإفادة منها، بالمطر في تتابعه وتدفقه وخيره والاستفادة منه.

ووجه الشبه : استمرار الإفادة واشتراك المجموع فيها، وحاجة الغير إلى الشيء.

هذا الحديث يبين تلاحق هذه الأمة في الفضل وتتابعها في الخير وتلاحمها في النفع كما شبهوا في بعض الأحاديث بالبنيان وبالجسد، أن الأمة كيان واحد، يؤدي رسالته ويتجه نحو غايته، ولا يمنع هذا أن يكون بعض أعضاء هذا الكيان أفضل من بعض، وهذا أمر خارج عن سياق هذا الحديث، تكفل ببيانه أقوال أخرى للرسول ﷺ . أما سياق حديثنا هذا فهو لبيان أن الخير يسري في هذه الأمة من أولها إلى آخرها، فنفي العلم بأيهما خير: الأول أو الآخر، يراد به إثبات الخير والنفع في الأول وفي الآخر، وحاجة الناس إلى هذه الأمة.

وقد ظن بعض العلماء أن هذا الحديث ينفي المفاضلة بين أفراد هذه الأمة، يسوي بين الأولين والآخرين في درجات الفضل فاعترضوا عليه، لما ثبت من فضل الأولين في القرآن والسنة، مثل قوله تعالى: "..... لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل، أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعدُ وقاتلوا....."^{٦٢٣}. وقوله ﷺ لخالد بن الوليد، لما تكلم في عبد الرحمن بن عوف: "لو أنفق أحدكم كل يوم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه".

^{٦٢٣} سورة الحديد: ١٠

ولذلك حمل ابن العربي معنى هذا الحديث على أن الآخرين قد يفضلون السابقين في صفة واحدة فقط هي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حيث تكثر المناكر في آخر الزمان ويقل المغيرون لها، ويذهب المعروف ويعدم الداعي إليه والأمر به، فإذا قام واحد بهذا فله أضعاف ما كان للصحابة من الأجر في هذه الخصلة وحدها، ويفضل الصحابة الخلق بسائر الصفات العظيمة التي نظامها الصحبة الكريمة وتلقى الأخلاق الطاهرة، واستدل لهذا بما روى من أبي ثعلبة الخشني مرفوعاً: "إن من ورائكم أيام الصبر، للعامل فيهن أجر خمسين منكم قالوا: بل منهم؟ قال: بل منكم، قالوا: لم يا رسول الله؟ قال: إنكم تجدون على الخير أعواناً وهم لا يجدون عليه أعواناً".

لكن المباركفوري في شرحه على الترمذي ينقل عن بعض العلماء فهما للحديث يقارب الفهم الذي قررناه سابقاً:

فعن التوربشتي قال: لا يحمل هذا الحديث على التردد في فضل الأول على الآخر، فإن القرن الأول هم المفضلون على سائر القرون من غير شبهة، ثم الذين يلونهم، وفي الرابع اشتباه من قبل الراوي، وإنما المراد نفعهم في بث الشريعة والذب عن الحقيقة.

٨ - "ليس الخبر كالمعاينة" :

الحديث الكامل: عن ابن عباس رضي الله عنه قال: "قال رسول الله ﷺ: "ليس الخبر كالمعاينة، أن الله أخبر موسى بما صنع قومه في العجل، فلم يلق الألواح، فلما عاين ما صنعوا ألقى الألواح" ٦٢٤.

يبين النبي ﷺ هنا أهمية المعاينة والخبر دونه ولا يكون مثله. إن الله أخبر موسى عن بني إسرائيل بعبادة العجل، فلم يشك في صدق خبره، فلما رجع إلى قومه عاين حالهم

^{٦٢٤} المستدرک علی الصحیحین - لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري، كتاب التفسير، تفسير سورة الأعراف ليس الخبر كالمعاينة، رقم الحديث (٣٣٠٣) دار المعرفة ١٩٩٨م.

حدث في نفسه من الإنكار والتغيير ما لم يحدث بالخبر، فألقى الألواح وأخذ برأس أخيه هارون يجر إليه، فقد نبه رسول الله ﷺ عن ذلك.

الشرح الأدبي :

هذا المثل من أمثاله ﷺ الرائعة بألفاظ قليلة ومعان كثيرة واسعة، موجز حق الإيجاز مع ظهورها وفصاحتها.

إن الأشياء التي نفهمها بالمشاهدة والرؤية لا نعرفها مثلها باستماع الأقوال والأوصاف والبيانات، بل بعضها يكون فوق طاقتنا على البيان والوصف، فمن المحال أن نقدر على الوصف عشرة آلاف فرس أو حيوان أو نبات أو زهرة مختلفات الأجناس والجواهر والأوصاف. ولكن نستطيع على مشاهدتها عليها في وقت واحد ونخبر معها بكل علة وحجة ونعت وصفة عن نوع منها وكل جنس من ذلك في تلك الساعة.

ومن أقوال الشعراء التي تدل على أهمية المشاهدة ما قاله محمد سعيد الحبوبي الفقيه العراقي:

خذ ما رأيت ودع شيئاً سمعت به فمن العيان وثوق ليس بالخبر

٩ - "إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير" :

عن أبي موسى رضي الله عنه قال: "إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء، كحامل المسك ونافخ الكير: فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد ريحاً خبيثة". متفق عليه

المفردات :

حامل المسك : أي بئعه. المسك نوع من الطيب يستخرج من نوع خاص من الغزال، يسمى غزال المسك.

نافخ الكير : هو الحداد الذي ينفخ على الحديد ليحمى ويلين للطرق والتشكيل، والحداد ينفخ بواسطة آلة تسمى الزق.

الكير : هو البناء الذي يركب عليه الزق، أطلق على الزق للمجاورة، وقيل هو الزق نفسه، أما البناء فاسمه الكور.

يحديك : يعطيك.

الشرح الأدبي :

يعرض مولانا رسول الله ﷺ في هذا الحديث صورتين متقابلتين، أولاهما: ينبعث منها أريج زكي ويفوح منها طيب عطر، وشذى فواح، ونسمات تتبسط لها النفس، وينشرح لها الصدر، أن فيها عطرا جيدا، فيه أصالة الطيب، فالعطر ينبع من ذاته، ثم يفيض على ما حوله، أن المسك هذا "هو أطيب الطيب" كما جاء في الحديث الصحيح، فأنعم به طيبا وأحسن بتجارته مهنة، وهكذا الجليس الصالح يكون كما قال الشاعر :

صحبة الصالحين بلسم^{٦٢٥} قلبي وإنها للنفوس أعظم راقى

أما الصورة الثانية فتملأ الجو ضجيجا، والمكان حرارة، يتصبب منها العرق، فيمتلئ المكان برائحته الكريهة المختلطة بالغازات المتفاعلة بالاحتراق.

إنه جو خانق، تضيق به النفس، تزكم له الأنف، ويستشعر شعله الصدر، فضلا عما قد يصيب البدن من لذع شرره المتطاير، أو ما قد يحرق الثوب من طائش قذائفه

^{٦٢٥} مادة صمغية تضمند بها الجراحات.

المتهبة، إنها صورة تكاد قسماتها تنطق بالضرر ولامحها تفصح عن الإضرار،
وهكذا الجليس السوء يكون كما قال الشاعر :

من لم تجانسه فاحذر أن تجالسه ما ضر بالشمع إلا صحبة الفتل

هاتان صورتان: فإلى أي صورتين يحب الإنسان أن ينساب؟ وإلى أي الجانبين
ينحاز؟ وهل يتردد عاقل في اختيار ما فيه فائدة محققة له؟ إذا فلن يرضى بجليس
الخير بدلا، وسيبتعد عما فيه ضرر محقق، ويفر من مخالطته، نجاة لنفسه وصيانة
لها.

إن المخالطة سبب العدوى، والعدوى تنتقل من النفس إلى النفس، ومن السلوك إلى
السلوك، ومن الأخلاق إلى الأخلاق، كما ينتقل المرض من الجسم إلى الجسم الآخر.

ومن المعروف أن الوقاية خير من العلاج

من هو الجليس الصالح؟

إنه من يستفاد من مجالسته، والفائدة الحقيقية هي ما تضيف إليك من الخيرات في
الدنيا والآخرة، وهذا يعني أن الجليس الصالح هو المؤمن التقي، وأن مجالسته ينفك
ومشاورته يفيدك. وهذا يعني أيضا ألا يتخذ المسلم من الكافر جليسا، ولا يجعل منه
صديقا، فإن مجالسة الكافر أو صداقته تحمل على غمض الطرف عن تصرفاته
وعدم الإنكار على ما ينبغي أن ينتقد من آرائه، مجاملة لحق المجالسة، أو رعاية
لمقتضى الصداقة، بل يتساهل المسلم في دينه، فيهمل شعائره أو بعضها، ولا يزال به
أمر هذه المخالطة والصحبة حتى ينحاز بكليته إلى حزب الشيطان.

١٠ - "مثل الذي لا يتم ركوعه وينقر في سجوده مثل الجائع يأكل التمرة
والتمرتين، لا يغنيان عنه شيئاً"^{٦٢٦}:

الحديث الكامل: عن أبي عبيد الله الأشعري رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً لا يتم ركوعه وينقر في سجوده وهو يصلي، فقال: "لو مات على حاله هذه مات على غير ملة محمد ﷺ"، ثم قال رسول الله ﷺ: "مثل الذي لا يتم ركوعه وينقر في سجوده مثل الجائع يأكل التمرة والتمرتين لا تغنيان عنه شيئاً".

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "نهاني رسول الله ﷺ أن أقرأ وأنا راکع"، وقال: "يا علي مثل الذي لا يقيم صلبه في صلاته كمثل حبلٍ فلما دنا نفاسها سقطت، فلا هي ذات حمل ولا هي ذات ولد"^{٦٢٧}.

الشرح الأدبي :

هذا أحسن مثال ببين عن عدم جدوى الصلاة التي لم تكن كافية كاملة ولا ينال المصلي بها ما يريد الله بها من المنافع.

في الحديث الأول تشبيه المصلي الذي لا يتم صلاته بالجائع الذي يأكل ما لا يدفع جوعه أو يقيم صلبه. ووجه الشبه: عدم الوفاء بالحاجة الضرورية في كل.

وفي الحديث الثاني يشبه النبي ﷺ المصلي الذي لا يستوفي أركان صلاته بالمرأة التي حملت وتجشمت^{٦٢٨} مشاق الحمل ثم أسقطت قبيل موعد ولادتها، فنزل جنينها ميتاً. ووجه الشبه: خلو العمل من ثمرته وفائدته بعد تحمل العناء في سبيله.

نرى في القرآن الكريم آية: "يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون". فسبب النهي هو أن السكران لا يعي ما يقوله في صلاته. وكم من

^{٦٢٦} رواه الطبراني في الكبير وأبو يعلى وإسناده حسن، (أنظر: نظرات فقهية وتربوية في أمثال الحديث) (ص: ٢٩٠).
^{٦٢٧} مجمع الزوائد ١٢٢/٢ أنظر نفس المرجع (ص: ٢٩١) وفي سننه موسى بن عبيدة الزبيدي وهو ضعيف.
^{٦٢٨} تجشمت - تكلفت.

مصلي لم يشرب خمرا، وهو لا يعلم ما يقوله في صلاته، لانشغال قلبه بهموم الدنيا وتمكنها منه.

ومن الناس من يضم إلى هذه المنقصة منقصة أخرى، هي سرعة أداء الصلاة وعدم الاطمئنان في أركانها فيؤديها نقرا كنقر الديك في حركات سريعة متتابعة، حتى ينتهي منها في أسرع وقت، ليتفرغ لدنياه، مع أنه في صلاته كان مشغولا بدنياه لم يتركها لحظة.

إذا أردنا أن نحقق المعنى الذي شرعت الصلاة لأجله، وهو إظهار العبودية - فينبغي أن نعطيها حقها من الاطمئنان والخشوع، إذا ليس المقصود من العبادات أداء طقوس^{٦٢٩} لا روح فيها، بل الروح هي الجوهر، والقلب هو الأساس. والله سبحانه وتعالى تأمرنا بهذه الصلاة ليتم فيها الأزواج بين عمل البدن وعمل الروح في توجههما إلى الله، والصلاة لا تتم بالاختصار على أحدهما:

فعمل القلب بتفكره، وتوجهه إلى الله عبادة وذكر، لكن الصلاة لا تتأدى به وحده، وكذلك الاختصار على عمل الجوارح في حركات الصلاة دون حضور القلب لا تتم به الصلاة وإن كان مؤديا لصورتها.

وقد ذهب كثير من الفقهاء إلى أن الاطمئنان في الصلاة ركن من أركانها أو شرط من صحتها، مستدلين على حديث رواه البخاري، فيه يأمر النبي ﷺ أصحابيا أن يعيد صلاته لعدم الاطمئنان في صلاته^{٦٣٠}.

^{٦٢٩} طقوس جمع طقس: النظام والترتيب.
^{٦٣٠} صحيح البخاري ٢٠٠/١-٢٠١، والمعنى لابن قدامة ٥٠٠/١، ٥٢٢ (انظر نفس المرجع) ص: ٢٩٣

وإذا كان فقد الاطمئنان والخشوع في الصلاة يسلبها القبول المرجو لها، دفعنا هذا إلى أن تنتشد القبول والرضا من الله بالإقبال عليه خاشعين مناجين متضرعين، مديمين للصلاة، محافظين على أوقاتها وأركانها وسننها وآدابها، وقد وصف الله المؤمنين فقال:

"قد أفلح المؤمنون، الذين هم في صلاتهم خاشعون"^{٦٣١}.

١١ - "مثل الذي يعتق عند الموت كمثل الذي يهدي إذا شبع" :

الحديث الكامل: عن أبي حبيبة الطائي، قال: أوصي إليّ أخي بطائفة من ماله، فلقيت أبا الدرداء فقلت: إن أخي أوصى إلي بطائفة من ماله، فأين ترى لي وضعه، في الفقراء أو المساكين أو المجاهدين في سبيل الله؟ قال: أما أنا فلو كنت لم أعدل بالمجاهدين، سمعت رسول الله ﷺ يقول: "مثل الذي يعتق عند الموت كمثل الذي يهدي إذا شبع"^{٦٣٢}.

المفردات :

بطائفة من ماله : الطائفة من الشيء: القطعة منه

لم أعدل بالمجاهدين : أي لم ألحق غيرهم بهم في فضل النفقة، ولم أجعل، النفقة على الفقراء أو المساكين مساوية للنفقة على المجاهدين في سبيل الله، فإن النفقة على المجاهدين أفضل، يقال عدلت فلانا بفلان: إذا سويت بينهما، من باب ضرب.

^{٦٣١} سورة المؤمنون: ٢٠١
^{٦٣٢} قال الترمذي، حديث حسن صحيح، ورواه النسائي، (أنظر تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي ٣١٦/٦ كتاب الوصايا - باب ما جاء في الرجل يتصدق أو يعتق عند الموت.

الوصية: تبرع مضاف إلى ما بعد الموت، وهي من الحقوق المتعلقة بالتركة، المقدمة على حق الورثة، سواء أكان الموصي رجلاً أم امرأة، كما هو منصوص عليه في آيتي المواريث - (١١ و ١٢) من سورة النساء.

والجمهور على أن الفرض قد نسخ بآيات المواريث، وبقي الأمر فيها على النذب لغير الورثة.

الشرح الأدبي : في الحديث يشبه النبي ﷺ المتصدق في آخر حياته أو الموصي بالصدقة عند دنو أجله بالذي يستأثر طعامه فيأكل منه حتى يشبع، فإن بقيت من طعامه فضلة بعد شبعه أهداها لغيره.

ووجه الشبه : تقديم حظ النفس وشهوتها المباحة وانتفاء المشاركة والإيثار في كل منهما.

إن هذا الحديث يشير إلى تفاوت الدرجات في فعل الخيرات، وينبه بالمبادرة إلى الطاعات ويومئ إلى الحذر والأخذ بالحيلة.

لا بأس أن يوصي بالصدقة عند احتضاره، غير أن الحديث يعتب عليه عدم مبادرته إلى الإنفاق في فسحة الحياة ومنتع العمر، وهذا فهمه النسائي من الحديث، حيث ترجم له بقوله: (باب الكراهية في تأخير الوصية).

لا بأس لمن يؤخر الوصية إلى الموت غير أن الموت قد يأتي فجأة فيذهله عن كل شيء، وقد يأتيه وهو منفرد بعيد عن الناس فلا يتمكن من الوصية، يدل لذلك ما رواه مسلم بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت : (إن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أن أمتي افتلتت نفسها ولم توص، وأظنها لو تكلمت تصدقت، أفلها أجر إن تصدقت عنها؟ قال: "نعم" ٦٣٣.

^{٦٣٣} مسلم - شرح النبوي (٩٧/٤ - ٩٨) كتاب الزكاة، باب وصول ثواب الصدقة عن الميت إليه، وقوله افتلتت أي ماتت فجأة، رقم (١٠٠٤) دار أبي حيان القاهرة ١٩٩٥م الطبعة الأولى.

وتشبيهه المتصدق عند الموت بالذي يهدى بعد ما يشبع، يفيد كراهة ما دل عليه المشبه به، وهو الإهداء بعد الشبع، وأنه تصرف مستبشع مجاف للمروءة حتى جعل أصلاً يشبهه به غيره.

قال السندي تعليقا على هذا التشبيه: (أي يعطي بعد ما قضى حاجته، وهو قليل الجدوى ولا يعتاده إلا دنيء الهمة، وإنما مُثل بذلك لأن الثاني أشهر، وإلا فالعكس أولى، فإن الذي شبع ربما يتوقع حاجته إلى ذلك الشيء، بخلاف الذي يعتق أو يتصدق عند موته^{٦٣٤}).

١٢ - "مثل البخيل والمنفق كمثّل رجلين عليهما جبتان من حديد" :

الحديث الكامل: مثل البخيل والمنفق كمثّل رجلين عليهما جبتان من حديد من ثدييهما إلى تراقيههما، فأما المنفق فلا ينفق إلا سبغت أو وفرت على جلده حتى تخفي بنانه وتعفو أثره، وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئا إلا لزقت كل حلقة مكانها، فهو يوسعها فلا تتسع^{٦٣٥}.

المفردات :

الجبة : ثوب مخصوص، ولا مانع من إطلاقه على الدرع.

تراقى : جمع ترقوة، سبغت أي امتدت وغطت.

وفرت : أي اتسعت.

متى تخفي بنانه : أي تستر أصابعه.

^{٦٣٤} حاشية السندي على سنن النسائي (٢٣٨/٦) (أنظر نظرات فقهية، ص: ٣٠٧)
^{٦٣٥} صحيح البخاري: (أنظر: الفتح الباري، كتاب الزكاة، باب مثل المتصدق والبخيل، رقم الحديث ١٤٤٣، دار أبي حيان، القاهرة) (٤٩٣/٤، ٤٩٤)

تعفو أثره : أي أن الصدقة تستر خطاياها كما يغطي الثوب الذي يجر على الأرض
أثر صاحبه إذا مشى بمرور ذيل عليه.

لزقت : بمعنى انقبضت.

لوحة مؤلفة من الصور الفنية البديعة :

يا الله ! ما أروعها من صور فنية بديعة تصور نفسية البخيل والمتصدق تصويرا لا
تستطيع ريشة الفنان - مهما بلغ فنه قمته - أن تأتي بأحسن وأجود منه !

ومن خصائص كلام النبي ﷺ البارزة أن يبرز المعنى الذهني المحض، بفضل
امتلاكه ﷺ - زمام إعجازه البياني الساحر - في صورة حية متحركة شاخصة تكاد
تراها بالعيان، وتسمعها الآذان، وتلمسها الأيدي بالبنان.

فقد ضرب هنا رسول الله ﷺ مثالا رائعا للبخيل والمتصدق، وبينه بصور فنية
مختلفة، فالصورة الأولى: تمثل هيئة كل من المتصدق والبخيل الذين قد لبسا جبة من
حديد من ثدييهما إلى تراقيههما، ثم ننظر إلى بلاغة لفظه: "الحديد" - في الحديث
الشريف - التي تمثل هينتين متضادتين لا تجتمعان في رجل واحد معا، طبيعة الخير
واللين، وطبيعة الشدة والتمرد والعصيان، فالحديد الذي يلين ليكون صالحا وقابلا
للاستخدام يكون طوع أمرك ورهن إشارتك، فيمتد ويتسع، ويصغر ويكبر، وينكمش
ويسبغ، أما الحديد الذي يترك على حاله، فيبقى على ما هو عليه من الشدة
والعصيان، كذلك حال الطبيعة في الإنسان، فالذي يمارس طبيعته بالإنفاق والجود
والسخاء ولا يزال يعالجها بالخير والإحسان فيعود لا يشعر بأدنى ضيق أو شائبة
شح في الإنفاق، وهذا هو الذي عبر عنه الرسول ﷺ في هذه الجملة ب: "فلا ينفق إلا
سبغت أو وفرت على جلده حتى تخفى بنانه ويعفو أثره".

وأما الذي لا يروض نفسه ولا يمارس طبيعته ممارسة فلا يتجاوز من: "يريد" فلا
يستطيع أن يحقق هذه الإرادة، فلا تكاد تنشأ هذه الإرادة إلا ترجع من حيث أنت، ولا

تتحقق في عالم التنفيذ "وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئاً إلا لزقت كل حلقة مكانها، فهو يوسعها فلا تتسع" وصدق النبي الكريم.

إي والله، أكاد أؤخذ ببلاغة هذا التصوير الدقيق - لطبيعة البخيل - وسحره وأثره وتأثيره، ولا أستطيع أن أعبر عن هذه البلاغة الساحرة بالألفاظ والعبارات، بل أن هذا التصوير الرائع وبلاغة هذه الكلمات تعلن بنفسها إعلاناً صارخاً - يسمعه كل من أوتي شعور الذوق بالبيان العربي، أنه ليس من مقدور أحد مهما أوتي من البيان، ومهما أودع الله فيه من مواهب وقدرات كلامية بيانية وذوقية، أن يصل إلى أسرارها البلاغية الكثيرة وروائعها الفنية وإعجازها وإلى دقائق سحرها وسموها وآيات بديعها وإحسانها، إنه الإعجاز النبوي الذي لا يستطيع أحد الوصول إلى حقيقته، وإنما البلاغة الكبرى التي ليست فوقها إلا بلاغة القرآن الكريم.

"هذا الوصف عن طبيعة البخيل في دقائقها النفسية لو نقل إلى كل لغات الأرض لزانها جميعاً"^{٦٣٦}.

وإذ أردنا أن نتحدث عن الصور الفنية البديعة المصورة الموحية التي يزدان بها هذا الحديث الشريف، فهناك صورة تجسد طبيعة البخيل، وصورة أخرى تمثل طبيعة صاحب الجود والكرم وطيب نفسه بإنفاقه مما آتاه الله من فضل وخير ونعمة، ويا لها من صورة تصور المنفقين الكرماء تصويراً لا يستطيع قلم أو لسان على وجه الأرض أن يصور أروع منه !

إن الإنسان حينما يقف أمام هذه التصويرات المعجزة الساحرة وقفة إمعان وتدبر، فلا يلبث أن يندهش وينفعل أيما انفعال، ويؤمن تلقائياً - من سويداء قلبه - بأنها لم تخرج إلا من فم النبي ﷺ الذي أدبه ربه فأحسن تأديبه، "فلم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعاً

^{٦٣٦} رافعي، مصطفى صادق، وحي القلم، دار الكتب العربي (١٤/٣) بيروت.

ولا أصدق لفظا ولا أعدل وزنا ولا أجمل مذهبا ولا أكرم مطلبا ولا أحسن موقعا ولا أسهل مخرجا ولا أفصح عن معناه ولا أبين عن فحواه، من كلام النبي ﷺ "٦٣٧".

إنه كلام - كما قاله الرافعي - من لسان وراءه قلب ووراءه نور، ووراءه الله عز وجل، وإن له سموا كسمو صاحبه ﷺ، وشبابا كشباب الفجر، وقوة كقوة أمر نافذ لا يتخلف^{٦٣٨}.

١٣ - "إنما مثل صاحب القرآن كمثّل صاحب الإبل المعلقة، إن عاهد عليها أمسكها وإن أطلقها ذهبت" - متفق عليه :

الشرح الأدبي :

شبه النبي ﷺ هنا حال المؤمن مع القرآن، بحال صاحب الإبل مع إبله.

الإبل إذا رعاها صاحبه المرعى الخصبة وعالجه معالجة حسنة وعلقها حين يحتاج إلى التعليق وأرسلها حين يحتاج إلى ذلك وحفظها من التلف والهلاك لا يفقد ولا يضيع، فصاحب القرآن إذا استعمله في حياته وذلك بالقراءة المعتادة والقيام بالليل والتعلم والتعليم والعمل به وقت النهار لا ينسى أبدا - فالقرآن وصاحبه كالإبل وصاحبه.

ووجه الشبه الحفظ في حالة الاهتمام والرعاية والتفقد، والضياع في حالة الإهمال وعدم الاهتمام.

جعل الله القرآن نعمة عظيمة تدعو إلى غبطة صاحبها والتنافس في تحصيلها، فقال: "لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار"^{٦٣٩}.

^{٦٣٧} الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب، البيان والتبيين، في وصف أسلوب النبي ﷺ (٨/٣)، مطبعة الجمالية بحارة الروم القاهرة، ١٣٣٣هـ.
^{٦٣٨} من وحي القلم للرافعي (انظر، الروائع والبدائع في البيان النبوي لمحمد نعمان الدين الندوي، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩٦م، (ص: ٤٠٠).

لا تدوم هذه النعمة على صاحبها إلا بتعهدا ورعايتها وتجديد العهد بها، وذلك يكون بملازمة تلاوته وحفظه، والتزامه بورده^{٦٤٠} يومي يقرؤه والتهجد به.

أما إذا أهمل التلاوة، انفلت منه القرآن كما ينفلت البعير من صاحبه بعد أن أطلق عقله، وخص الإبل في الحديث بالذكر، لأنها أشد الحيوان الإنسي نفورا، وفي تحصيلها وإرجاعها بعد نفاها صعوبة شديدة.

وقد جاء في حديث صحيح ما يؤيد هذا المعنى، وهو قوله ﷺ: "تعاهدوا القرآن، فو الذي نفسي بيده لهو أشد تفصيا^{٦٤١} من الإبل في عقلها" - متفق عليه.

١٤ - "المرأة كالضلع أن أقمته كسرتها وإن استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج"^{٦٤٢}:

وفي حديث آخر قال النبي ﷺ: "استوصوا بالنساء خيرا فإن المرأة خلقت من ضلع، وأن أعوج ما في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرتة، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء" - متفق عليه.

الشرح الأدبي :

هذا من كلام سيد البيان الذي لا يقدر لأحد ولأي بليغ مهما كانت درجته أن يأتي بكلام رائع مثل هذه، وليس هناك مشبها به أليق بمثل ما قاله ﷺ، يشبه الرسول ﷺ هنا المرأة بالضلع المعوج، الاعوجاج في الضلع موجود في خلقة وطبيعته، فلا يقدر لأحد أن يجعله مستقيما، والضلع في تلك الحال لها ما لها من المنافع وكذلك للمرأة

^{٦٣٩} رواه البخاري في صحيحه.
^{٦٤٠} الوظيفة من قراءة ونحو ذلك.
^{٦٤١} التقصي - هو التقلت ومحاولة الانطلاق والفرار.
^{٦٤٢} صحيح البخاري، انظر فتح الباري لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، كتاب النكاح، باب المدارة مع النساء (٤٨٨٩) دار الريان للتراث، ١٩٨٦م.

وإن كان اعوجاجها فطريا فيها خير كثير، وهي كما قال رسول الله ﷺ - "الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة".

يأمر النبي ﷺ أن يتواصى بهن وأن يطلبوا الوصية من أنفسنا في حقهن أو من غيرنا وأن يقبلوا الوصية المأمورة فيهن، لأنهن خلقن من ضلع أعوج فيه إشارة إلى أن حواء خلقت من ضلع آدم كما يشار في الفتح. وقال القرطبي: يحتمل معناه: أن المرأة خلقت من مبلغ ضلع فهي كالضلع (وإن أعوج ما في الضلع أعلاه) قيل فيه إشارة إلى أن أعوج ما في المرأة لسانها، وفائدة هذه المقدمة أن المرأة خلقت من ضلع أعوج فلا ينكر اعوجاجها، أو أنها لا تقبل التقويم كما أن الضلع لا تقبله ولذا قال: (فإن ذهبت تقيمه كسرته) أي أعلاه عن الاعوجاج الذي هو شأنه كعدم قابليته له، (وإن تركته) غير أخذ في إقامته (لم يزل أعوج) لأنه وضعه وشأنه. وكذا المرأة إن أردت إقامتها على الجادة، وعدم اعوجاجها أدى إلى الشقاق والفراق، وهو كسرها وإن صبرت على سوء حالها وضعف معقولها ونحو ذلك من عوجها دام الأمر واستمرت العشرة، فاعرفوا ذلك فاستوصوا بهن (خيرا) بالصبر على ما يقع منهن، فيه رمز إلى التقويم بحيث لا يبالغ فيه فيكسر ولا يتركه فيستمر على عوجه.

وفي جملة القول أن للمرأة في فطرتها اعوجاج علينا أن نفهمه وأن لا نقيمه جادين فيه بل ندارها وأن نستمتع بها لقضاء الوطر وطلب الولد والإعفاف.

وفي حديث ابن حبان والطبراني نجد: "فدارها تعش بها، وإن كان فيها هذا الاعوجاج فيهن (النساء) خير كثير للرجال، ولذا قال عمر الفاروق رضي الله عنه: والله، ما أفاد رجل فائدة بعد الإسلام خيرا من امرأة حسناء حسنة الخلق ودود ولود، والله ما أفاد رجل فائدة بعد الشرك بالله شرا من سريّة سيئة الخلق حديدة اللسان، والله إن منهن لغلما يفدي وغنى ما وعد منه" ^{٦٤٣}.

^{٦٤٣} انظر "شعب الإيمان" للبيهقي.

تحتاج المرأة أن تشعر بأن زوجها يقوم برعايتها من خلال إظهار الاهتمام بمشاعرها وأحاسيسها، وهي تحتاج لأن تشعر حقيقة أن لها مكانة خاصة عند زوجها، والرجل عند ما يظهر ذلك فإنها تشعر فعلا بأنه يهتم بها وبذلك فهو يحبها.

تكون العلاقة بين الأزواج قائمة على أساس المودة والرحمة، وهو ما يحقق لهما الاطمئنان والسكينة والاستقرار، فيحقق بها مقاصد الاجتماعية والحضارية المترتبة على الزواج.

١٥ - "أخاف أن تصف حجم عظامها" :

الحديث الكامل: قال النبي ﷺ لأسامة بن زيد، وقد كساه قبطية فكساها امرأته: "أخاف أن تصف حجم عظامها"^{٦٤٤}.

المفردات :

حجم : الحجم من كل شيء جرمه

قبطية : ثوب مصنوع بالقبط كانت رقيقة تتراءى الأعضاء التي خلف هذا الثوب.

الشرح الأدبي :

هذا أروع مثال من الأمثال النبوية الذي لا مثيل له في العالم - هذه استعارة لأن الثوب الرقيق الأبيض - كالقبطية - حينما يلصق بجسم لابسه تتراءى الأعضاء التي خلف هذا الثوب، بجميع دقائقها وتفصيلها...!! وعوراتها وزينتها التي أمر الله بعدم إظهارها، فأقام رسول الله ﷺ مثل هذا الثوب الرقيق الأبيض كالواصف لما خلفه والمخبر عما استتر به والدال على عوراته، وذلك من إعجاز بلاغة النبي ﷺ وآيات روائعه ودرره التي لم يسبقه إليها أحد، وفي هذا المعنى قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "إياكم ولبس القباء^{٦٤٥} فإنها أن لا تَشْفِ^{٦٤٦} تَصِفُ" هذا ما قاله

^{٦٤٤} رواه أحمد، في مسنده ٣٠٤/٤ (انظر الروائع والبدائع للندوي) (ص: ٥٨)
^{٦٤٥} القباء - ثوب يلبس فوق الثياب أو القميص: ويتمنطق عليه (المعجم الوسيط)
^{٦٤٦} شف - شفوفاً، رق حتى يرى خلفه (المعجم الوسيط)

الشريف الرضي^{٦٤٧}، ولكن هنا سر دقيق من أسرار الإعجاز النبوي البياني ونكته لطيفة لغوية رائعة ذكرها الرافعي قال: "قلنا: وهذا كلام حسن^{٦٤٨}، ولكن في عبارة الحديث سر هو من معجزات البلاغة النبوية لم يهتد إليه الشريف على أنه هو حقيقة الفن في هذه الكلمة بخاصتها، ولكن نظن أن بليغا من بلغاء العالم - يتأتى^{٦٤٩} لمثله، فإنه ﷺ لم يقل: "أخاف أن يصف حجم أعضائها" بل قال: "حجم عظامها" مع أن المراد لحم الأعضاء في حجمه وتكوينه، وذلك منتهى السمو بالأدب إذ ذكر أعضاء المرأة في هذا السياق، وبهذا المعرض، وهو في الأدب الكامل أشبه بالروث^{٦٥٠}، ولفظة "الأعضاء" تحت الثوب الرقيق الأبيض تنبه إلى صور ذهنية كثيرة هي التي عدها الرضي في شرحه، وهي تومئ إلى صور أخرى من ورائها، فتنزه النبي ﷺ عن كل ذلك، وضرب الحجاب اللغوي على هذه المعاني السافرة وجاء بكلمة "العظام"، لأنها اللفظة الطبيعية المبرأة من كل نزعة، لا تقبل أن تلتوي ولا تتغير معنى، ولا تحمل غرضاً، إذ تكون في الحي والميت بل هي بهذا أخص، وفي الجميل والقبيح بل هي هنا أليق، وفي الشباب والهرم، بل هي في هذا أوضح، والأعضاء لا تقوم إلا بالعظام، فالمجاز على ما ترى، والحقيقة هي ما علمت^{٦٥١}.

وفي الكلام النبوي عن المرأة ألوان جميلة في الظاهر والمضمون ولطف الكناية عن ملابسات دقيقة في غاية السمو والأدب، غير أننا نريد الآن أن نلقي نظرة عمومية على المرأة ومكانتها وصفاتها ومحامدها ومساوئها في ضوء الأحاديث التي جاءت عن "المرأة" غير متعرضين لعرض مزايا "الأحاديث" الأدبية والفنية مما نقدمه للاستشهاد به في بياننا هذا.

^{٦٤٧} الرافعي، مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب (٣٥١/٢) مطبعة الاستقامة، الطبعة الثانية ١٣٥٩هـ، ١٩٤٠م.

^{٦٤٨} يعني كلام الرضي

^{٦٤٩} تأتي للأمر - أتى من وجهه أو قصد

^{٦٥٠} راث - روثا = يضرب لمن يكفر بالإحسان إليه.

^{٦٥١} رافعي، مصطفى صادق، وحي القلم (٢٢/٣) دار الكتب العربي، ببيروت.

١٦ - "رفقا بالقوارير" :

الحديث الكامل: قال النبي ﷺ لأنجشة، وكان يحدو بالنساء هوادجهن "رفقا بالقوارير" ٦٥٢ .

المفردات :

يحدو : أي يسوق ويحث الإبل بالحداء أي بالأغاني.

القوارير : الزجاجات.

قال رسول الله ﷺ هذه الكلمات حينما كان أنجشة يحدو ويسوق الإبل ويحثها على السير بالحداء أي بالغناء والأبيات المرققة المؤثرة، فخاف رسول الله ﷺ أن يؤثر صوته في قلوب النساء، ويقع فيها موقعا غير لائق لأنهن آثرن بالأغاني على الرجال فنهاه عن ذلك، وقال رفقا بالقوارير".

الشرح الأدبي :

يقول نقاد العربية : "إن رسول الله ﷺ نهى عن ذلك لأن الإبل إذا حدا بها حاد ووقع في أذنها شعر جميل أو أصوات القرص والرجز اهتزت ونشطت وأسرعت في السير، فإن ذلك يؤلم النساء ويجعلهن مضطربات لاضطراب الهواج ٦٥٣ .

شبه رسول الله ﷺ في هذا الحديث النساء اللاتي يؤثرن بأقوال الرجال وأغانيهم بالزجاجات لأنه يسرع إلى كل مهما الكسر. قال مصطفى صادق الرافعي: ووجه الشبه ظاهر وكأنهن نور وصفاء ورقة، ثم سلامة قلما تسلم إلا بشدة الصيانة والحفظ والمراعاة ٦٥٤ .

٦٥٢ صحيح البخاري، كتاب الآداب، باب المعارض، انظر: الروائع والبدائع في البيان النبوي، لمحمد نعمان الدين الندوي، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩٦م، (ص: ٥٨)، وفي رواية مسلم سوفا بالقوارير مكان "رفقا"، كتاب الفضائل، باب رحمة النبي للنساء (٢٣٢٣) من شرح مسلم للنووي، دار أبي حيان (ط: ١، ١٩٩٥م).
٦٥٣ ابن الأثير، المثل السائر ٦٤/٢ (انظر الروائع والبدائع في البيان النبوي) (ص: ٦٠).
٦٥٤ الرافعي، مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب ٣٣١/٢، مطبعة الاستقامة، الطبعة الثانية ١٣٥٩هـ، ١٩٤٠م.

١٧ - "إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وإنما مثل المؤمن" :

الحديث الكامل: عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أنه قال: "قال رسول الله ﷺ: أن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنما مثل المسلم، فحدثوني ما هي؟ فوقع الناس في شجر البوادي. قال عبد الله فوقع نفسي: أنها النخلة، فاستحييت، ثم قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله؟ قال: هي النخلة"^{٦٥٥}.

أراد النبي ﷺ هنا أن يبين خير المؤمن وثباته بـ "المثال" الذي يلعب دورا مهما في إبراز خبيئات المعاني، ورفع الأستار عن الحقائق، فإن الأمثال ترى المخيل في صورة المحقق، والمتوهم في معرض المتيقن والغائب كأنه مشاهد.

الشرح الأدبي :

يشبه النبي ﷺ المؤمن القوي الثابت في مصيبات الدنيا والتمسك بالشرائع في اليسر والعسر بالنخلة الثابتة التي تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها.

ووجه الشبه بين المسلم والنخلة، هو كثرة خيرها ودوام ظلها وطيب ثمرها، ووجودها على الدوام، فإنه من حين يطلع ثمرها لا يزال يؤكل منه حتى يبیس، وبعد أن يبیس يتخذ منها منافع كثيرة من خشبها وورقها وأغصانها، فيستعمل جذوعا وحطبا وعصبا وحصرا وحبالا وأواني وغير ذلك مما ينتفع به من أجزائها، ثم آخرها نواها ينتفع به علفا للابل وغيرها، ثم حال نباتها وحسن ثمرها، وهي كلها منافع وخير، وكذلك المؤمن خير كله من كثرة طاعاته ومكارم أخلاقه ومواظبته على صلاته وصيامه وذكره وصدقته وسائر الطاعات.

قال المفسرون: ضرب الله مثلا كلمة طيبة: (لا إله إلا الله) كشجرة طيبة أصلها ثابت في الأرض وفرعها في السماء، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، وقد شبه الله الإيمان

^{٦٥٥} صحيح البخاري، كتاب العلم (٤) باب قول المحدث إلخ (رقم الحديث: ٦١) / مسلم كتاب صفة القيامة والجنة والنار (٢٨١١/٦٣)

بالنخل لثبات الإيمان في قلب المؤمن كثبات النخلة في منبتها. وشبه ارتفاع عمله إلى السماء بارتفاع فروع النخلة وما يكتسبه المؤمن من بركة الإيمان وثوابه في كل وقت وزمان بما ينال من ثمر النخلة في أوقات السنة كلها من الرطب والتمر.

فقد اتضح بهذا المثال مكان المؤمن وخيره وبركته وفضله على سائر البشر من غير المؤمنين.

١٨ - "ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كراع يرعى حول الحمى":

الحديث الكامل: عن النعمان بن بشير رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "الحلال بيّن والحرام بيّن، وبينهما مشتهيات لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعها، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا إن حمى الله في أرضه محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب" ^{٦٥٦}.

بيان الحديث الشريف :

قال العلماء: إن هذا الحديث من مهام الدين، وأصل عظيم من أصول الشريعة حتى قال بعض العلماء: يمكن أن ينتزع من هذا الحديث وحده جميع الأحكام، لأنه اشتمل على التفصيل بين الحلال وغيره، وعلى تعليق جميع الأعمال بالقلب، فمن هنا يمكن أن يرد إليه جميع الأحكام! المهم عندنا هو النظر إلى هذا الأسلوب الرائع الذي اختاره الرسول ﷺ في الحديث الشريف وبلاغته.

^{٦٥٦} رواه البخاري: كتاب الإيمان: باب فضل من استبرأ لدينه.

أنظر إلى نبوغ النبي ﷺ وبراعته في تقريب الحقائق الفكرية والأمور التي لا تدخل تحت الحسّ بالأمور التي تحس وتشعر، فإن ذلك أدعى إلى الفهم، وأشدّ ثباتاً وأثراً ورسوخاً في الذهن والقلب، وتمكناً من العقل.

بدئ الحديث الشريف بكلمتين خفيفتين واضحتين لا غموض فيها ولا التواء، وهما: الحلال بيّن والحرام بيّن، أي: ظاهر بالنظر إلى ما دل على الحلال والحرام أو على الحرام بلا شبهة، ثم يقول الحديث منبهاً إلى أمر ليس به كبير أهمية عند الناس وهو عند الله ذو بال وخطر، وهو: أن بين الحلال والحرام أموراً مشبهات، أي الوسائط التي يكتنفها الدليلان من الطرفين بحيث يقع الاشتباه ويعسر ترجيح دليل أحد الطرفين إلا عند قليل من العلماء.

ثم يوضح الحديث موقف المؤمن المتقي الذي يحب أن ينال رضا الله ويتجنب سخطه ونقمته، فيقول: " فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه " - أي طلب البراءة في دينه من النقص، وعرضه من الطعن فيه، أي صار في مأمن من أن ينال من دينه وعرضه ثم ينذر الحديث بخطر كبير قائلاً: "ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه".

الشرح الأدبي :

أنظر كيف يثبت النبي ﷺ خطر الشبهات وكيف يؤكد ضرورة الالتقاء منها، فيشبهه الواقع في الشبهات بالراعي الذي يرعى حول الحمى، فلا يؤمن من أن تدخل غنمه حمى الملك الذي لا يسمح بالراعي فيها لغنم عامة الناس، فإذا دخلت ماشيته الحمى تعرض للخطر والعقاب.

"ألا إن حمى الله محارمه"، يقول الشريف الرضي: "شبه ما حظره الله سبحانه وتعالى من محارمه بالحمى الذي يحميه ذو السلطان من مواقع السحاب ومنابت الأعشاب فلا ترعى فيه إلا إبله، ولا ينزل به إلا حيه، وما كان يفعل ذلك من العرب إلا الأعز فالأعز والأبر فالأبر، حتى ضربت العرب المثل بحمى كليب بن ربيعة - وهو كليب وائل - في أنه رجل حرام ممنوع لا يرام، فقالوا: "أعز من حمى كليب، فحمل ﷺ ما حظره الله على العباد من المحارم، كالحمى الذي يجب عليهم ألا يطوفوا به ولا يَمروا بجانبه، ومن خالف الله منهم أُرصد له العقاب، فما حرم سبحانه من الأشياء حمى لا يرعى، وما أحل منها مرعى لا يحمى، ثم بين معنى قوله ﷺ: "كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه" فقال: (يريد به التحذير من الإمام بشيء من الذنوب، يكون ذلك مجرئاً على الوقوع من كبائرها والتهتك في معازمها"^{٦٥٧}).

أنظر أسلوبه ﷺ القارع الشديد البليغ في قوله: "ألا وإن لكل ملك حمى، إلا أن حمى الله في الأرض محارمه" ذلك حرصاً منه ﷺ على عدم تعرض أمته لذلك الخطر الذي أُنذر به من لم يحذر منه!

حقاً إنها كانت صورة تشبيهية بديعة، وفنا رائعاً من فنون البيان وآية من آيات البلاغة النبوية ودليلاً باهراً على امتلاكه ﷺ ناصية اللغة.

١٩ - "الله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه".

الله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحته بأرض فلاة، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها، وقد

^{٦٥٧} (المجازات النبوية) (ص: ١٠٣ - ١٠٤) انظر: نظرات فقهية وتربوية في أمثال الحديث (ص: ١٤٦)

أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذا هو بها، قائمة عنده، فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: "اللهم أنت عبيدي وأنا ربك" - أخطأ من شدة الفرح^{٦٥٨}.

المفردات :

فلاة : صحراء

انفلتت : تخلصت أو نجت بسرعة

نظرات في المعنى :

١ - من مظاهر رحمة الله بعباده أنه فتح أمام العصاة باب التوبة على مصراعيه حتى لا يقنطوا من رحمة الله، فإنه لا يقنط من رحمة الله إلا القوم الكافرون، وقد أنزل الله على رسوله ﷺ سورة من طوال السور تحمل اسم (التوبة) للإعلان بأن الطريق إلى الله مفتوح دوماً، وما على العبد إلا أن يرجع إليه تائباً طائعاً فتقبل توبته، ويجزي على طاعته، بل فرحة الله بعبده التائب مثل فرحته بعبده الطائع، والحديث يصور مدى فرحة المولى - عز وجل، بعودة عبده إليه.

٢ - يصور هذا الحديث النبوي الشريف مدى فرحة الله سبحانه وتعالى بعودة عبده إليه بصورة الأعرابي الذي فقدت راحلته في صحراء مترامية الأطراف، وعلى هذه الرحلة ما أعده من زاد يتزود به، عليها طعامه وشرابه، وبيأس من العثور عليها فيسلم نفسه للموت المحقق الذي ينتظره، وفجأة يفتح عينيه فيجد راحلته أمامه فيأخذ بزمامها ثم يشكر الله على ذلك شكراً قويا لدرجة تلعثم معها لسانه فقال: "اللهم أنت عبيدي وأنا ربك" مخطئاً في التعبير من شدة الفرح، وهكذا تكون فرحة الله بعودة عبده إليه أو أشد.

^{٦٥٨} رواه مسلم، انظر رياض الصالحين لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي، رقم (١٥) المكتبة الحضرية، القاهرة الطبعة الثالثة ٢٠٠٦م، (ص: ١٥)

الشرح الأدبي :

الحديث قصة سريعة وقصيرة وفيها من مقومات القصة :

البطل: هو الأعرابي الذي كان على راحلته.

المكان: صحراء مترامية الأطراف شاسعة لا يعرف فيها الإنسان وجهته إذا ما ضل (أرض فلاة).

الزمان: وقت الظهيرة حين يضطر الإنسان في الصحراء إلى أن يتقيأ ظل شجرة تقيه لفح الحر، وما أدراك ما الحر؟! وبخاصة إذا ما كان مثل تلك الصحراء.

الأحداث: بدأت في ظهور الأعرابي على راحلته، ثم في نزوله من عليها لقضاء حاجة عرضت له مما سمح لها بالإفلات، وطلبها ولكن هيهات، هيهات أن يجد طلبته، فلما يئس وتعب في استعادتها آوى إلى ظل شجرة فأسند ظهره إليها في انتظار الموت المحقق، فلقد فقد الأمل في الحياة فهو في الصحراء منقطعة عن الناس، فاقد لوسيلة انتقاله وتجواله وهي الراحلة، بل وفقد مقومات الحياة من الشراب والطعام، وهنا تصل الأحداث إلى الذروة في الصراع النفسي الرهيب الذي ينتاب ذلك البدوي (وهو ما يسمى بالعقدة)، ثم تنفرج الأزمة، وتحل العقدة فيفاجأ براحلته وعليها طعامه وشرابه فيهذي من شدة الفرح.

لا شك بأن هذه القصة قد بلغت منزلة كبيرة من التأثير في نفوس العرب أبناء الصحراء وأصحاب الإبل.

القصة صورت المعنى المجرد الغيبي بصورة المحسوس المشاهد، وبهذا الأسلوب لأن العرب هم أكثر الناس إدراكاً له، لأنهم يعيشون في هذه الأوساط، وربما تعرض بعضهم لمثل هذه الأزمة، أو سمع بخبر من تعرض لها.

الحديث - كما هو واضح - صورة تمثيلية رائعة، صور فيها الأمر الغيبي (وهو مدى فرحة الله عز وجل بعودة عبده العاصي تائباً إليه) بأمر محسوس مشاهد للصاحبة (وهو مدى فرحة ذلك الأعرابي السابق قصته بعودة راحلته إليه).

٢٠ - "ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر
بم يرجع؟"^{٦٥٩} :

المفردات :

اليم : البحر

بم يرجع : ماذا يبقى

الشرح الأدبي :

ما أحسن هذا المثال وما أروع الذي يبين أهمية الآخرة ومكانتها بالنسبة إلى الدنيا، يشبه النبي ﷺ الآخرة بالبحر العظيم الممتلئ بالماء الغزير الذي لا يرى الناظر إليها ساحلها الآخر ويشبه الدنيا بالقطرة اليسيرة التي تبقى في الإصبع إذا غمس فيه.

ووجه الشبه نسبة المحدود إلى مالا حدود له، سواء في الزمان أو المكان أو فيما يشتمل عليه كل منهما.

يستقر الإنسان في الأرض وينتفع بما فيها مؤقتاً بأجل ما ينتهي فيه، عمره فيها قصير ومتاعه فيها قليل، فليس الخلود من شأن هذه الحياة الدنيا، وإنما هو من شأن حياة أخرى لا تنتهي آمالها، ولا يفرغ متاعها، وتكدر لذاتها، إنها الحياة التي ينبغي أن يركز الإنسان جهده لها، ويوجه همهته إليها، ويتنافس في الحصول على مكانة ممتازة فيها، إثارة منه ما يبقى على ما يفني، وسعياً منه وراء الحياة الحقيقية، فإن ما

^{٦٥٩} رواه مسلم - انظر رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، ليحيى بن شرف النووي دمشقي ص: (١٣٤)، رقم الحديث ٤٦٣، المكتبة الحضرية، القاهرة، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٦م / وفتح الباري (٣٥٥/٤) دار أبي حيان القاهرة.

يبقى هو الجدير بوصف الحياة، أما ما يفني حياته أشبه بالأوهام والسراب، أو اللهو واللعب: (وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب، وإن الدار الآخرة لهي الحيوان، لو كانوا يعلمون^{٦٦٠}).

يقول الشاعر :

ألا إنما الدنيا كأحلام نائم وما خير عيش لا يكون بدائم

تأمل إذا ما نلت بالأمس لذة فأفئتيها هل أنت إلا كحالم

وقد صرح الله تعالى بقلة متاع الدنيا بالنسبة لما في الآخرة في قوله تعالى: "..... فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل"^{٦٦١}.

وقد وردت أحاديث كثيرة تدل على أهمية الآخرة ومنزلته العالية وأن ما أعد الله تعالى للمؤمنين في الجنة مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولم يخطر ببال أحد، ومنها:

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ إني لأعلم آخر أهل النار خروجاً منها، وآخر أهل الجنة دخولا الجنة، رجل يخرج من النار حبواً، فيقول الله عز وجل له: اذهب فادخل الجنة، فيأتيها، فيخيل إليه أنها ملأى، فيرجع فيقول: يا رب وجدتها ملأى، فيقول الله تبارك وتعالى له: اذهب فادخل الجنة، قال: فيأتيها، فيخيل إليه أنها ملأى، فيرجع، فيقول: يا رب وجدتها ملأى! فيقول الله عز وجل له اذهب فادخل الجنة، فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها - أو أن لك مثل عشرة أمثال الدنيا - فيقول: أتسخر بي، أو تضحك بي، وأنت الملك"، قال: فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه فكان يقول: "ذلك أدنى أهل الجنة منزلة" - متفق

^{٦٦٠} سورة العنكبوت: ٦٤
^{٦٦١} سورة التوبة: ٣٨

عليه^{٦٦٢}، إذا كان حال من يدخل أخيرا الجنة هكذا فكيف يكون من يدخل فيها قبل ذلك؟

فالواجب على الإنسان أن يدرك حقيقة الدنيا وسر وجوده فيها ولا يجعلها هدف حياته بل يتزود منها لآخرته، ويعتبرها استراحة قصيرة على طريق سفر طويل، كما جاء في الحديث: "إنما أنا والدنيا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها"^{٦٦٣}.

٢١ - "أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شيء؟" قالوا: لا يبقى من درنه شيء، قال: فذلك مثل الصلوات الخمس، يمحو الله بهن الخطايا"^{٦٦٤}.

المفردات :

الدرن : الوسخ

الشرح الأدبي :

هذا أروع مثال يبين أهمية الصلاة وفضلها ونفوذها في حياة الإنسان. في الحديث تشبيه الصلوات الخمس في تطهيرها النفوس من الذنوب، بالماء الجاري في تنظيفه الأبدان من الأوساخ، إنما تطهر الصلاة النفوس إذا كانت مشغولة بها وأداها حق أدائها بالقلب والقالب، كما أن الغسل إنما يزيل الوسخ من جميع نواحي البدن إذا كان غسلا حقا. ووجه الشبه كما هو واضح: التنظيف وإزالة الأقدار والأذى.

الماء كثير، والنهر فياض به، وفي الماء خاصية التنظيف وإزالة الأقدار، والإنسان في حاجة إلى الماء، وهو في متناول يده لن يتعب في تحصيله وعليه أن يستعمله إن أراد الحياة أو النظافة، وإذا لم يستعمله في نظافته تراكمت عليه الأقدار والأوساخ،

^{٦٦٢} انظر رياض الصالحين، ص: ٤٢٣، مكتبة الحضريّة، القاهرة ٢٠٠٦م.

^{٦٦٣} أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجه والحاكم (انظر نظرت فقهية) (٣٧٠).

^{٦٦٤} متفق عليه، ورواه الترمذي في أبواب الأمثال، صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلوات الخمس كفارة، رقم الحديث ٥٢٨، (فتح الباري - ٤٠٦/٢) دار أبي حيان القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.

وتعفت رائحته، وأفلقت الهوام والحشرات، وهددت حياته الأمراض، ولا يلومن إلا نفسه إن هلك نتيجة لتقصيره وإهماله.

وما ينطبق على الماديات ينطبق على المعنويات كذلك، وكما تمرض الأبدان تمرض النفوس، وكما تعالج الأبدان تعالج النفوس، وكما يزيل الماء أقدار الأبدان ويمنعها نظافة ونضارة، تزيل الصلاة أقدار النفوس وتعيد إليها نقاءها وصفاءها.

ولم يهتم الإسلام بشعيرة اهتمامه بالصلاة واحتفاءها بها، وهي أول ركن يلي كلمة التوحيد وهي أفضل شعائر الإسلام، وهي أظهر معالم الإيمان، وليس لسائر الأوامر والعبادات والفرائض والواجبات من التأكيد ما لها، وهي واجبة في اليوم والليلة خمس مرات على كل بالغ عاقل قادر عليها، لا يؤديها عنه غيره، ولا يسقطها عنه فقره ولا يتولاها وليه.

والصلاة صلة بين العبد وربّه، بها يظهر استسلامه وخضوعه لله، وبها ثبت محافظته على العهد وتجديده البيعة، وفيها يناجي ربه ويدعوه ويسأله من فضله، ومن شأن من يداوم عليها في أوقاتها، ويحافظ على أركانها وواجباتها، أن يكون على غيرها من العبادات أحرص، وأن يكون للأوامر والنواهي أطوع، وعن الكبائر أبعد:

"..... وأقم الصلاة، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر....." ^{٦٦٥}.

ومكافأة لمن هذا شأنه تفضل الله عليه بأن تجاوز عن هفواته، ووعدته بتكفير ما يقترفه من الصغائر التي قلما يخلو إنسان من التلوث بها، فيسقطها عنه كما يسقط الشجر الأوراق الناضجة منه وينحسر عن أفنائه ويزيلها عنه كما يزيل الماء الدرن.

والصلاة مكفرة للذنوب، وإنما تكفر سيئات من أدى حقها، وأكمل خشوعها، ووقف بين يدي الله بقلبه وقالبه، فهذا إذا انصرف منها وجد خفة من نفسه، وأحس بأثقال قد

^{٦٦٥} سورة العنكبوت ٤٥

وضعت عنه، فوجد نشاطا وراحة وروحا، حتى يتمنى أنه لم يكن خرج منها، لأنها قرة عينيه، ونعيم روحه، وجنة قلبه، ومستراحة في الدنيا، فلا يزال كأنه في سجن وضيق حتى يدخل فيها فيستريح بها لا منها، كما قال ﷺ : "يا بلال أرحنا بالصلاة" ولم يقل: أرحنا منها، وقال: "جعلت قرة عيني في الصلاة"^{٦٦٦}.

٢٢ - "مثل النبي ﷺ والأنبياء" :

الحديث الكامل: قال البخاري في (باب خاتم النبيين) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة، قال: أنا اللبنة وأنا خاتم النبيين.

الشرح الأدبي :

يشبه الرسول ﷺ إرسال الله سبحانه وتعالى الأنبياء وبعثة الرسل في تتابع وتناسق وتلاق في الأصول العقائدية والخلقية العامة، وتطابق في الهدف، منذ آدم إلى قبيل بعثته ﷺ ثم بعثته - برجل بنى بيتا لما يكتمل، أودع فيه من الإبداع والتجميل والتنسيق، ما يجعله قمينا بأن يروع الناظر وينتزع إعجاب المتأمل غير أن الإعجاب الكامل بهذا البناء لم يتم بسبب نقصه وعدم إكماله، مما حمل المقدرين لجلال البناء وروعه إلى أن يتموا إكماله، ويستحثوا تمامه، فلما اكتمل البناء كمل الإعجاب.

ووجه الشبه: هو الوحدة والتناسق والارتباط الوثيق والإكمال بعد النقص عند الإحساس بالحاجة إليه.

^{٦٦٦} ابن القيم الجوزية، الوابل الصيب من الكلم الطيب، ص: ١٩ - ٢٠، الطبعة الثانية، ١٣٩٤ هـ، المطبعة السلفية.

ما يستفاد من الحديث :

لم يرد هذا الحديث في سياق المفاضلة بين الأنبياء، وبيان التفاوت في درجاتهم وإنما مساق الحديث لغير ذلك، ومن المعروف أنه يكتفى في التشبيه بوجود صفة أو صفات مشتركة بين المشبه والمشبه به لتحقيق وجه الشبه، ولا يلزم أن يشتركا في جميع الصفات.

إن هذا الحديث جاء ليؤكد أمرين :

أولهما: وحدة الأنبياء وبالتالي وحدة الأديان السماوية

وثانيهما: أن الحاجة كانت ماسة إلى بعثة محمد ﷺ وأنه آخر النبيين فلا نبي بعده، أما من حديث الأمر الأول وهو وحدة الأنبياء والأديان، فيفيده التشبيه ببناء الدار، يقول ابن خلد: إن العرب تمثل ما يبالغون فيه من الوثاقاة والأصالة وأشباه ذلك بالبنيان.

وقال الشاعر (عبرة بن الطيب) يذكر قيس بن عامر :

فما كان قيس هُلكه هُلكُ واحد ولكنه بنيان قوم تصدَّعا

ويؤكد الرسول ﷺ هذه الوحدة التي تنتظم الأنبياء جميعا والتي تردهم إلا أصل واحد وهدف واحد - عندما يشبههم بأولاد الضرائر "الأنبياء أولاد علات، أمهاتهم شتى وأبؤهم واحد"، فهم إخوة ينتسبون إلى أب واحد على الرغم من اختلاف الأمهات، مشيرا بهذا إلى أن الأنبياء على الرغم من اختلاف شرائعهم التطبيقية التي تختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة، إلههم إله واحد، كلهم يدعون إلى إفراده بالعبادة ويحذرون من الإشراف به، وينبهون الإنسان إلى أن دنياه ليست كل شيء فإن هناك بعثا وآخرة وعقابا وثوابا، وجنة ونارا، ويعالجون نوازع الشر في نفسه، ويطلقون فيها كوامن الخير حتى يسعد الإنسان في الدنيا ويثاب في الآخرة، أي كل الأديان كانت تلتقى عند أمرين: إصلاح العقيدة وعلاج الانحرافات في الفرد والمجتمع.

أما الأمر الثاني الذي يؤكد هذا الحديث وهو أن الحاجة كانت ماسة إلى بعثة الرسول ﷺ وأنه خاتم الأنبياء فيتضح من استعراض حالة الأمم والشعوب قبل البعثة وما كانت تعانيه البشرية من جهل وبغي وظلم وشقاء، وتوقع كثير من المفكرين وأهل الكتاب أن يبعث النبي المنتظر، واستشرف فريق من العرب وأهل الكتاب إلى أن يكون هو النبي المختار.

ومعلوم أن الأديان السابقة كانت محدودة المكان والزمان، ولذا ما كان ينتهي عصر النبي ﷺ منهم حتى تجدد الحاجة إلى نبي غيره، أما نبينا محمد ﷺ فدعوته عامة إلى الناس أجمعين، يدل على ذلك قول الله عز وجل: "وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا، ولكن أكثر الناس لا يعلمون" (سورة السبأ: الآية - ٢٨)

وإذا كان في الإسلام الخصائص التي تجعله دينا عالميا يتخطى حدود الزمان والمكان والجنس، فأى حاجة حينئذ إلى إرسال نبي بعد نبي الإسلام؟ من هنا كان الإسلام هو خاتم الأديان، وكان النبي ﷺ خاتم النبيين، به كمل البناء وسدت الثغرة وقامت على الناس الحجة، وصدق الله العظيم: "ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين".

إن الإسلام يعتبر الناس جميعا إخوة، أبوهم واحد، ويعتبر الأنبياء جميعا إخوة أبوهم واحد، وإله الأنبياء والناس جميعا إله واحد، إن الإسلام دين التوحيد والوحدة.

٢٣ - "مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة.....".

الحديث الكامل: عن النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم،

فقالوا: لو خرقتنا في نصيبنا خرقتا ولم نُؤذ من فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً وأن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً"^{٦٦٧}.

المفردات :

القائم على حدود الله : أي المتمسك بالدين، القائم بواجب الدعوة.

الواقع فيها : المراد به المرتكب على المنكرات والمعاصي.

استهموا : أي اقترعوا فيما بينهم.

خرقتنا في نصيبنا: أي ثقبنا المكان الذي نحن فيه لنستخرج منه الماء والمراد خرق السفينة.

أخذوا على أيديهم: أي منعوهم مما أرادوا من خرق السفينة.

الشرح الأدبي :

في هذا الحديث (مثل القائم إلخ) فيه تشبيه يسمى (تشبيها تمثياليا) لأن وجه الشبه صورة منتزعة من متعدد..، وهذا النوع من التشبيه له تأثير عظيم على النفس إذا وقع في صدر القول بعث المعنى إلى النفس بوضوح وجلاء مؤيد بالبرهان ليقنع السامع، وإذا جاء بعد تمام المعاني كان كالبرهان الذي تثبت به الدعوى، والحجة التي توجب الإذعان مثل قول الشاعر:

"ولا ينزل المجد إلا في منازلنا كالنوم ليس له مأوى سوى مقل"

المثل الذي في هذا الحديث مثل في منتهى الجمال والروعة، يضربه الرسول ﷺ لأولئك الذين أخطأوا الطريق، وضلوا الجادة، وتكبوا عن سبيل الهدى، ففهموا (الحرية) فهما خاطئاً، وساروا في هذه الحياة حسب أهوائهم وشهواتهم، ومثل آخر

^{٦٦٧} صحيح البخاري (انظر فتح الباري: ٦١٤/٦)، رقم الحديث: ٢٤٩٣، كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة؟ والاستهام فيه؟

لأولئك الذين رأوا المنكر فسكتوا عنه، وأغمضوا أعينهم عما يدور حولهم من آثام وموبقات، كأن الأمر لا يعنيه، وظنوا في أنفسهم الصلاح والفلاح!

إنه مثل رائع من روائع الحكم النبوية، التي ضربها الرسول ﷺ معلم الإنسانية، ومهذب البشرية، التي أناخت له الفصاحة والبلاغة، وأعطى جوامع الكلم، فكان له منها النصيب الأوفر، فصلوات ربي وسلامه عليه.

هذا مثل في غاية الروعة والجمال يصور فيه الرسول ﷺ (المجتمع البشري) بما فيه من أخطار وأشرار، ومتقين وفجار، بركاب سفينة في بحر خضم متلاطم الأمواج، هذه السفينة تسير وسط البحر، تشق طريقها بين الأمواج والأعاصير، وقد انقسم الركاب فيها إلى قسمين: قسم في أعلى السفينة، يتمتعون بجمال الطبيعة وروعة الكون ونضارة الحياة، وقد تأمنت لهم كل أسباب الرفاهية والراحة، من مياه عذبة نقية وسرر وأرائك..، وقسم في أسفل السفينة، لا يرون مناظر الطبيعة، ولا يتمتعون بجمالها الخلاب، ولا ينعمون بما ينعم به إخوانهم في الطبقة العليا، حتى الماء فقد كانوا يجلبونه من الأعلى..، وهنا خطر ببالهم خاطرة: وهي أن يتقبوا أسفل السفينة، فاستخرجوا المعاول والفؤوس، وراحوا يضربون بها السفينة لاستخراج الماء..، وسمع الذين هم في الطبقة العليا أصوات السفينة وهي تخرق، فهرعوا نحوهم ووقفوا في وجههم يريدون أن يمنعوه، ولكن أولئك الأذكياء استأعوا من تدخل إخوانهم وقالوا لهم: هذا مكاننا نصنع فيه ما نريد لأننا أحرار، فإن تركوهم على إرادتهم وصنيعهم هلك ركاب السفينة جميعا، وإن منعوا وأخذوا على أيديهم نجوا جميعا!

وهكذا نحن في حياتنا الدنيا على سطح الأرض (كركاب سفينة) فينا البر والفاجر وفينا الصالح والطالح وإن تركنا زمام الحياة على أيدي أهل الأهواء أن يفودها حيث يشاءون هلكننا جميعا.

وإن مسؤولية هداية هذا العالم تقع على عاتق الأمة المسلمة التي أخرجت للناس يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ولكل طبقة من الناس دورهم في هذا

المجتمع والحكام بقوتهم والعلماء بنصائحهم والعامّة يقوم أمام المعروف قياماً إيجابياً ويقاوم المنكر مقاومة سلبية.

فيا له من مثل رائع، وتوجيه حكيم، نبهنا إليه رسول الهدى والرحمة ونبي العلم والعرفان، يا له من مثل رائع لو أن الناس يعلمون!!

٢٤ - "مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة" :

الحديث الكامل: عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: "قال رسول الله ﷺ : مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة، ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة، لا ريح لها وطعمها حلو ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة، ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة، ريحها مر وطعمها مر". وفي رواية للبخاري (طعمها مر ولا ريح لها)، (ومثل الفاجر) بدل من (مثل المنافق).

المفردات :

الأترجة : بضم الهمزة والراء وبينهما تاء ساكنة وتشديد الجيم المفتوحة وقد تخفف ويزاد قبلها نون ساكنة، فيقال: أترجة.

الشرح الأدبي :

مع جمال الأسلوب الحكيم، وروعة التشبيه النبوي الكريم، يستروح المؤمن برد الإيمان واليقين، مع نسيمات الرضوان تهب عليه وهو يتلو آيات القرآن الكريم،

وهناك يخشع قلبه، وتدمع عينيه، ويشيع من حوله النور والضياء، وصدق من قال:
(قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء).

القرآن تربية وعبادة وتوجيه وأخلاق ونظام قانون، فيه لخير البشرية ما يفوق قدرات
البشر، وفيه من وجوه الإعجاز ما ينطق بأنه من الخالق القوي، وهذا القرآن يهدي
للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعلمون الحسنات أن لهم أجرا عظيما. في هذا
الحديث قسم النبي ﷺ الناس إلى أربعة أقسام:

١. المؤمن الذي يقرأ القرآن
٢. المؤمن الذي لا يقرأ القرآن
٣. المنافق الذي يقرأ القرآن
٤. المنافق الذي لا يقرأ القرآن

فقد شبه النبي ﷺ الصنف الأول الذي في أعلى المراتب (بالأترجة) وهي الفاكهة
الطيبة، ذات الريح العاطر الذي ينعش النفس ويبهج القلب بحلاوتها وطيبها، وقد
كانت معروفة عند العرب قال الشاعر:

"يحملن أترجة نضيج العبير بها كأن تطيا بها في الأنف مشموم"

وفي التعبير بقوله ﷺ (ريحها طيب وطعمها طيب) إشارة إلى بلوغ درجة الكمال في
طيب الباطن والظاهر.

والصنف الثاني: شبهه النبي ﷺ بالتمرة في طيب الباطن لوجود الإيمان دون الظاهر
لهجره تلاوة القرآن، فالباطن جميل يشبه حلاوة التمر، وأما الظاهر وهو (طيب
الرائحة) فإنه مفقود لأن التمرة لا ريح لها.

والصنف الثالث: (وهو المنافق الذي يقرأ القرآن) فقد شبهه النبي ﷺ بالريحانة في
الظاهر، وفساد الباطن، فالريح طيب والطعم مر علقم، وهذه المرارة إنما جاءت من

النفاق، وليس في الحديث ما يدل على المديح والثناء لهذا الصنف بل على العكس فهو ذم لأنه ذكره باسم النفاق.

والصنف الرابع: وهو أشد الأصناف وأخبثها وأبعدها عن الله عز وجل فهو ذلك (المنافق) الذي شبهه النبي ﷺ بـ (الحنظلة) في خبث الظاهر والباطن، فهو قد جمع الشر من أطرافه، فله ما أروع هذا التشبيه!! وما أجمل تصويره في النفس!!

وبهذا التشبيه الرائع من هدى سيد المرسلين، يرشدنا صلوات الله عليه إلى فضائل تلاوة القرآن (وخاصة في شهر رمضان) شهر الرحمة والرضوان، ويحث المؤمنين على الإكثار من تلاوته ليبقى قلب الإنسان مستتيرا بنور الله مسترشدا بهدي هذا الكتاب المقدس الذي قال عنه منزله:

(لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله، وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون).

اللهم إنا نسألك أن تجعل القرآن ربيع قلوبنا وشفاء نفوسنا وضياء أعيننا وشفيع آخرتنا، واجعلنا ممن يقرأه آناء الليل وأطراف النهار وتلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكرك يا رب العالمين.

٢٥ - "مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً":

الحديث الكامل: عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً، فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصابت منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا

تثبت كلاً، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به^{٦٦٨}.

المفردات :

نقية : المراد بها القطعة الطيبة.

أجادب : جمع جَدَب، وهي الأرض الصلبة التي لا تتضب منها الماء

قيعان : الأرض المستوية الملساء التي لا تثبت.

الشرح الأدبي :

هنا تشبيه المعقول بالمحسوس :

انظر تشبيه رسول الله ﷺ النور والعلم الذي جاء به - وهو أمر معقول عند الله - بالغيث، وهو شيء محسوس - ينزل من السماء - وما أروع وجه الشبه بينهما، حيث أن النور والعلم الذي بعث به ﷺ فيه حياة للناس كما أن الغيث به حياة الأرض.

بلاغة التشبيه الهدى بـ "الغيث" :

لقد اختير "الغيث" من بين سائر أسماء المطر ليؤذن باضطرار الخلق إليه، ولذا قال تعالى: "وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا"^{٦٦٩}. وقد كان الناس قبل المبعث قد امتحنوا بموت القلوب ونضوب العلم حتى أصابهم الله برحمة من عنده^{٦٧٠}.

إن هذا الحديث الشريف يشتمل على نوعين من التشبيه: تشبيه المعقول بالمحسوس، وتشبيه المحسوس بالمحسوس، في الأول تشبيه الدين والهدى بالغيث، وفي الثاني:

^{٦٦٨} صحيح البخاري، انظر فتح الباري، كتاب العلم، باب من علم وعلم، ص: ٣٣٢/١، (رقم الحديث: ٧٩) دار أبي حيان، القاهرة ط: ١٩٩٦/١ م.

^{٦٦٩} سورة الشورى - ٢٧.

^{٦٧٠} العيني- بدر الدين محمد بن محمود بن أحمد، عمدة القارئ (٤٧/١).

تشبيه الناس بالأرض. وما أروع اختيار المشبه به، فمن الأرض خلقنا وإليها نعود ومنها نخرج: "منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومما نخرجكم تارة أخرى".

ثلاثة أصناف من الناس :

والتشبيه الثاني - تشبيه الناس بالأرض - يشتمل على ثلاثة أصناف من الناس مقابل ثلاثة أنواع من الأرض.

الصنف الأول:

هو الذي شرح الله صدره للإسلام ونور قلبه بنور الإيمان وفتح بصيرته لتلقي الهدى الذي جاء به محمد ﷺ ، فاستفاد منه وأفاد - وعلم وعلم واهتدى وهدى، وتقابل هذا الصنف المهتدي الهادي من الناس، أرض طيبة صالحة للزرع والنبات، خيرة خصبة غنية، ما إن مسها الماء حتى أخذت زخرفها وازينت وأنبتت من كل زوج بهيج.

ثم إن هذه الأرض الطيبة الصالحة لا تتساوى في الإنبات والزرع، بل تختلف فبعضها أكثر صالحية وأشد إنباتا، وأصلح خيرا وبركة، والآخر قليل الفائدة، قليل الإنبات، كذلك حال المستفدين من الهدى الإسلامي، فبعضهم على قمة من الاستفادة والإفادة، فما أن وصلهم النور الرباني والهدى الإسلامي حتى سابقوا إليه.

الصنف الثاني:

وهم الذين لا يعلمون بما آتاهم الله من العلم والحكمة، فتكون عندهم معلومات ضخمة واطلاع واسع كبير على حقائق الشريعة وتعليماتها ولكنهم كما قال الله جل وعلا: "مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا....." ^{٦٧١}،

^{٦٧١} سورة الجمعة: ٥

وشبههم رسول الله ﷺ بالأرض التي أمسكت الماء، فنفخ الله بها الناس فشرّبوا وسقوا وزرعوا.

الصف الثالث:

وهم الذين لم يعنوا بالدين عناية، ولم يلتفتوا إليه أصلاً، فما استفادوا وما أفادوا، وقد عبر عنهم الرسول ﷺ بقوله: "من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به" وشبههم بقيعان الأرض التي لا تمسك ماء ولا تنبت كلاً.

يا له من شبيهه! ويا لها من بلاغة النبي ﷺ القدرة على التشبيه في تفهيم أمور الدين، تشبيه المعقول بالمحسوس، تشبيه الدين الإسلامي بالغيث اللذين جهة مجيئهما واحدة، جهة العلو والسمو المعنوي، والسمو المعنوي أيضاً بالنسبة للأرض، والغيث إنما تنزل من السماء وهي جهته المادية بالنسبة للأرض، ثم هو لا ينزل إلا بأمر من الله وتحت مشيئته، وهذه هي الجهة المعنوية، ثم إن هذين الأمرين المباركين طاهران من دنس ورجس، فالنظر كيف قدم لنا رسول الله ﷺ شيئاً معنوياً معقولاً محضاً في صورة تمثيلية متحركة شاخصة واضحة لا غموض فيها ولا التواء.

فسبحان من أعطاه مفاتيح البيان وأسلس له الكلام، وميزه بجوامع كلمه.

٢٦ - "إن من البيان لسحرا" :

الحديث الكامل: عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أنه قدم رجلان من المشرق فخطبا فعجب الناس لبيانهما، فقال رسول الله ﷺ : إن من البيان لسحرا، أو إن بعض البيان لسحر^{٦٧٢}.

المفردات :

قدم رجلان : وقد زعم جماعة أنهما الزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم من بني تميم.
من المشرق : كانت بنو تميم تسكن من جهة العراق وهي في شرق المدينة.

فلما خطبا عجب الناس لبيانهما. البيان اثنان: أحدهما ما تقع به الإبانة عن المراد بأي وجه كان، والآخر ما دخلته الصنعة بحيث يروق للسامعين ويستميل قلوبهم، وهو الذي يشبه بالسحر إذا خلب القلب وغلب على النفس حتى يحول الشيء عن حقيقته ويصرفه عن جهته، فليوح للناظر في معرض غيره، هذا إذا صرف إلى الحق يمدح وإذا صرف إلى الباطل يذم، وقد حمل بعضهم الحديث على المدح والحث على تحسين الكلام وتحبير الألفاظ وحمله بعضهم على الذم لمن تصنع في الكلام وتكلف لتحسينه وصرف الشيء عن ظاهره، فشبّه بالسحر الذي هو تخيل لغير حقيقته.

الشرح الأدبي :

بعض البيان يعمل عمل السحر، لحدة عمله في سامعه، وسرعة قبول القلب له، قال الميداني: يضرب في استحسان المنطق، وإيراد الحجة البالغة^{٦٧٣}، يقول بعض العلماء مثل الإمام مالك في معنى هذا الحديث أنه ذم، وقال آخرون مثل النووي هو مدح. وقد نقل قولاً ثالثاً في معنى "إن من البيان لسحرا"، هو من البليغ يبلغ ببيانه ما

^{٦٧٢} صحيح البخاري، انظر فتح الباري (١٦٦/١٣) دار أبي حيان، القاهرة، كتاب الطب، باب أن من البيان لسحرا، رقم الحديث: ٥٧٦٧.

^{٦٧٣} مجمع الأمثال، وبهامشه جمهرة الأمثال (٧-٥/١) انظر نظرات فقهية وتربوية في أمثال الحديث (ص: ٣٨٥).

يبلغ الساحر بلطافة حيلته في سحره، وقد تكلم بعضهم عند عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه بكلام حسن، فقال عمر: (هذا سحر الحلال)، فتصرف بعض الشعراء في هذا المعنى فقال:

وحديثها السحر الحلال لو أنه لم يجن قتل المسلم المتحرز

إن طال لم يملل وإن هي أوجزت ود المحدث أنها لم توجز

شرك القلوب وقينة ما مثلها للمطمئن وعقله المستوفز^{٦٧٤}

يقول ابن رشيقي: "قرن النبي ﷺ البيان بالسحر فصاحة منه وجعل من الشعر حكماً، لأن السحر يخيل للإنسان ما لم يكن للطافته وحيلة صاحبه وكذلك البيان يتصور فيه الحق بصورة الباطل والباطل بصورة الحق لرقعة معناه ولطف موقعه^{٦٧٥}.

يدل على نفوذ الشعر والأدب في قلوب الناس وقوة تأثيره وسحره ما قال الأمير الذي صلب أبا طاهر حين سمع الرثاء عنه من أبي الحسن الأنباري يا ليتني مكانه (أي مكان أبي طاهر).

٢٧ - "هدنة على دخن" :

عن سبيع قال: "أرسلوني من ماء إلى الكوفة أشتري الدواب، فأتينا الكناسة، فإذا رجل عليه جمع، قال: فأما صاحبي فانطلق إلى الدواب وأما أنا فأنتيته، فإذا هو حذيفة فسمعتة يقول: كان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه عن الخير وأسأله عن الشر، فقلت: يا رسول الله هل بعد هذا الخير شر، كما كان قبله شر؟ قال: نعم، قلت: فما العصمة منه؟ قال: السيف، أحسب قال: قلت: ثم ماذا؟ قال: ثم تكون هدنة على دخن ثم تكون

^{٦٧٤} نفس المرجع (ص: ٣٨٦)
^{٦٧٥} ابن رشيقي القيرواني، العمدة (٢٧/١) (انظر: التصوير الفني في الحديث النبوي للدكتور محمد بن لطفي الصباغ، ص: ٤٤، المكتبة الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٨م)

دعاة الضلالة^{٦٧٦}. حديث حسن. (أحاديث الفتن والساعة والبعث وما بعده) من كتب الألباني.

المفردات :

الهدنة : الصلح والوداعة.

الدخن : تغيير الطعام إذا أصابه الدخان في حال طبخه فأفسد طعمه.

الشرح الأدبي :

وهذه العبارة لا يعدلها كلام في معناها، فإن فيها لونا من التصوير البياني لو أذيت له اللغة كلها ما وفت به، وذلك أن الصلح إنما يكون موادة ولينا وانصرافا عن الحرب، وكفا عن الأذى، وهذه كلها من عواطف القلوب الرحيمة، فإذا بنى الصلح على مشادة، وكان لعة من العلل، غلب ذلك على القلوب فأفسدها حتى لا يستروح غيره من أفعالها كما يغلب الدخن على الطعام، فلا يجد آكله إلا رائحة هذا الدخان والطعام من بعد ذلك مشوب مفسد^{٦٧٧}.

فهذا هو تصوير معنى الفساد الذي تنطوي عليه القلوب الواغرة، وثم لون آخر في صفة هذا المعنى وهو اللون المظلم الذي تتصبغ به النية (السوداء) وقد أظهرته في تصوير الكلام لفظه (الدخن).

ثم معنى ثالث، وهو النكتة التي من أجلها اختيرت هذه اللفظة بعينها وكانت سر البيان في العبارة كلها، وبها فضلت كل عبارة تكون في هذا المعنى، وذلك أن الصلح لا يكون إلا أن تطفأ الحرب، فهذه حرب قد طفئت نارها بما سوف يكون فيها نار أخرى، كما يلقي الحطب على النار تخبو به قليلا، ثم تستوقد فليستعر فإذا هي نار

^{٦٧٦} الألباني، ناصر الدين، سلسلة الصحيحة ٤، ص: ٣٩٩، رقم الحديث ١٧٩١، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع بالرياض، ١٤١٥هـ،
١٩٩٥م، (طبعة جديدة)
^{٦٧٧} الرفاعي، مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب، دار الكتاب العربي، (ص: ٣٣١)

تأظى؁ وما كان فوقه الدخان فإن النار – ولا جرم – من تحته؁ وهذا كله تصوير لدقائق المعنى كما ترى.

٢٨ - " مات حتف أنفه " :

الحديث الكامل: قال رسول الله ﷺ : من خرج من بيته مجاهدا في سبيل الله عز وجل ثم قال بأصابعه هؤلاء الثلاث الوسطى والسبابة والإبهام فجمعهن وقال وأين المجاهدون فخر عن دابته فمات فقد وقع أجره على الله تعالى أو لدغته دابة فمات فقد وقع أجره على الله أو مات حتف أنفه فقد وقع أجره على الله عز وجل؁ وفي رواية ابن أبي شيبة: "من مات حتف أنفه فقد وقع أجره على الله"٦٧٨.

المفردات :

الحتف : هو الهلاك؁ والموت هلاك.

الأنف : يستعمل مثلا للعزة: (فلان حمى أنفه) أي منع نفسه من السقوط؁ ومثلا للذلة: كما في قول العرب: (رغم أنفه). الأنف عضو التنفس والشم البارز في الوجه؁ فإذا قهر الرجل وتغلب عليه خصمه مسح أنفه في التراب وهو الرغام؁ وذلك منتهى الإذلال؁ ويقال كذلك مثلا للغيط مثل قولهم: (فلان حمى أنفه): اشتد غضبه؁ ومثلا للكبر كما في قولهم: (فلان شمش بأنفه) أي تكبر؁ ومثلا للطمع كقولهم: (فلان يتبع أنفه) أي يشم الروائح ويمشي إليها فيكون كالكلب في شمه الروائح للاستدلال بها على ما يريد؁ ومثلا للضلال كما في قولهم: (فلان أنفه في قفاه).

٦٧٨ مسند أحمد بن حنبل – (رقم ١٦٠٧٠) عبد الله بن عتيك / مصنف ابن أبي شيبة (رقم ١٨٧٦٠) (انظر: أضواء على البلاغة النبوية؁ إبراهيم طه جعلي؁ ص: ١٥٩؁ مكتبة الرشد؁ الرياض؁ ط: ٢٠٠٧م).

الشرح الأدبي :

فأتى رسول الله ﷺ وزاد هذه الأساليب أسلوبا مبتكرا هو قوله: (مات حتف أنفه). يقول على بن أبي طالب رضي الله عنه: ما سمعت كلمة غريبة من العرب إلا وسمعتها من رسول الله ﷺ وسمعته يقول: (مات حتف أنفه) وما سمعتها من عربي قبله.

يريد النبي ﷺ موت المرء على فراشه بدون ضرب وقتال، وكان العرب يكرهون تلك الميتة، لأن من مات على هذه الصورة تكون قد ماتت أنفته وكبريائه فلم يرفع الموت أنفه بل أذلها.

وممن يصدق عليهم يستدل ما يروي عن خالد بن الوليد رضي الله عنه وقت الاحتضار أنه قال: لقد شهدت مائة زحف أو زهاءها، وما في جسدي شبر إلا وفيه ضربة بسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم ومع ذلك فإني أموت على فراشي هكذا كما يموت البعير فلا نامت أعين الجبناء.

(فالموت حتف الأنف) يعني: خروج الروح طواعية بفعل ملك الموت، ويكون خروجها - على حسب اعتقاد العرب - من الأنف، بخلاف (القتل) فهو إجبار الروح على مفارقة الجسم بنقض بنيانه، أي بتغريب ذلك الهيكل عن طريق إصابته في مقتل (كالرأس أو القلب أو الرئتين).

يبين النبي ﷺ في الحديث السابق من خرج في سبيل مجاهدا فيقتل أو خرّ عن دابته أو لدغته دابة أو مات في الطريق بغير قتال فله أجر الشهيد كما يدل على ذلك الآية: "ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله" ٦٧٩.

هذا من جوامع كلمه ﷺ الذي يتعجب البلغاء أمامه.

٢٩ - "اليد العليا خير من اليد السفلى" ٦٨٠:

الحديث الكامل: عن حكيم بن حزام عن النبي ﷺ ، قال: "اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول، خير الصدقة عن ظهر غنى، ومن يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله".

يبين النبي ﷺ هنا اليد المنفق هي العليا واليد السائل هي السفلى أي المتصدق هو العالي منزلة والمتقبل دونه.

الشرح الأدبي :

فكلمة "اليد العليا" للمنفق و"السفلى" للسائل أروع مثال على الجمال الفني للحديث. يوجد شعراء كثيرون يمثلون هذا المعنى، منهم:

١ - محمد شهاب الدين - المتوفى سنة ١٢٧٤ هـ، وهو يقول:

يده اليد العليا التي بنوالها للفقر محو والغنى إثبات

٢ - الشاعر المملوكي أبو الجباب الغرناطي - المتوفى سنة ٧٤٩ هـ، ومن شعره:

أبى الله إلا أن تكون اليد العليا لأندلس ٦٨١ من غير شرط ولا ثنيا

فيه فضل الإنفاق وكراهة السؤال ودنائه، يقول أبو هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: "لأن يغدو أحدكم فيحطب على ظهره، فيتصدق به ويستغني به عن الناس خير له من أن يسأل رجلاً أعطاه أو منعه ذلك، فإن اليد العليا أفضل من اليد السفلى وابدأ بمن تعول" ٦٨٢.

٦٨٠ صحيح البخاري (انظر: فتح الباري، كتاب الزكاة، باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى، رقم الحديث: ١٤٢٧، دار أبي حيان، القاهرة).

٦٨١ أندلس - خفي، ثنيا - ما يستثنى.

٦٨٢ صحيح مسلم (انظر رياض الصالحين / ص: ١٥٣، رقم الحديث ٥٣٩، ٥٤٠)، المكتبة الحضرية، القاهرة، الطبعة الثالثة ٢٠٠٦م، (٥٩ - باب الحث على الأكل من عمل يده).

يكره الإسلام السؤال ويأباه وينفر منه، ويفضل اليد التي تنفق على اليد التي تسأل: "ومن يستغف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله". يقرر رسول الله ﷺ أن العمل شرف مهما تكن نظرة الناس إلى هذا العمل، وأن القيام بأي عمل شاق غير محترم في أعين الناس أفضل من سؤال الناس أعطوه أو منعه، وذكر الاحتطاب فقال: لأن يغدو أحدكم فيحطب على ظهره فيصدق به ويستغني به عن الناس خير له من سؤال الناس، أعطوه أو منعه. عن أبي كبشة الأنماري: قال رسول الله ﷺ: "ثلاثة أقسم عليهن، وأحدثكم حديثا فاحفظوه: ما نقص مال عبد من صدقة ولا ظلم عبد مظلمة صبر عليها إلا زاده الله عزا ولا فتح باب مسألة إلا فتح الله عليه باب الفقر" ^{٦٨٣}.

وفي حديث آخر - رواه مسلم: "من سأل الناس أموالهم تكثرا فإنما يسأل جمرا فليستقبل أو ليستكثر"، "من سأل وعنده ما يغنيه فإنما يستكثر من النار" وقالوا يا رسول الله، وما يغنيه؟ قال: "قدر ما يغذيه ويعشيه" ^{٦٨٤}، "ومن سأل وله ما يغنيه جاءت يوم القيامة خُموش - أو خدوش أو كدوح - في وجهه، فقيل: يا رسول الله وما الغنى؟ قال: "خمسون درهما أو قيمتها من الذهب" ^{٦٨٥}.

وفي الأحاديث الأربعة صورتان، وهما تقرران عقوبة السائل يوم القيامة..، أن سؤال الناس للتكثر يجلب له العذاب الشديد والفضيحة المخزية، وذلك إن لم تكن حاجة ملجئة للسؤال بأن كان عنده ما يغنيه.

^{٦٨٣} رواه الترمذي، وقال حديث حسن صحيح وانظر رياض الصالحين، باب ٦٠، الكرم والجود والإنفاق في وجوه الخير...، رقم الحديث: ٥٥٧، ص: ١٥٥، المكتبة الحضرية، القاهرة.

^{٦٨٤} أبو داود ١٥٧/٢.

^{٦٨٥} أبو داود ١٥٦/٢ (انظر، التصوير الفني في الحديث النبوي، ص: ٣٤٧).

٣٠ - "من لا يرحم لا يُرحم" ٦٨٦ :

الحديث الكامل: رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَبِلَ رسول الله ﷺ الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسا، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا، فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: من لا يرحم لا يُرحم.

الشرح الأدبي :

هذا الحديث من جوامع كلمه ﷺ، يبين النبي ﷺ هنا التقبيل من رحمة الوالد على ولده أو هذه من علامة الرحمة، ومن نزعت الرحمة من القلب ولا يرحم أحدا من الناس لا يرحمه الله تعالى ولا يرحمه الناس أيضا، كما قال النبي ﷺ : "ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء"، وكذلك قال ﷺ : "كما تعاملٍ تعامل". إنما يستحق الإنسان لرحمة رب العالمين ورحمة العالمين حينما يكون رحيفا غيره.

وجاء في الازدهار ٦٨٧ :

قال الحافظ أبو القاسم بن عساكر:

بادر إلى الخير يا ذا اللب مغتتما ولا تكن من قليل العرف محتثما
واشكر لمولاك ما أولاك من نعم فالشكر يستوجب الإفضال والكرما
وارحم بقلبك خلق الله وارعمهم وإنما يرحم الخالق من رحما

وقال الحافظ زين الدين العراقي:

إن كنت لا ترحم المسكين إن عدما ولا الفقير إذا يشكو لك العدما
فكيف ترحو من الرحمن رحمته وإنما يرحم الرحمن من رحما

٦٨٦ كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانفته ٥٩٩٧، فتح الباري، دار أبي حيان، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م
٦٨٧ راجع الازدهار في ما عقده الشعراء من الأحاديث للسيوطي (٨٣ / ١٢٢)

٣١ - "من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه"^{٦٨٨} :

إن هذا الحديث نموذج رائع من جوامع كلمه ﷺ . ومن مزايا البيانية النبوية الكبرى أنها تؤدي المعنى الكثير في اللفظ القليل مع أحكام الأسلوب، ومن غير إخلال بالمعنى، ومن دون عناء وتكلف، وهذا الحديث من أروع النماذج في هذا الباب.

إن هذا الحديث يوصي الإنسان المسلم بترك ما لا يعنيه من الأشتغال والأعمال، والعناية بما ينبغي العناية به من المهمات.

ثم إن هذه الأشتغال التي جعل الرسول ﷺ تركها من حسن الإسلام، إنما هي كثيرة لا تعد ولا تحصى، وتختلف بالنسبة للإنسان، فهذا العمل يعد مما لا يعنى هذا الرجل على حين يعد بالنسبة للآخر مما يعنيه.

وقد أثر الحديث ذكر "الإسلام" على "الإيمان" لأن الإسلام هو الذي يظهر، إذ هو الأعمال الظاهرة التي يتأتى فيها الترك والفعل اختياراً، وهذا يدل على دقة الرسول ﷺ في اختيار الكلمات المعبرة عن المعنى أصدق تعبير.

الشرح الأدبي :

وقال الأئمة بحق: إن هذا الحديث مجمع الآداب، وينبوع الحكم، وإنه لم يدع فضيلة إلا رغب فيها، ولا نقيصة إلا نفر منها.

واستعمل هذا المثل عبد الحميد الرافعي (١٢٧٥-١٣٥٠هـ) هو الشاعر الحديث المعروف باسم 'بلبل سوريا':

قل للعذول الذي ما زال مرتقباً إفساد ما بيننا خابت أمانيه

إن كان حبي بطول الهجر عاملني أو رام قتلي فإن الروح تفديه

^{٦٨٨} رواه الترمذي، حديث حسن / وابن ماجه (انظر: جامع العلوم والحكم، الحديث الثاني عشر، ابن رجب الحنبلي، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١م) ص: ٢٨٧

ما بين حبي وبينى مدخل لفتى

يهوي الخداع فاقصر عن تعاطيه

فإن من حسن إسلام الفتى أبدا

يا عاذلي تركه ما ليس يعنيه

٣٢ - "تبسمك في وجه أخيك صدقة" :

يقول النبي ﷺ حينما تجد صديقك وتقابله على وجه طلق وابتسامة وسرور تعتبر ذلك صدقة منك.

الشرح الأدبي :

يقول الأستاذ محمد قطب في كتابه "قبسات من الرسول" وهو يشرح الحديث: هذا الحديث العجيب لا يملك الإنسان أن يمر به دون أن يقف عنده لحظات يتدبر بعض معانيه، وإن له لائحات شتى، يدق بعضها ويلطف، حتى يصل إلى أعماق النفس، إلى قرار الوجدان، فيهزه هزا، ويوقع على أوطار القلب لحنا صافيا مشرقا جميلا يأخذ بالألباب.

الصدقة في مفهومها التقليدي نقود وأشياء محسوسة يساعد بها الغنى الفقير ويمنحها القوي للضعيف، ولكن الحديث النبوي يخرج بالصدقة من معناها التقليدي الضيق، من معناها الحسي إلى معناها النفسي، وهنا تتفتح على رحيب ليس له حدود، كل خير صدقة وعلى كل امرئ صدقة.

الرسول الكريم يلفتنا في حديثه إليها، يلفتنا إلى هذه الحقيقة النفسية الواحدة التي تمكن وراء كل عمل من أعمال الخير، لنعرف أنه الخير في منبعه وإن تعددت صورة مزاياه!

وتبدو حكمة رسول الله ﷺ في توسيع مدى الخير، وتعدد صورته وأشكاله وتبسيطها كذلك حتى تصيح في متناول كل إنسان.

فلو كانت "الصدقة" أو الخير مقصورا على المحسوسات والأموال فسيعجز عنها كثير من الأفراد البشرية، وتبقى ينابيع ثرية في باطن النفوس لا يستثمرها أحد، ولا يستنبط من معينها الغزير.

ولننظر - الآن - في مفردات الحديث الشريف التي لا تتجاوز الكلمات "تبسمك في وجه أخيك صدقة" الخفيفة على اللسان الثقيلة في الميزان، ميزان اللغة والبلاغة والتأثير، ولنتدبر المعاني الغزيرة التي يشتمل عليها الحديث الشريف مما أشار إلى بعضها الأستاذ محمد قطب فيما نقلنا عنه مقتطفات من كتابه المذكور^{٦٨٩}، حقا إنه تفسير واقعي حي لقوله ﷺ: "وأعطيت جوامع الكلم".

يشبه النبي صلى الابتسامة التي تكون من المؤمن بالصدقة وكلاهما يكونان من سعة الصدر وانسراح القلب.

٣٣ - "بعثت في نفس الساعة"^{٦٩٠}:

يبين النبي ﷺ في هذا الحديث عن دنوِّ أجل الساعة أي يوم القيامة وهي قريبة جدا، وبعثته تدل على قرابة الساعة.

الشرح الأدبي :

فقول رسول الله ﷺ (نفس الساعة) من العبارة العجيبة التي لا يقوم غيرها مقامها، لأن المراد بذلك أنه بعث والساعة قريبة منه، ولكن قربها منه لا يدل على ما دل عليه النفس، وذلك أن النفس يدل على أن الساعة منه بحيث يحس بها كما يحس

^{٦٨٩} محمد قطب، قيسات الرسول: ص: ١١٥ وما بعدها، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٦٢م.
^{٦٩٠} مشكاة المصابيح، باب العلامات بين يدي الساعة وذكر النجاة (١٩٨/٣)، مكتبة الشاملة، رقم الحديث: ٥٥١٣

الإنسان بنفس من هو إلى جانبه وقد قال ﷺ في موضع آخر "بعثت أنا والساعة كهاتين". وجمع النبي ﷺ بين إصبعيه السبابة والوسطى. ولو قال: "بعثت على قرب من الساعة" أو "والساعة قريبة مني" لما دل ذلك على ما دل عليه نفس الساعة، وهذا لا يحتاج إلى الإطالة في بنايه لأنه بين واضح.

وقال الرافعي في هذا الصدد: "يريد أنه بعث والساعة قريبة منه، فوصف ذلك باللفظة التي تدل على أدق معاني الحس بالشيء القريب وهي لفظة " النفس " كما يحس المرأ بأنفاس من يكون بإزائه، ولا يكون ذلك إلا على شدة القرب، وإنما أفرد اللفظة ولم يقل: (بعث في أنفاس الساعة) لأنها نفخة واحدة وهذا معنى آخر، فإن النفخة الشديدة متى جاءت من بعيد، كانت كالنفس من الأنفاس وليس المراد من قرب الساعة أنها قدر اليوم أو غد على التعيين، ولكن المراد أنها آتية لا ريب فيها، وأن ما بقي من عمر الأرض ليس شيئاً فيما مضى، وأن لا نظام لإنسان الدنيا إلا بأن يتمثل في نفسه إنسان الآخرة، فالساعة من القرب كأنها من كل إنسان في آخر أنفاسه، وهذا كله قد أصبح اليوم من الحقائق التي لا حرية فيها.

وفي تلك اللفظة معنى ثالث كأنه يقول: أن عمر الأرض كان طويلاً فكانت الساعة بعيدة ثم قصر هذا العمر فبدأت الساعة تتنفس وما يدرينا أنه قد حان أجل الأرض كما يحين أجل النهار عندما تبدأ الدقيقة الأولى من ساعة الغروب، ثم لا ينقضي هذا الأجل إلا في الدقيقة الأخيرة من هذه الساعة.

وبقي معنى رابع من لفظة " النفس " أيضاً، وذلك أنه يقال على المجاز: فلان في نفس من ضيقه، إذا كان في سعة ومدوحة وقد عرف الضيق ما هو بعد أن شد عليه وكنم أنفاسه، فيكون التأويل على ذلك، أن الساعة آتية وأنها قريبة وأنها تكاد تكون، ولكن البعثة في نفس منها، فليعمل الناس لآخرتهم، فإنه يوشك أن لا يعملوا ليعمروا أنفسهم قبل أن يعمروا أرضهم، فإن الساعة تطوي هذه وتنشر تلك^{٦٩١}.

^{٦٩١} الرافعي، تاريخ آداب العرب، ٢/٣٢٩، ٣٣٠ دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٤هـ، ١٩٧٤م.

٣٤ - "اتق المحارم تكن أعبد الناس" :

الحديث الكامل: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "من يأخذ عني هذه الكلمات فيعمل بهن؟ قال أبو هريرة: فقلت أنا يا رسول الله، فأخذ بيدي فعد خمسا فقال:

- اتق المحارم تكن أعبد الناس
- وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس
- وأحسن إلى جارك تكن مؤمنا
- وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما
- ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب^{٦٩٢}.

المفردات :

المحارم : قال صاحب القاموس، المحارم جمع محرم (محرمة) وهي ما حرم الله فعله وعمله على العباد.

أعبد الناس : أكثرهم عبادة وأعظمهم خشية لله.

تميت القلب : أي تذهب نوره وبهائه، وتفقد الإنسان شعوره وإحساسه، فلا يراعى لنصح، ولا يفيق من غي.

الشرح الأدبي :

هذا الحديث من جوامع الكلم وروائع الحكم، تضمن شعبا كثيرة من الطرق الموصلة إلى السعادة الدنيوية والأخروية.

^{٦٩٢} رواه الترمذي، باب الصحة والفراغ ٥٥١/٤، أحمد ٣١٠/٢، وسلسلة الصحيحة، الألباني: ٦٣٧/٢.

وجملة (اتق المحارم) جملة إنشائية (إنشاء طلبي) والغرض من هذه الجملة (الإرشاد) فقد خرج الأمر عن صيغته الأصلية وهي الوجوب والالتزام إلى النصح والإرشاد، ومثلها الجمل الأخرى (ارض بما قسم الله لك) و(أحب للناس) و(أحسن إلى جارك).

أما جملة (وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس) يرى فيها المعاني الغزيرة، والنصائح الثمينة على وجازة لفظها، ذلك فإن الإيجاز ضرب من ضروب البلاغة العليا لأن فيها وضع المعاني الكثيرة في ألفاظ قليلة.

وأما القول (تميت القلب) استعارة تصريحية أصلية حيث شبه الظلمة التي تحل بقلب الإنسان المكثر للضحك بالموت، واشتق من لفظ (الموت) تميت^{٦٩٣}.

قد اشتمل الحديث على خمسة أوامر وثمارها، وما من ثمرة منها إلا وهي مطمح الأنظار ومتجه الأفكار. وهذه الوصايا الخمسة من رسولنا ﷺ :

الوصية الأولى : (اتق المحارم تكن أعبد الناس) :

اعتبر النبي ﷺ متقي المحارم في الحديث أعبد الناس، لأنه استجاب لله ورسوله، فآثر أن يرضيهما في كل ما يأتي ويدع من الأفعال والأقوال والنيات، ولم يخالف أمرا أو نهيا طلب إليه اتباعه.

فكلمة (اتق المحارم) في الحقيقة تشتمل على الأمر بأداء الواجبات واجتناب المنهيات، ومن قام بكليهما امتثالاً لأمر به فقد أفلح ولو لم يأت معها بالتطوع.

والتقوى في الشرع: جعل النفس في وقاية من عذاب الله تعالى وغضبه، باتباع أوامره، ولزوم طاعته وتجنب معصيته.

^{٦٩٣} من روائع الأدب النبوي (ص: ١٩٤)

والأصل في التقوى أن يجعل الإنسان بينه وبين من يخشاه من ربه وقاية تقيه، وذلك بفعل الطاعات واجتناب المحرمات^{٦٩٤}.

وقوله ﷺ (تكن أعبد الناس) لا يمنع التفاوت بين العباد، ويدل هذا الحديث أن الصبر على المنهيات أشق وأصعب على النفس منه في الإتيان بالقرب – النافلة.

الوصية الثانية: (وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس) :

في هذا الحديث بيان لحقيقة (الغنى والفقر) فليس الغنى بكثرة المال، ولا بملك العقار، ولا بادخار الثروات، ولكنه في غنى النفس، كما قال ﷺ (ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس).

إن الغنى إحسان ينبع من داخل النفس، ولا يفد من خارجها، فإن كل إنسان يستطيع بالقناعة أن يكتفي بما لديه، وأن يصنع بنفسه سعادة نفسه، وإنها لوصية غالية تجمع في كلماتها القصار فلسفة السعادة كلها، وفلسفة الرضا جميعها تلك التي تستطيع بها الإنسان أن يستغني عن المال إذا هو لم يجده، فقد يكدح ويكدّ وراء المال فلا يدرك منه شيئاً، أما الرضا فهو أمر يستطيعه لأنه لن يعز إذا هو أراده وأجمع عليه أمره.

فالرضا بالرزق المقسوم راحة للنفس، وطمأنينة للقلب، بل هو السعادة نفسها، ولقد أحسن من قال:

ولست أرى السعادة جمع مال ولكن التقي هو السعيد

إن فلسفة القناعة تقوم على خمسة أمور، الرضا بالكفاف، والإجمال في الطلب، والاطمئنان إلى القدر، والتوكل على الله، والزهد في الدنيا^{٦٩٥}.

^{٦٩٤} كامل سلامة نفس، من روائع الأدب النبوي (ص: ١٨٤) دار الشروق، جدة ١٩٧٥م
^{٦٩٥} نفس المرجع، ص: ١٨٦.

هذه هي القناعة، وهي الغنى الحقيقي الذي عناه الرسول ﷺ بقوله: (ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس)، أي أن الغنى غنى النفس وشبعها، وقلة حرصها، لا كثرة المال مع الحرص على الزيادة، لأن من كان طالبا للزيادة لم يستغن بما معه، فليس له غنى، ولذلك قال ﷺ: (القناعة كنز لا يفقد) إذ الإنفاق منها لا ينقطع، لأن صاحبها قد حصر رغباته فيما تحت يده، وكلما تعذر عليه شيء من أمور الدنيا قنع بما دونه ورضي، وهذه هي السعادة التامة!!

بين الرسول ﷺ سبيل القناعة فقال: "انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فهو أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليكم" ^{٦٩٦}.

الوصية الثالثة: (أحسن إلى جارك تكن مؤمنا) :

فهي دعوة من الرسول إلى البر والإحسان إلى الجار، واشترط لتمام الإيمان بالله حسن الجوار، وقال في بيان حقه، (أتدرون ما حق الجار؟ إذا استعان بك أعنته، وإن استنصرك نصرته، وإن استقرضك أقرضته، وإن مرض عدته، وإن مات تبعته جنازته، وإن أصابه خير هنأته، وإن أصابته مصيبة عزيتته، ولا تستطل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح إلا بإذنه، ولا تؤذنه، وإن اشتريت فاكهة فأهد له، وأن لم تفعل فأدخلها سرا ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده، ولا تؤذنه بقتار ^{٦٩٧} قدرك إلا أن تغرف له منه.

ولقد بين الرسول ﷺ أن من لا يؤمن جاره بوائقه غير مؤمن، وأكد ذلك بالحلف والتكرار ثلاث مرات (والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، قيل: من يا رسول الله؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه ^{٦٩٨})، وقد جعل الرسول ﷺ الإحسان إلى الجار من مقتضيات الإيمان بالله واليوم الآخر، وفي القرآن آيات كثيرة تحث على الإحسان إليه ومن ذلك قوله تعالى: (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا، وبالوالدين

^{٦٩٦} متفق عليه.

^{٦٩٧} دخان ذو رائحة خاصة ينبعث من الطبخ أو الشواء.

^{٦٩٨} رواه البخاري ومسلم وأحمد.

إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب
والصاحب بالجنب^{٦٩٩}).

وإن الإحسان إلى الجار لأبلغ من الإحسان إلى غيره، لأنه يطفى جمرة المنافسة،
ويعطف المتقاربين في الأماكن، حتى يكون بينهم اقتراب في القلوب، ما أصدق ما
قال الشاعر:

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم فطالما استعبد الإنسان إحسان

فقد روي أن الجيران ثلاثة: جار له ثلاثة حقوق - وهو الجار المسلم ذو الرحم، وجار
له حقان - وهو الجار المسلم، وجار له حق واحد - وهو الجار المشترك.

ولا يقتصر حق الجار على كف الأذى عنه، بل احتمال أذاه ما أمكن، وإسداء الخير
والمعروف إليه، وغيض البصر عن عوراته، وإلا يتجسس على أحواله ولا يزعجه
في أمر من الأمور

وحسبك في تحديد هذا ما رواه أحمد والطبراني عن عبد الله بن مسعود رضي الله
عنه قال: (سأل رجل النبي ﷺ: كيف لي أن أعلم إذا أحسنت أو أسأت؟ قال: إذا
سمعت جيرانك يقولون أحسنت فقد أحسنت، وإذا سمعتهم يقولون قد أسأت فقد
أسأت^{٧٠٠}).

الوصية الرابعة: (أحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلماً) :

وفيهما تظهر مثالية الإسلام في حبه الخير للجميع، فليس الدين إلا رحمة وعطفاً،
وليست الأخلاق إلا إنسانية ونبلا.

^{٦٩٩} سورة النساء - ٣٦
^{٧٠٠} من روائع الأدب العربي (ص: ١٩٣)

ومعنى محبته للناس ما يحب لنفسه - أن يحب لهم إحراز الخير في الدنيا والدين كما يحبه لنفسه ذلك، وهذه المحبة تشمل كل الناس حتى الكافر، لأن عبارة (أحب للناس) تعم المسلمين وغيرهم، فيجب على المسلم أن يدعوه إلى الإسلام، ويهديه إلى الله ويحب له أن يهتدى كما اهتدى، وأن يسعد كما سعد، وهذه الدعوة إلى الإسلام والهداية هما خير ما أحب المسلم لنفسه وحرص عليه.

الوصية الخامسة: (ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب) :

معنى قوله (تميت القلب): أي تفقد الإنسان شعوره وإحساسه، فلا يستفيق لنصح ولا يرتدع عن غي، والمراد بعدم الإكثار من الضحك عدم كثرة مرّاته بحيث يصبح عادة لدينا له، وعدم الإغراق فيه بحيث يخرج عن حد الوقار، فالجهال والسفهاء هم أكثر الناس ضحكا حتى ليضحكهم أحيانا ما يجب أن يبكوا منه، ولقد أحسن من قال:

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة وحق لأرباب البرية أن يبكوا

إن كثرة الضحك مميتة للقلب لأنها تذهب عنه خشوعه، وتدبره، وإحساسه بالمسئولية، مع أن لب العبادة في الخشوع الكامل، والابتهاال الدائم إلى الله. وهؤلاء المكثرون من الضحك والذين اتخذوه مهنة وهدفا في الحياة محرومون من وقار الخشوع ولذة الابتهاال إلى الله، لا يعرفون الله حقا، في إخلاص العبادة، لأن كثرة الضحك قد أمانت قلوبهم، وحجبت عنهم نور المعرفة، وحالت بين لذة الذكر وشهوة الضحك.

٣٥ - "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه"^{٧٠١}:

المفردات :

سلم : أي نجا

هجر : ترك أو اجتنب

الشرح الأدبي :

إن هذا الحديث الشريف روعة من روائع البيان، ناطقة بسحر كلام النبي ﷺ ومثال رائع من أقواله القليلة الألفاظ الغزيرة المعاني والمدلولات.

في هذا الحديث قصر لصفة كمال الإسلام على من تحقق فيه هذه الصفة وهي (سلامة المسلمين من لسانه ويده)، والقصر وقع هنا بتعريف طرفي الإسناد (المسند والمسند إليه) فأفاد حصر الثاني في الأول، لتعريف الأول تعريف جنس، وهذا القصر إنما هو قصر إضافي لأنه لا يخرج من الإسلام من وقع منه شيء على المسلمين من لسانه أو يده مما لا يخرج إلى الكفر، فعلم أن قصر الثاني على الأول إنما أريد به كمال الصفة، أي أن المسلم الذي أمسك يده ولسانه عن المسلمين هو المسلم الكامل الإسلام.

ونظيره في تنمة الحديث "والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه" إذا القصر إضافي بأن من يستحق اسم المهاجر هو من هجر ما نهى الله عنه، والمنهي عنه هنا عام يدخل فيه كل صغيرة وكبيرة بدليل إبهام المفعول (ما)، فلو لم يكن المقصود أن كمال الصفة فيمن كمل فيه هجر المناهي للزم من ذلك انتقاء صفة المهاجر عن الواقع في قليل المعصية من المهاجرين.

^{٧٠١} رواه البخاري.

هذه الطريقة من القصر يكثر استعمالها لبيان كمال الصفة فيمن أريد قصرها عليه، ومنها قولهم: الرجل عمرو بمعنى من اتصف بكمال الرجولة فهو عمرو، ولا يلزم من هذا كون سوى عمرو ليس رجلاً.

٣٦ - "كلكم راع ومسئول عن رعيته" :

الحديث الكامل: عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: "كلكم راع ومسئول عن رعيته، فالإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل في أهله راع وهو مسئول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية وهي مسئولة عن رعيته، والخادم في مال سيده راع وهو مسئول عن رعيته"^{٧٠٢}.

المفردات :

راع : كل من ولي أمرا بالحفظ والسياسة كالملك والأمير، والحاكم والجاسوس، والراعي الغنم والبستان وغيرها.

هذا بيان على أن عاتق كل إنسان واجبات كما لهم حقوق ويسأل الله عن واجباته يوم القيامة هل أدى أم لم يؤدي.

الشرح الأدبي : هذا الكلام من جوامع كلمه التي تشتمل معنى واسعا قليل اللفظ موجزا، في هذا الأدب النبوي يرفع الله منزلة المرأة ويعلي شأنها فيجعلها راعية في بيت زوجها أمينة لماله وحافضة للغيب بما حفظ الله مربية للأولاد.

حدد الإسلام مسئولية كل فرد منا تجاه من هو مسئول فهم ابتداء من الحاكم وانتهاء بالخادم، كلنا مسئولون أمام الله عن من تولينا مسئوليتهم، ولا ينفعنا فلان ... ولا فلان ... كمبرر لأي تقصير، فانه لن يقبل منا تلك الأعذار والحجج الواهية، فنحن

^{٧٠٢} صحيح البخاري (انظر: العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري، كتاب العتق، باب العبد راع في مال سيده (٦٩١/٦)، رقم الحديث ٢٥٥٨، دار أبي حيان، مدينة نصر، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩٦م)

مسئولون عن تصرفاتنا وسلوكياتنا واختيار بطانتنا المحيطة بنا، والهيئة الاستشارية لنا، فالزوج الذي يعمل بنصائح زملائه وأصدقائه، وأقاربه في التعامل مع زوجته وأولاده بعنف وقسوة والاستيلاء على أموال الزوجة ورواتب بناته، أو هجر الزوجة، وعدم الإنفاق عليها هي وأولادها منها... سيسأل أمام الله يوم القيامة عن كل ذلك.

وكذلك الزوجة التي تقصر في حق زوجها وأولادها سيحاسب أمام الله يوم القيامة وكذلك الأولاد الذين يقصرون في حقوق والديهم ويختلسون أموالهم بغير حق والخادمون أو السواق والخادمتات ولن تقبل مبرراتهم وحججهم يوم القيامة، وكذلك المسئولون والمدراء ورؤساء المؤسسات والشركات عمن تحتهم وعمما تحتهم ماذا فعلوا فيها.

وفي الجملة أيا كانت مواقفنا وكننا راع ومسئول عن رعبتنا ولينذكر جميعنا قول ربنا سبحانه : "وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاب يلقيه منشورا، اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا".

٣٧ - "الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة" :

الحديث الكامل: عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: "الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة"^{٧٠٣}.

^{٧٠٣} مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم (شرح مسلم، النووي)، كتاب الرضاع، باب خير متاع الدنيا المرأة الصالحة، رقم الحديث ١٤٦٧، دار أبي حيان، ١٩٩٥، سنن ابن ماجه، ١٨٤٥، كتاب النكاح، باب أفضل النساء، السنن الكبرى للنسائي كتاب النكاح، باب المرأة

المفردات :

المتاع : كل ما ينتفع به أو يرغب في اقتنائه، التمتع.

الشرح العام :

ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيرا له من زوجة صالحة، إن أمرها أطاعته وإن نظر إليها سرته وإن أقسم عليها أبرته وإن غاب عنها نصحته في نفسها وماله وهي التي لا تبغيه حوبا في نفسها وماله، بل تعين زوجها على أمر الآخرة.

زوجة تسر زوجها عند النظر إليها فلا يرى منها إلا كل ما ينشرح له صدره ويسر نفسه، وتقابله بالابتسامة الجميلة والنظرات التي يشيع منها الحب والعطف والحنان، جميلة المنظر حسنة الثياب، طيبة الرائحة، فحينما يراها على ذلك، قرت عينه وشعر كأن بين يديه هدية ثمينة منحه الله إياها ويحرص على المحافظة عليها بكل ما يملك حتى لا تضيع من بين يديه فلا ينظر إلى ما حرم الله ولا يسعى للفرار من البيت بحثا عن الراحة والهدوء والسعادة، لأن زوجته هيأت له الجو الذي يريد أن يعيش فيه بعد عنائه طوال النهار من أجل تحصيل لقمة العيش، وبهذا تكون أرضت ربها وأسعدت زوجها ونالت حب وتقدير زوجها.

زوجة تتودد إلى زوجها وتحرص على رضاه، تفعل كل ما ترى أنه يحبه، وتعرض مما يغضبه، ويرى منها كل ما يحب ويستشعر منها كل ما يفرح ويسمع منها كل ما يرضى.

الصالحة (٥١٦٢)، ابن حبان، صحيح ابن حبان - كتاب النكاح باب ذكر البيان بأن المرأة الصالحة.. (٤١٢١) السنن الكبرى للبيهقي، كتاب الوصايا جماع أبواب الترغيب في النكاح وغير..، باب الرغبة في النكاح، رقم الحديث ١٢٤٧١.
ابن ماجه: أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه.
النسائي: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي.
البيهقي: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي.
ابن حبان: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان.

فالزوجة اللطيفة الودودة الولودة النظيفة ذات البسمة الرقيقة والحديث الطيب والحب الصادق المخلص والأخلاق الإسلامية العالية واليد الرحيمة هي خير متاع الدنيا من غير شك.

الشرح الأدبي :

الأدب النبوي حول المرأة يدل على الأدب السامي النزيه الذي لا يحط من قدر المرأة ومكانتها، بل إنما هو أعطاها حقها من المكانة والشرف الإنساني بشكل لا نظير له في التاريخ البشري، مع الرعاية بجانب "نواحيها الخاصة بها" ولكي لا يغرينا بالآداب الإنسانية الأخرى التي تعتبر "المرأة" آلة لهو ومتعة، فقد: كانت للمرأة في الفنون منذ القديم منزلة عليا، إذ كانت الفنون تدور حول جمال هذا الكون وكانت المرأة مجلى الجمال الأعظم ورمزه الأقرب إلى النفوس.

إن المرأة - ذلك الجنس اللطيف الحساس الذي لا تكتمل الإنسانية إلا به - تغطي جزءا عظيما وشطرا خطيرا من الآداب والفنون، ومنذ قديم تعتبر محورا مهما يدور حوله الفكر الإنساني والأدب البشري في أعظم صورته وأعلى معانيه وأدق أفكاره، وهي القطب الذي يدور حوله رحي أفكار الأدباء وروائع الشعراء وقوى النوابع الفكرية وطاقتهم المعنوية في ذكر ما خصها الله به من خصائص لطيفة وما أودع فيها من صلاحيات فطرية ساحرة، من الاستجذاب والاستفتان والحسن والجمال.

يرى الأدب النبوي أن المرأة ليست آلة التمتع أو إشباع الغرائز البهيمية، بل يجعلها أفضل متاع الدنيا وأحسنها خيرا وبركة إذا كانت هي متحلية بالصلاح والعفاف والتقوى فقال ﷺ: "الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة". يشبه النبي ﷺ هنا المرأة بالمتاع الذي يتمتع به الإنسان وينتفع به لأن الأمتعة خلقت لخير الإنسان وليتمتع بها كذلك المرأة، ولكن المرأة تضر الإنسان أكثر ما تنتفعه إذا لم تكن صالحة خلقا وخلقا، وإذا كانت صالحة تكون أنفع وأذ من جميع الأمتعة الدنيوية.

٣٨ - "الله أرحم بعباده من هذه بولدها" :

الحديث الكامل: قدّم على رسول الله ﷺ بسبي فإذا امرأة من السبي كانت فقدت صبيها وتضررت باجتماع اللبن في ثديها فكانت تحلب ثديها تسقي، وإذا وجدت صبياً في السبي أخذته وأرضعته ليخف عنها فلما وجدت صبيها بعينه أخذته فالتزمته فألصقته ببطنها وأرضعته، فقال لنا النبي ﷺ أترون هذه طارحة ولدها في النار؟ فقلنا: لا، وهي تقدر على أن لا تطرحه، فقال: الله أرحم بعباده من هذه بولدها^{٧٠٤}.

المفردات :

سَبَى : من سبى- يسبى - سَبَى أي أسر، والمراد هنا حبس وأسر.

الشرح الأدبي :

يرى الناس وسط السبايا أمّا أسيرة فقدت ولدها الرضيع، وقد امتلأت صدرها باللبن ولا بد أن يفرغ بالرضاعة وإلا تألمت الأم بسبب احتقان اللبن في ثديها، فها هي كالمجنونة إذا رأت صبياً أخذته فأرضعته، وبينما هي على تلك الحال إذا هي بالمفاجأة السارة التي تكاد تذهب بالبقية الباقية من عقلها من شدة وقع الفرحة، إذا هي بها تجد ولدها الذي افتقرته فتندفع إليه كالسهم مدفوعة بعاطفة الأمومة فتأخذه وتلتزمه وتلصقه ببطنها وترضعه في حنان لا نظير له ويعجز البيان عن وصفه.

يرى الناس ذلك المشهد المثير للعواطف، ويرون صورة واقعية تهز النفس البشرية من أعماقه هذا عنيفاً، لأنه لا يكاد يوجد شيء يعدل حنان الأم وحبها وحرصها على ولدها.

المعلم الراشد والمربي الحكيم هو الذي ينتهز الفرصة في الوقت المناسب حيث تكون النفوس مهياً للاستقبال، وها هو ذا رسول الله ﷺ يرى ذلك المنظر لهذه الأم ويدرك

^{٧٠٤} صحيح البخاري محمد بن إسماعيل، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله (٥٥٤٠).

إلى أي مدى كان التأثير في نفوس صحابته، فيستغله في ترسيخ عقيدة دينية تتعلق بذات الله تعالى، وهي: رحمته بعباده وكيف أنها أقوى بكثير من رحمة هذه الأم بولدها.

بلغ النبي ﷺ الغاية في تهيئة الأذهان حينما لم يلق بما يريد تقريراً مباشراً ولكنه زاد من إصغاء صحابته بما ضمه للصورة المرئية من حوار وسؤال: أترون هذه طارحة ولدها في النار؟ فقالوا: لا وهي تقدر على أن لا تطرحه، ثم يتدخل رسول الله ﷺ ويلقى بالفكرة وقد صادفت عقولا واعية وأذانا صاغية وقلوبا حافظة فتستقر في النفوس أيما استقرار.

فالبلاغة التي نجد في هذا الكلام "الله أرحم بعباده من هذه بولدها" مطابقته لمقتضى الحال بكلماته الموجزة الملائمة، ومقارنة بين رحمة الله ورحمة خلقه.

٣٩ - "إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته" :

الحديث الكامل: عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: خسفت الشمس في حياة رسول الله ﷺ، فخرج رسول الله ﷺ إلى المسجد، فقام وكبر وصف الناس وراءه.....، حتى استكمل أربع ركعات وأربع سجعات، وانجلت الشمس قبل أن ينصرف، ثم قام فخطب الناس، فأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: "إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتوها فافزعوا للصلاة - رواه

قال بعض أصحاب رسول الله ﷺ حينما خسفت الشمس في حياته عقب وفاة إبراهيم ابنه إنما خسفت الشمس لوفاة ابنه ﷺ فقام بهم إلى الصلاة وخطبهم هذه الكلمات الموجزات.

٧٠٠ صحيح مسلم، شرح النبوي، كتاب الكسوف، باب صلاة الكسوف (٤٦٨/٣)، رقم (٩٠١)، دار أبي حيان، القاهرة، ط: ١، ١٩٩٥.

الشرح الأدبي :

هذا أدب الدفاع عن الحق في شكل لا نظير له. هل يستطيع تاريخ الإنسانية كلها - على امتداده الغارق في القدم - أن يقدم رجلا واحدا دافع عن الحق، وضرب على الخرافات والأوهام، واقتلعها من أساسها، قال كلمة الحق في مثل هذا الوقت الدقيق الذي تزل فيه أقدام الرجال الذين قالوا كلمة الحق طول حياتهم، وفي مثل هذه المناسبة العاطفية التي تغري الإنسان بما لا ينبغي، وتحمله على التغاضي عما يجري حوله - مثله ﷺ .

وهل يستطيع ذو إطلاع واسع كبير ودراسة عميقة بتاريخ الآداب والخطب - على غناها واختلاف لغاتها - أن يقدم ولو خطبة واحدة كهذه الخطبة في بلاغتها وإعجازها وإيجازها، واتساع معناها وعمقها.

وهل يستطيع بلاغي أو أديب من الأدباء أو أمير من أمراء البيان أن يأتي بأقل من هذه الخطبة، ثم أنه أعطاها حقها من البلاغة والبيان، وأدى هذه المعاني الكثيرة في كلمات تساوي - في العدد - كلمات الرسول ﷺ ، وهل يستطيع أن يزيد كلمات الرسول ﷺ ، وهل يستطيع أن يزيد كلمات على كلمات الخطبة، ثم يزعم بأنه زاد المعنى أيما زيادة؟ كلا، إنها بلاغة ليست فوقها بلاغة على وجه الأرض، وقمة من البيان لا يستطيع أي شخص من البشر أن يتصور الوصول إلى أي مستوى منها.

إنه إيجاز قصر من جوامع كلمه ﷺ الذي تدوم روعته إلى اليوم الآخر.

٤٠ - "الصيام جنة" ٧٠٦:

الحديث الكامل: حدثني مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: "الصيام جنة، فإذا كان أحدكم صائماً، فلا يرفث، ولا يجهل، فإن امرؤ قاتله أو شاتمه، فليقل: إني صائم، إني صائم"، رواه مالك في الموطأ.

المفردات :

الجنة : السترة والوقاية، وما يستتر به من سلاح، ومنه المجنّ وهو الترس. قال النووي: معناه سترة ومانع من الرفث والآثام.

يرفث : الرفث، المراد به هنا الفاحش من القول وهو يطلق على هذا وعلى الجماع وعلى مقدماته وعلى ذكره مع النساء أو مطلقاً ٧٠٧.

ولا يجهل : أي لا يفعل شيئاً من أفعال أهل الجهل كالصياح والسفه ونحو ذلك.

الشرح الأدبي : يشبه رسول الله ﷺ الصيام الذي يكف صاحبه عن الهوى ويحميه من المعاصي والشرور المؤدية إلى عذاب النار بالمجن ولم يصرح المشبه به بل أشار إلى شيء من لوازمه وهي جنة، فالاستعارة مكنية.

أنهما يحميان صاحبهما عن الأخطار الواقعة والمتوقعة، أو هما وسيلتان للتأمين والحماية.

بين الهجوم والدفاع تسابق وتنافس، فكما تعددت أساليب الهجوم تنوعت أسلحته استحدثت من الدفاع ما يناسب تلك الأساليب وهذا التنوع، ليبطل أثره أو يضعف تأثيره.

٧٠٦ مالك بن أنس، الموطأ، صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه محمد فواد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، (كتاب الصيام، باب جامع الصيام، ص: ٣١٠، رقم الحديث: ٧٥ / صحيح البخاري، باب فضل الصوم، رقم: ١٨٩٤، فتح الباري، دار أبي حيان، (٥٦٩/٥) / مسلم، شرح مسلم، باب فضل الصيام، رقم: ١١٥١، (٢٨٥/٤)، دار أبي حيان) ٧٠٧ فتح الباري: ٥٧١/٥

ثم أن المجن أو الترس لا يؤدي وظيفته في تأمين من يستتر به من السهام إلا إذا أعد بعناية، فيستعمل في صنعه ما فيه شدة ومتانة من الجلود، ويكسي بها طبقة بعد طبقة حتى لا تخترقه السهام.

المجن يحفظ صاحبه من ضرب العدو وطعنه، هذا العدو وضربه مادي فالدفاع أيضا بشيء مادي أما رمي الشيطان الذي لا نراه وهو يرانا ينبغي أن يكون دفعه بشيء يناسبه فأمرنا الله بالصيام أن يحمي شره، ولا يتحقق هذا الغرض بمجرد الإمساك عن الطعام والشراب، ولذلك قال النبي ﷺ: "فلا يرفث ولا يجهل".

وقد ذيلت آيات الصيام بقوله تعالى: "العلمك تتقون" وقوله: "العلمك تشكرون" وقوله: "العلم يرشدون". ذلك لأن الصوم جنة يتقى بها الصائم غضب الله ونار جهنم بامتنال الأوامر واجتناب النواهي.

٤١ - "الصوم وجاء": الحديث الكامل: عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "قال لنا رسول الله ﷺ: يا معشر الشباب! من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع، فعليه بالصوم، فإنه له وجاء"^{٧٠٨}.

المفردات :

الباءة : اختلف العلماء في المراد بالباءة هنا على قولين يرجعان إلى معنى واحد أصحهما: أن المراد معناها اللغوي هو الجماع، فتقديره: من استطاع منكم الجماع لقدرته على مؤنه وهي مؤن النكاح فليتزوج، ومن لم يستطع الجماع لعجزه عن مؤنه فعليه بالصوم ليدفع شهوته ويقطع شر منيه كما يقطعه الوجداء، وعلى هذا القول وقع الخطاب مع الشبان الذين هم مظنة شهوة النساء، ولا ينفكون عنها غالبا.

^{٧٠٨} رواه مسلم، شرح مسلم، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، رقم: ١٤٠٠، (١٨٦/٥)، دار أبي حيان / رواه البخاري في كتاب النكاح، باب من لم يستطع الباءة فليصم / فتح الباري، ١١٢/٩، بتريقيم محمد بن فؤاد الباقي، المطبعة السلفية، ١٩٥٩م.

والقول الثاني: أن المراد هنا بالباء مؤن النكاح، سميت ما يلازمها وتقديره: من استطاع منكم مؤن النكاح فليتزوج، ومن لم يستطعها فاليصم، ليدفع شهوته.

الوجاء : وهو رض^{٧٠٩} الخصيتين، والمراد هنا: أن الصوم يقطع الشهوة ويقطع شر المنى كما يفعله الوجاء^{٧١٠}.

الشرح الأدبي :

في هذا الحديث يشبه النبي ﷺ الصوم الذي يمنع صاحبه عن المنكرات بالوجاء الذي هو غمز الخصيتين ورضئهما فلا تبقى شهوة مع وجود الألم، كلاهما يضعفان ويخمدان شدة الشهوة دون إزالتها.

في هذا الحديث توجيه الشباب الذين هم مظنة ثوران الشهوة – لوفرة نشاطهم وفورة دمائهم وتدفق حيويتهم – إلى ما يرشدهم إلى تسكين هذه الشهوة، إما بإشباعها في الحلال وإما بإضعافها مؤقتا.

والطريق المشروع لإشباع الشهوة هو الزواج، إذ به يسلك كل من الرجل والمرأة الطريق المشروع لإشباع لذته، وبه يعترف المجتمع بالعلاقة التي تربط بينهما، ويعقد النكاح تتحدد مسؤولية كل من الزوجين، وبه يتحقق أمل كل منهما في أن تكون له ذرية يعنى بها، تمد المجتمع وتغذيه بالدماء الجديدة ويستمر به النوع، وبه ترتبط الأسر وتتوثق بينهما العلاقات.

وعلى الرغم من المصالح المترتبة على الزواج والحاجة الملحة إليه – لا يتيسر لكل أحد، وبخاصة الشباب، لما يلزمه من تكاليف في إنشائه، ومن نفقات لاستمراره، وهم بعد في خطواتهم الأولى في كفاح الحياة لم يدخروا مالا ولم يكونوا ثروة، فيكون مانعا للنكاح وحياتهم الزوجية.

^{٧٠٩} الرض: الدق، عروق الخصيتين حتى يكون شبيها بالخصاء، الخساء سلّ البيضتين.
^{٧١٠} انظر شرح مسلم، ١٨٨/٥-١٨٩، دار أبي حيان

أما من حال بينه وبين الزواج قلة موارده وعدم قدرته على الإنفاق، فعليه أن يغالب على الشهوة بالصوم حتى ييسر الله عليه، ومتى قصد أن يعف نفسه أعانه الله عليها وصرف عنه كيد الشيطان، وذلك له سبل الرزق حتى يتمكن من الزواج، وقد روى عن النبي ﷺ "ثلاثة حق على الله إعانتهم، المجاهد في سبيل الله، والناكح يريد أن يستغف، والمكاتب يريد الأداء".

إن الصوم عبادة من ثمراتها التقوى، وهو رياض للنفس يعينها على الصمود، وكل مسلم ومسلمة في حاجة ماسة إلى هذه الرياضة، غير أن الشباب الذي لا يملك نفقات الزواج أكثر حاجة في الصوم لتضعف شهوته وتتفاد له نفسه، لا أن ينفاد لهواه، وهوى الشباب أهوج عاصف، وقد قال ابن مسعود رضي الله عنه: (الشباب شعبة من الجنون).

٤٢ - "إنما مثل صوم المتطوع مثل الرجل يخرج من ماله الصدقة، فإن شاء أمضاها وإن شاء حبسها"^{٧١١}:

الحديث الكامل: روى النسائي بسنده عن طلحة بن يحيى بن طلحة عن مجاهد عن عائشة قالت: "دخل عليّ رسول الله ﷺ يوماً، فقال: هل عندكم شيء؟ فقلت: لا، قال: إني صائم. ثم مر بي بعد ذلك اليوم وقد أهدي إلي حيس، فخبأت له منه، وكان يحب الحيس، قالت: يا رسول الله، إنه أهدي لنا حيس فخبأت لك منه، قال: أدنيه، أما إني أصبحت وأنا صائم، فأكل منه، ثم قال: إنما مثل صوم المتطوع....، وإن شاء حبسها".

المفردات :

هل عندكم شيء : أي طعام.

حيس : هو طعام يتخذ من خلط التمر مع السمن مع اللبن المجفف المعروف بالأقط.

^{٧١١} سنن النسائي، باب النية في الصيام، من كتاب الصيام، رقم (٣٢٠٧) / صحيح البخاري، حسب ترقيم فتح الباري، كتاب النكاح، باب قول النبي ﷺ من استطاع منكم الباءة....، رقم ٥٠٦٥.

فخبأت له منه : أي أفردت له حصة وسترتها عن الأعين.

أدنيه: أي قربه.

أمضاها: أي أتمها وأخرجها إلى المتصدق عليه.

من معاني الحديث :

أداء الفرائض أمر مطلوب من كل مسلم ومسلمة، والالتزام بأدائها هو الحد الأدنى للفلاح، كما بينه ﷺ في شأن من أراد الاقتصار عليها، حيث قال: "أفلح أن صدق" ٧١٢.

وهو كذلك من أعظم القربات إلى الله، إذ في الالتزام بأداء الفرائض واجتناب النواهي ما يشعر بصدق الإيمان والحرص على الوفاء بالعهود. غير أنه من الصعوبة أن يخلو عمل الإنسان من نقص يعرض له، فلا يتأهل بعمله ذلك للفلاح والعبور إلى منطقة الأمان، ولذلك شرع الاستغفار وغيره من الأذكار، ويستحب المسلم إلى الإكثار منها، كما يستحب إلى نوافل العبادات من صلاة وصدقة وصيام، حتى تجبر هذا النقص الذي يعرض للعمل من جانب، وحتى تكون مجال للمنافسة في الرقي الروحي الذي يترتب عليه تفاوت الدرجات في الآخرة من جانب آخر.

الشرح الأدبي :

إن التشبيه في الحديث يفيد أن عدم تمام الصوم يشبه عدم تمام الصدقة، فإن مجرد الهم بالصدقة أو العزم عليها لا يوجب على المتصدق إنفاذها، وإنما تتعد الصدقة وتتم بتسليمها إلى الفقير، وحينئذ ليس له أن يرجع فيها، كما قرره الحديث الصحيح: "مثل العائد في صدقته كمثل الكلب يعود في قيئه" ٧١٣.

٧١٢ رواه مسلم، شرح مسلم، النووي: ١٩٨/١، رقم الحديث: ١١، دار أبي حيان.
٧١٣ صحيح مسلم - شرح النووي - ٧٠/٦، الباب الأول من كتاب الهبات، رقم: ١٦٢٠، دار أبي حيان القاهرة.

وهذا الذي عزم على صدقة التطوع ثم بخل بها لم يَأثم، بل لعله مأجور، استنادا إلى ما قرره الحديث الصحيح: "...فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة...." ^{٧١٤}. فكذاك من صام تطوعا ثم لم يتم صومه لا إثم عليه ولا قضاء - بل لعله مأجور أدنى درجات الأجر.

ومن أحكام صيام التطوع التي استدل عليها بهذا الحديث جواز إنشاء النية فيه من النهار، ذلك أن قوله ﷺ: "فإني صائم" بعد سؤال: هل عندك شيء؟ يفيد أنه أنشأ الصيام من النهار عقد سؤاله، فلا يشترط حينئذ تبييت النية من الليل لصيام التطوع، قال النووي في شرح هذا الحديث: (وفيه دليل لمذهب الجمهور أن صوم النافلة يجوز بنية في النهار قبل زوال الشمس ^{٧١٥}).

وفي هذا الحديث يشبه النبي ﷺ المتطوع بالصيام بالمتطوع بالصدقة، لأن لكل منهما الاختيار في عملهما ولا يلتزم بإتمام العمل في كل منهما، ويثاب كلهما على عملهما ولا يعاقب على تركهما، بل ربما يثاب على عزمهما على العمل.

٤٣ - "مثل من أشرك بالله كمثل رجل اشترى عبدا...":

الحديث الكامل: عن الحارث الأشعري أن النبي ﷺ قال: "إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات، أن يعمل بها ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها، وإنه كاد أن يبطل بها، فقال عيسى عليه السلام: إن الله أمرك بخمس كلمات لتعمل بها وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بها، فإما أن تأمرهم وإما أن أمرهم، فقال يحيى: أخشى إن سبقنتي بها أن يخسف بي أو أعذب، فجمع الناس في بيت المقدس، فامتأ المسجد وقعدوا على الشرف، فقال: إن الله أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن وأمركم أن تعملوا بهن:

^{٧١٤} صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب من هم بحسنة أو سيئة، فتح الباري: ٣٢٣/١١، بترقيم محمد فواد عبد الباقي، المطبعة السلفية ١٩٥٩م.
^{٧١٥} شرح النووي: ٣٥/٢، المطبعة المصرية بالأزهر، ١٩٥٩م.

أولهن: أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وأن مثل من أشرك بالله كمثل رجل اشترى عبداً من خالص ماله بذهب أو ورق، فقال: هذه داري وهذا عملي، فاعمل وأد إلي، فكان يعمل ويؤدي إلي غير سيده، فأيكم يرض أن عبده كذلك.

وإن الله أمركم بالصلاة، فإذا صليتم فلا تلتفتوا، فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت.

وأمركم بالصيام، فإن مثل ذلك كمثل رجل في عصابة معه صرة فيها مسك، وكلهم يعجب أو يعجبه ريحها، وأن ريح الصائم أطيب عند الله من ريح المسك.

وأمركم بالصدقة، فإن مثل ذلك كمثل رجل أسره العدو، فأوثقوا يده إلى عنقه، وقدموه ليضربوا عنقه، فقال: أنا أفتدى منكم بالقليل والكثير، ففدى نفسه منهم.

وأمركم أن تذكروا الله فإن مثل ذلك كمثل رجل خرج العدو في أثره سراعاً، حتى إذا أتى على حصن حصين فأحرز نفسه منهم، كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله.....^{٧١٦}.

المفردات :

الشُّرف : جمع شُرُفة بضم وسكون وهي بناء خارج من البيت يستشرف منه على ما حوله.

العصابة : الجماعة من الناس من العشرة إلى الأربعين لا واحد لها من لفظها.

أحرز نفسه : أي حفظ نفسه وصانها عن الأخذ بدخوله إلى الحصن.

الشرح الأدبي :

في الحديث عدد من الأمثال:

^{٧١٦} رواه الترمذي في أبواب الأمثال من جامعه وهو الحديث الخامس منها.

في المثال الأول: يشبه النبي ﷺ الشرك بالله في توجهه بالعبادة إلى غير خالقه – بعدد يعمل لغير مالكة، كلاهما يؤدي العمل لغير صاحبه الذي يستحق له والعقول جميعا ينكر هذا العمل المنكر لأنه كفران عظيم.

وفي المثال الثاني: يشبه رائحة فم الصائم برائحة المسك لأن تلك الريح نتيجة جهد عظيم يحبه الله كثيرا، كل الناس يحب رائحة المسك وكذلك يحب الله رائحة فم الصائم.

وفي المثال الثالث: يشبه النبي ﷺ المتصدق بما عنده من الأموال يريد بذلك مغفرة الله من ذنوبه وحمايته من النار بالأسير الذي افتدى نفسه واشترى حياته، كلاهما ينجي وينقذ نفسها من المصيبة التي لا مثيل لها بما عندهم من المال.

وفي المثال الرابع يشبه النبي ﷺ الذي يذكر ربه سرا وعلانية ويكون لسانه رطبا بذكر الله يحصنه من شر الشيطان ونفوذه بالحصن الحصين الذي يلتجئ إليه الخائف من الهلاك والآفة التي تكون من عدوه، والذكر والحصن كلاهما يعطي للإنسان الأمن والسلامة حينما يلتجئ إلى كل منهما.

الغاية من خلق الجن والإنس هي أن يعرفوا ربهم ويعبدوه ولا يشركوا به شيئا، وإنه لأمر يدعو إلى الإنكار والعجب أن يكون الناس عبيدا لغير الله، بدلا من أن يتوجهوا بالعبادة إلى مالكة، يعبدون غيره ممن يتساوى معهم في الخلق والعبودية.

خيانة عظمى أن يعمل المواطن جاسوسا لمصلحة دولة أخرى التي تقوم ضد دولته، إنه انحراف خطير يستحق عليه الموت، وخيانة أن يعمل الموظف لمصلحة غير من يعطيه أجره، إنه تصرف يثير الاشمئزاز والغضب ويستدعي العقوبة، أليس هذا عملا مذموما في عرف الناس؟ فلم يجعلون الله ما يكرهونه؟ أن أحدهم يستنكر أن يعمل عبده أو خادمه لغيره ولا يعمل له، في حين أنه هو الذي يؤويه ويحميه ويطعمه ويكسوه ويدفع له ويدفع عنه، ويحق له الإنكار وتأييده العقول السليمة، فلم يرضى أحدهم أن يتوجه بالعبادة أو بالعمل لغير الله، الذي خلقه خلقا من بعد خلق حتى جعله

بشرا سويا، وهياً له أسباب الرزق، وسخر له ما في السموات وما في الأرض؟ إن هذا الشرك ظلم عظيم، وعمل يدعوا إلى الإنكار والمقت والعقوبة، وجريمة لا تغتفر.

(إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء^{٧١٧}).

ومع ذلك لو رجع العبد الأبق إلى مولاه وكفر بالطاغوت وآمن بالله، فإله يقبل توبته، ويغفر له ما سلف منه، فإنه هو الغفور الرحيم، فقله: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، يمحو ما سبق من شركه ويؤهله لدخول الجنة، فالجنة لا يدخلها إلا أهل التوحيد، أعدها رب العباد ومالكهم لعباده الذين عرفوه وعبدوه ولم يشركوا به شيئاً.

فالتوحيد هو مفتاح الجنة، غير أن هذا المفتاح له أسنان تسهل فتح باب الجنة من الطاعات المختلفة، كالصلاة والصيام والزكاة والحج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والأمانة وبر الوالدين وغيرها، وقد ذكر منها في هذا الحديث الصلاة والصيام والصدقة وذكر الله.

أما الصلاة فالحديث هنا يركز على أدب من آدابها، بل عن سرها وجوهرها، وهو الإقبال على الله سبحانه وتعالى، وعدم الالتفات عنه، سواء الالتفات بالقلب بانشغاله بهموم الدنيا في الصلاة أو الالتفات بالبصر.

أما الصيام، فهو الإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس.

وفي الصيام يمتنع المسلم عن المباح، ترويضاً لنفسه على طاعة الله سبحانه وتعالى، فإنه إذا امتنع عن المباح امتثالاً لأمر الله، كان أكثر استعداداً للامتناع عن تناول ما حرم الله، بل يتعود على أن يجعل بينه وبين الحرام سترة من الحلال، وهي مرتبة الورع.

^{٧١٧} سورة النساء، آية: ٤٨

وإمسك الصائم من المفطرات أمر لا يطلع عليه إلا الله، فإخلاص العمل يتوفر في الصوم أكثر مما يكون في غيره، ولهذا اختص بنسبته إلى الله، وقد وعد الله عليه جزيل الثواب، لكن هذا الثواب مخصوص بمن يقوم بحق الصوم، فيمسك لسانه عن الكذب والغش والغيبة في سائر أوقاته، كما يمسك عن شهوتي البطن والفرج، وتمسك جوارحه عن المحرمات، مثل هذا الصائم أمسك ضرره عن الناس وأوصل إليهم نفعه، هذا الصائم الذي لا يخرج من فمه إلا الطيب من الكلم، رائحة فمه التي يخلفها الصيام أطيب عند الله من رائحة المسك، لأنها رائحة تدل على ما وراءها من إمسك الضرر، وإيصال النفع، وامتنال الأمر وإخلاص العمل لله: قال رسول الله ﷺ : "الصيام جنة فلا يرفث ولا يجهل..."^{٧١٨}.

وأما الصدقة، وقد مثلت في الحديث بفدية افتدى بها أسير نفسه من عدوه، وهذا المعنى جاء صريحا في الصحيح عن النبي ﷺ قال: "اتقوا النار ولو بشق تمرة"^{٧١٩}، والتركيز هنا على أن الصدقة الخالصة – ولا يقبل الله إلا طيبا خالصا لوجهه – وسيلة النجاة من النار".

وأما ذكر الله فهو موضوع الحديث التالي، فنرجع الكلام فيه إلى أن ننتهي من هذا الحديث.

وهذه الأمثال التي حكاها النبي ﷺ عن يحيى عليه السلام، موجهة إلى المسلمين وليست مقصورة على بني إسرائيل، لأنها أمثال توضيحية لعقائد وعبادات رئيسية مشتركة في جميع الأديان السماوية: فالتوحيد دين الأنبياء جميعا كما سبق، والله تعالى يقول:

^{٧١٨} صحيح البخاري، (انظر نظرات فقهية وتربوية لأمثال الحديث، ص: ٣٦٣).
^{٧١٩} صحيح البخاري.

(وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون^{٧٢٠})، وكذلك الصلاة والصيام والزكاة وذكر الله، فالمسلمون مطالبون بها كما طُلب بها من قبلهم.

٤٤ - "مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر مثل الحي والميت"^{٧٢١}:

الشرح الأدبي :

في هذا الحديث يشبه الله الذاكر ربه بالحي والغافل عنه بالميت، أي يشبه القلوب بجلائها بالذكر وتنبهها إلى حقائق الكون وقيامها بأمر الله – بالحي الذي سرت الحياة في أوصاله، والنضرة في أعطافه والحركة في أطرافه.

وتشبيه القلوب الغافلة عن ذكر الله وما تراكم عليها من ران وصدأ حتى انطمست معالم الحق فيها – بالميت في عدم انتفاعه أو الانتفاع به.

في هذا الحديث اعتبر الذكر حياة – وفي الحديث السابق اعتبر الذكر حصنا يحمي الإنسان من غوائل الهوى ونزعات الشيطان، ويشعره بالأمن والسكينة والاطمئنان: (والذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله، إلا بذكر الله تطمئن القلوب^{٧٢٢}).

والذكر حياة، به يستفيد الإنسان من حواسه ووجوده في هذا الكون، فيرى في كل شيء آية تدل على الخالق الواحد، وينسجم مع الكون كله في التسبيح بحمد ربه في كل لحظة: حين يصبح وحين يمسي وحين يظهر (أي حين يدخل وقت الظهر)،

^{٧٢٠} سورة الأنبياء: ٢٥.

^{٧٢١} متفق عليه، هذا لفظ البخاري في كتاب الدعوات من باب فضل ذكر الله رقم الحديث: ٦٤٠٧، أنظر فتح الباري: ٤/٣٢٠، دار أبي حيان القاهرة / وأخرجه مسلم في باب صلاة المسافرين، باب استحباب صلاة النافلة في بيته وجوارها في المسجد ولفظه: "مثل البيت الذي يذكر الله تعالى فيه والبيت الذي لا يذكر الله فيه مثل الحي والميت". / انظر شرح النووي: ٣/٣٢٥، رقم الحديث: ٧٧٩.

^{٧٢٢} سورة الرعد: ٢٨.

ويذكره في كل أحواله: في صحته، ومرضه، وفي غناه، وفقره، وفي فرحه، وحزنه، وفي عمله، وراحته، وفي أداء الفرائض والنوافل وبعد فراغه منها.

لا يعيش الإنسان في فراغ، والقلب مشغول بأمر ولا بد، إن لم يكن بذكر الله فبذكر الشيطان: إنه كالإناء المعرض للهواء، تحسبه فارغا وهو ممتلئ للهواء، فإذا ملأته بسائل كالماء حلّ السائل محلّ الهواء، وبقدر ما تضع من السائل بقدر ما يذهب الهواء، فالقلب المشغول بالذكر، المستغرق وقته في الطاعة، المراقب ربه في كل وقت وعلى كل حال – هذا القلب الذاكر الحي لا حظ للشيطان فيه، وهو مأمّن منه، لقد قال الله عز وجل: (إن عبادي ليس لك عليهم سلطان^{٧٢٣}).

أما القلب الغافل عن ذكر الله فهو مشغول بالشيطان، ويكون حظّ الشيطان منه بقدر غفلته ونسيانه ذكر ربه، حتى إذا وصل إلى حد الإعراض والكفر ضل وشقي، وصار هذا القلب بيتا للشيطان يبيض فيه ويفرخ.

يكون الإنسان الحي النشيط منبع خيرات وحسنات وأما الميت لا يرجى فيه المنافع والخيرات وكذلك الذاكر والغافل.

القلب لا يعيش في فراغ: إما ذكر وإما غفلة، فإن ذكر ذكره الله، وأن غفل ونسي نسيه الله وذكر الشيطان، الذي يتحين الفرص ليغلب عليه بخيله ورجله وينقض عليه بعد أن خرج من حصنه ووضع سلاحه، لكنه بالذكر يأوي إلى حصن حصين، ويلجأ إلى رب العالمين، فيذكره القوي المتين ويحفظه من الشياطين، ويتولاه ويرعاه، ويوفقه وينصره.

ومن أجل هذا كان الذكر أعظم العبادات، بل ما شرعت العبادات إلا للذكر: فكأنما الصلاة إنما شرعت ليعود القلب على ذكر الله في أوقات منتظمة متكررة فترتاض نفسه على الذكر الدائم، ولهذا لم يسمح لعذر ما أن يسقط الصلاة، فقد يترخص في

هيئة الصلاة وأركانها من أجل العذر، لكن لا يسمح بإسقاطها مهما كانت الأسباب، فإذا زال العذر ذكر الله في الصلاة كما ينبغي بالمحافظة على أركانها وشروطها.

فشعائر الإسلام كلها وسيلة من وسائل ذكر الله، وذكر الله أوسع وأشمل منها، لأنه يستوعب الحياة كلها، وأظن أن أداء العبادة وامتثال الأمر واجتناب النهي وعمل الخيرات والتسبيح والتحميد والتهليل والتمجيد والتكبير باللسان وبالقلب وبالعمل والاستغفار من ذنب والتوبة من إثم والشكر على نعمة ومراقبة الله عز وجل في كل الأمور من ذكر الله.

٤٥ - "مثل المؤمن كمثل الفرس على آخيته يجول ثم يرجع على آخيته، وأن المؤمن يسهو ثم يرجع إلى الإيمان"^{٧٢٤}:

المفردات :

آخيته : هو عبارة عن حبل صغير أو عود تشد فيه الدابة وجمعه الأواخي.

الشرح الأدبي :

هذا الحديث أروع مثال يدل على بلاغة النبي ﷺ يشبهه هنا النبي ﷺ المؤمن الذي يبتعد بذنوبه عن ربه ثم يتوب إليه حينما تتبين له خطيئته وإثمه لما في قلبه الإيمان الثابت بالدابة التي شدت بالعروة إلى العود، وإن ابتعدت الدابة من العود ولا تبتعد كل البعد بل يرجع إلى أصله أو العود المشدود.

أثنى الله سبحانه على المتقين في القرآن، وذكر من صفاتهم، أنهم إذا بعدوا عن الله بالمعصية فاعوا إليه بالطاعة، وإذا نسوا الله بالذنوب ذكره بالاستغفار، فقال تعالى:

^{٧٢٤} رواه أحمد، انظر الفتح الرباني لترتيب للإمام أحمد بن حنبل الشيباني ومعه كتاب بلوغ الأمان من أسرار الفتح الرباني، كلاهما لعبد الرحمن البنا الشهير بالساعاتي، مسند جيد.

"والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله، ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون"٧٢٥.

وذلك أن المؤمن إنسان، والإنسان – إلا من عصم ربنا – خطأ، والشر معجون مع الخير في طينة آدم عجا محكما، والفرق بين المؤمن وغيره أن المؤمن يدرك خطأه ويمنعه إيمانه عن الاسترسال في هذا الخطأ، ويدفعه إلى الاعتذار عنه، والتوبة منه فالإيمان قيد المؤمن، يحول بينه وبين الاسترسال في الذنوب، ويجذبه إليه إن سولت له نفسه أن يمعن في البعد، حتى لا يضل في تيه الشهوات، حيث تدفعه غرائزه إلى حماقات قد يكون فيها هلاكه، كالفراشة التي يجذبها الضوء فتحرق نفسها في ناره.

والحديث يفيد أن المؤمن يجاهد نفسه، ويصارع شهواته المحرمة، فيغلبها وتغلبه ويصرعها وتصرعه، إذ الغرائز كالفرس، كثيرة الحركة، قوية الاندفاع لكن الإيمان يروضها، ويمنع اندفاعها، يحدد حركتها، وقد ينسى المؤمن في لحظة من لحظات الضعف مقتضى إيمانه، فيقع في الذنوب في جهل، أي عن غلبة غرائزه وتمكن الشهوات من نفسه، لكنه يعود فينتكر، ويخجل من فعله، ويسأل ربه المغفرة، "والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم".

فتح الله تعالى باب التوبة والاستغفار أمام المؤمنين، وأمرهم أن يطرقوا هذا الباب: "يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا"٧٢٦.

وهذه التوبة هي رجوع وعودة إلى مقتضى الإيمان، لكنه إذا سوف فيهما حتى يأتيه الموت لم تتفعه، وكان كالفرس الذي انقطع قيده فاندفع في الصحراء، ولما أوشك على الموت عطشا وجوعا أراد الرجوع إلى قيده حيث الأمن والسلامة، فلم تسعفه قوته وهلك في الصحراء.

٧٢٥ سورة آل عمران ١٣٥
٧٢٦ سورة التحريم: ٨

ومن رحمة الله بالمؤمن بعد أن فتح له باب التوبة والاستغفار، أن جعل العمل الصالح ماحيا لما اقترفه من سيئات.

في الحديث تشبيه المؤمن في بعده عن ربه بالذنوب مع ثبات أصل الإيمان في قلبه – بالدابة المربوطة في عروة، تبعد عنها، ثم تعود إليها.
ووجه الشبه: هو الارتباط بمركز ثابت في كل.

٤٦ - "اقرأوا الزهراوين البقرة وآل عمران" :

عن أبي أمامة الباهلي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "اقرأوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه، اقرأوا الزهراوين البقرة وآل عمران، فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيايتان، أو كأنهما فرقان من طير صواف يحاجان عن أصحابهما. اقرأوا سورة البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا يستطيعها البطلة"، قال معاوية بلغني أن البطلة السحرة.

قال ابن كثير في تفسيره: ومعنى لا يستطيعها البطلة: أي لا يمكنهم حفظها، وقيل: لا يستطيع النفوذ في قارئها.

وفي رواية أخرى لمسلم عن النواس بن سمعان: "ضرب لهما رسول الله ﷺ ثلاثة أمثال، ما نسيتهن بعد"، قال: "كأنها غمامتان أو ظلتان سوداوان بينهما شرق، أو كأنهما حزقان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما"^{٧٢٧}.

المفردات :

زهراوان : مثني زهراء والأزهر والزهراء: النير المشرق الأبيض. وسميا الزهراوين لنورهما وهدايتهما وعظيم أجرهما.

^{٧٢٧} الحديثان رواهما مسلم في باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة من كتاب صلاة المسافرين / انظر شرح مسلم: ٣/٣٤٩، ٣٥٠، رقم الحديث: ٨٠٤، ٨٠٥، دار أبي حيان – القاهرة، الطبعة الأولى: ١٩٩٥م.

غمامتان أو غيايتان : قال النووي في شرح مسلم: قال أهل اللغة: الغمامة والغياية كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه، من سحابة وغبرة وغيرهما، وقال القرطبي في تفسيره (٣/٤): (الغمام: السحاب الملتف، وهو الغياية إذا كانت قريبا من الرأس، وهي الظلة أيضا).

فرقان، حزقان : بكسر أولهما وسكون ثانيهما، بمعنى واحد، أي قطيعان وجماعتان.

صوافّ : جمع صافة، والطير الصافات، أي الباسطات أجنحتهن في الجو عند الطيران، فإنهن إذا بسطنها صففن قوادمها صفا، والصواف: المصطفة المتضامنة.

شرق : بفتح الراء وإسكانها، أي ضياء ونور.

شفيعا : الشفيح من الشفع، ضد الوتر، كأن صاحب الحاجة بعد أن كان فردا انضم إليه آخر يعينه، فصار شفعا.

الشرح الأدبي :

في الحديث تشبيه سورتي البقرة وآل عمران بمظلة وافرة مبسوطة فوق من تظله، تقيه وتدفع عنه، كلاهما يحفظ صاحبه ويحميه ويدفع عنه الأذى مع الإضاءة التي تثير معالم الطريق، وشبه النبي ﷺ البقرة وآل عمران بالزهراوين كلاهما يضيء ويهدي السبيل.

في هذا الحديث دعوة إلى قراءة القرآن، مع بيان ثمرة قراءته في الآخرة، وبخاصة قراءة سورة البقرة وسورة آل عمران، حيث يأتي القرآن يوم القيامة شفيعا يشفع لقرائه، وتأتي سورتا البقرة وآل عمران تظللان صاحبهما من حر هذا اليوم وتحميانه من أهواله، وتثيران طريقه، وتحاجان عنه، أي كأنهما تتجاذبان الحجة مع ما يقتضيه هذا اليوم من تعميم للهول والتضييق والمعاناة، فتدفع السورتان عن قارئهما هذا التعميم وتجعلانه في مأمن من الأهوال.

وقد قيدت رواية النواس بن سمعان أهل القرآن بأنهم الذين كانوا يعملون به)، فتحمل الرواية المطلقة في حديث أبي أمامة على هذه الرواية المقيدة، ويستفاد من مجموع الروايتين حينئذ أن البشارة في الحديثين ليست للذين يقرعون القرآن لا يجاوز حناجرهم، وليست للذين يتوسدون القرآن، وليس للذين يتكسبون به، وإنما هي للعاملين به، الذين يعطرون بتلاوته ألسنتهم، ويحيون به ليلهم، ويضبطون به أخلاقهم وسلوكهم، ويحكمون به حياتهم ويحتكمون إليه عند اختلافهم.

وشفاعة القرآن لصاحبه حينئذ وحجابه عنه هي من قبيل شفاعة العمل الصالح لصاحبه، والعمل الصالح هو الشيء الوحيد في هذه الحياة الدنيا الذي يلازم الإنسان ويصاحبه في رحلته إلى دار الآخرة.

وقد اختلف العلماء في فهم النصوص التي ورد فيها مجيء بعض المعاني في الآخرة في صورة الماديات المحسوسة كمجيء سورتي البقرة وآل عمران غمامتان أو زهراوان، فذهب بعضهم إلى أن ذلك على سبيل التشبيه والتمثيل لتوضيح المعنى وتقريره، وقال بعضهم: يخلق الله من ثواب الأعمال أشخاصا، وقال بعضهم: لا مانع أن ينشئ الله سبحانه من الأعراض أجسادا يجعلها مادة لها^{٢٢٨}.

ومما لا شك فيه أن الآخرة مختلفة عن الدنيا، فينبغي أن لا تقاس عليها، وأن الأسلم إمرار النصوص على ما جاءت عليه كما صنع السلف، وكذلك في هذا النص تحريض على العمل الصالح، وأن هذا العمل الصالح ينتفع به صاحبه في الدنيا والآخرة.

وفي هذا الحديث إشارة إلى أن القرآن نور، يضيء الطريق ويهدي السالك، فقد جاء فيه وصف السورتين بغمامتين سوداوين، فلما وصف الغمامتين بالسواد لبيان كثافتهما وقوة ظلهما، أراد أن يدفع توهم أن هذا السواد حجب النور المستظل،

^{٢٢٨} انظر فتح الباري (٤٢١/١١)، بترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، المطبعة السلفية ١٩٥٩م، وتفسير القرطبي (٣/٤).

فأصبح أنه مع حجبهما الأذى لم يحجبا الضوء فقال: "بينهما شرق" حتى يسير السالك على بصيرة، وتبين له المعالم فلا ينحرف إلى ما يبعدة عن هدفه.

وفي الحديث بيان فضل القرآن بصفة عامة، وفضل سورتي البقرة وآل عمران بصفة خاصة، وهذا التخصيص بالفضل مستفاد من ضرب المثل لهما".

٤٧ - "مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين: تعير هذه مرة وإلى هذه مرة" ٧٢٩:

المفردات :

النفاق، وما تصرف منه اسما وفعلا: اسم إسلامي لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به، وهو الذي يستتر كفره ويظهر إيمانه، وأن كان أصله في اللغة معروفا، وهو مأخوذ من النافقاء أحد جوار اليربوع، إذا طلب من واحد هرب من الآخر، أو من النفق، وهو السرب الذي يستتر فيه، سمي به المنافق لستره كفره، وهذا هو نفاق الكفر، وقد يستعمل في نفاق العمل كالرياء: لأن فيه إظهار غير ما في الباطن.

الشاة العائرة: المترددة بين قطيعين، لا تدري أيهما تتبع.

الشرح الأدبي :

هذا الحديث يشبه المنافق الذي يظهر الإيمان يضمركفر ويتردد بين المؤمنين والكافرين بالشاة التي لا تعرف قطيعها، فهي تلحق بقطيع ثم تتركه لتنتسب إلى غيره ثم تعيد الكرة.

وهذا الحديث بيان لقوله تعالى في صفة المنافقين:

٧٢٩ رواه مسلم في صحيحه.

"مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء" ٧٣٠.

وأهم صفات المنافق أنه حائر متردد محروم من الانتماء، فلا هو مسلم ولا هو كافر، وهو خطر على المؤمنين، وفائدته غير موجودة للكافرين، ومن أجل هذا الموقف المذبذب سماه الرسول ﷺ ذا الوجهين.

ومن سماتهم الغدر والخيانة والكذب وتجاوز الحد في المخاصمة كما جاء في الحديث: (أربع من كن فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها، إذا ائتمن خان وإذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر) ٧٣١.

وقد كان السلف الصالح حريصا على أن يبتعد عن النفاق في عمله وسلوكه خائفا من أن يكون في تصرفاته ما يقارب إلى صفات المنافقين، ومن أهم ذلك الرياء وهو الشرك الخفي، قال إبراهيم التيمي: ما عرضت قولي على عملي إلا خشيت أن أكون مكذبا، وقال ابن أبي مليكة: أدركت ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه، ما منهم أحد يقول: إنه على إيمان جبريل وميكائيل، ويذكر عن الحسن: (ما خافه إلا مؤمن ولا آمنه إلا منافق) ٧٣٢.

والنفاق الذي كان يخشاه هؤلاء السلف، ليس بطبيعة الحال نفاق الكفر، ولكنه ما يتعارض مع الإخلاص ومع حقيقة الإيمان وصدقه وكماله وصفائه لا مع أصله.

إن النفاق صفة قبيحة تدل على مرض النفس التي تصاب به وخبثها، وهو صور الحديث صاحبها في صورة منفردة عندما شبهه بالشاة المتحيرة.

٧٣٠ سورة النساء: ١٤٣.

٧٣١ متفق عليه.

٧٣٢ فتح الباري (انظر نظرات فقهية وتربوية في أمثال الحديث: ٢٦٢).

٤٨ - "ضرب الله مثلا صراطا مستقيما وعلى جنبي الصراط سوران

: "....."

الحديث الكامل: عن النواس بن سمعان رضي الله عنه عن النبي ﷺ : "ضرب الله مثلا صراطا مستقيما، وعلى جنبي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط داع يقول: يا أيها الناس ادخلوا الصراط جميعا ولا تتفرجوا، وداع من جوف الصراط، فإذا أراد أن يفتح شيئا من تلك الأبواب قال: ويحك لا تفتحه، فإنك إن تفتحه تلجه. فالصراط الإسلام، والسوران حدود الله تعالى، والأبواب المفتحة محارم الله تعالى، وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله عز وجل، والداعي فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم^{٧٣٣}".

المفردات :

الصراط : الطريق.

على جنبي : الجنبان - الناحيتان.

السوران : السور الحائط، يقال سرت الحائط أو تسورته إذا صرت في أعلاه.

لا تتفرجوا : امضوا قدما على الصراط، ولا تتحرفوا ذات اليمين ولا ذات اليسار.

من جوف الصراط : أي داخله وأوسطه.

ويحك : 'ويح' كلمة تقال رحمة لمن تنزل به بلية.

تلجه : ولج - يلج أي دخل - يدخل.

الحدود : جمع حد، وهو المقدار والتناهي الممنوع من تجاوزه شرعا.

^{٧٣٣} رواه أحمد في مسنده، والترمذي.

الشرح الأدبي :

يشبه النبي ﷺ الدعوة إلى منهاج الله، بتطبيق التعاليم التي تضمنها القرآن وأوضحها السنة، مؤيدة هذه التعاليم بالفطرة النقية.

يشبه هذا بالدعوة إلى طريق مستقيم، محاط بسورين فيهما أبواب مفتحة عليها ستور، لا ينبغي لأحد أن يرفعها، إذ عليه أن يمضي في طريقه قدما لا يلتفت حتى يصل إلى غايته.

ووجه الشبه: هو طلب الاستقامة على الطريق الصحيحة التي نصبت عليها علامات تحذر من الانحراف.

ويرى ابن العربي في شرحه على الترمذي أن التمثيل هنا تشبيه متعدد، وليس تشبيه صورة مركبة بصورة أخرى، حيث قال: (ضرب مثلا لخمس: صراط، أبواب، سور، داع على رأس الصراط، داع من فوقه).

الطرق كثيرة، لكنها متشعبة، ملتوية، مظلمة، مخوفة، تسلم سالكها إلى التيه والضلال ثم إلى النار إلا طريقا واحدا، يمتاز باستقامته ووضوحه، وبتعليماته التي هي إرشادات للمرور، حرصا على أمن المار، وسلامة السالك، لينتهي به إلى غايته سليما موفورا سعيدا.

هناك على مفترق الطرق، وعلى رأس طريق السلامة – هناك يعلو النداء، داعيا الناس إلى سلوك الطريق المستقيم – طريق الأمان والسلامة، ومحذرا إياهم من الطرق الأخرى التي تورث صاحبها الخوف والقلق والتيه ثم تؤدي به إلى الهلاك.

هذا الطريق – طريق الله ورسوله والمؤمنين – هو الطريق المستقيم المزود بتعليمات توضح معالم الطريق وتحذر من مخاطره، هذا الطريق المستقيم هو الإسلام: إنه الطريق إلى الله ورضوانه وجنته: بداية هذا الطريق هي الدخول في الإسلام ونهايته هي الجنة.

ثم ينبغي لمن سلك طريق الإسلام أن يستقيم استقامة هذا الطريق، وأن يستمر على استقامته حتى يصل إلى غايته دون أن ينحرف، هذا الطريق المستقيم أقيم على جانبيه سوران، مهمتهما حماية السالك والمحافظة عليه من السقوط، فليس من آداب السلوك أن يتسورهما، وليس في مصلحته أن يتعداهما أو يتجاوزهما، لقد أقيما لمصلحته ووجدا لتأمين مسيرته وخوفا عليه مما وراءهما، فعليه إذا أن يسير في حمايتهما، لكنه في مسيرته يرى ستورا على جانبي الصراط، ترى ما هذه الستور؟ وماذا وراءهما؟ وماذا لو رفعت أحدها لأنظر ما هنالك؟!!

لكن تعليمات الطريق وإرشادات المرور تمنع من هذا، وما منعه إلا رعاية المصلحة، وتأمينا للسلامة، والستور التي على الأبواب هي مثل لكل حاجز عن الحرام، حاجب عن المحظور، من دين ومروءة وحياء وهمة وعفة.

ينبغي للسالك إذا ألا يرفع الستور، فضلا عن أن يلج الباب، فقد أمره المنادي على رأس الصراط إلا يعرج على شيء في طريقه، هذا المنادي هو كتاب الله، الذي هو أقوم.

وواعظ الله في قلب كل مسلم يصحبه طوال المسيرة، ليقوم بمهمة الإشارة الحمراء التي تنذر بالخطر إن حاد عن طريق السلامة، إنه ضمير المسلم الذي يدرك أن الله سبحانه لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء.

إنها التربية الإسلامية التي تربي الفرد وتعهده وتقيمه على أمر الله، وتجعل من نفسه على نفسه رقيباً.

٤٩ - "الدنيا حلوة خضرة" :

الحديث الكامل: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "إن الدنيا حلوة خضرة، وأن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا والتقوا النساء، فإن أول فتنة بنى إسرائيل كانت في النساء^{٧٣٤} .

المفردات :

حلوة خضرة : أي ذات حلاوة، وذات اخضرار، فالحلاوة تدرك بالذوق، والخضرة تدرك بالنظر وكلاهما مرغوب فيه، فإن النفس البشرية تشتتهي من الفاكهة والطعام ما كان حلو الطعم، جميل النظر، فإذا اجتمعت (الحلاوة والخضرة) كانت الرغبة أعظم، والميل إليه أكبر فهي بهجة النفس وقررة العين.

مستخلفكم فيها : استخلفه جعله خليفة عنه، فالإنسان كالوكيل عن الله عز وجل في هذه الحياة، فلا يصح أن يتصرف إلا كما يأمره الباري لأنه وكيل وليس بأصيل قال تعالى: (وهو الذي جعلكم خلائف الأرض).

اتقوا الدنيا : أي اجتنبوا فتنتها، واحذروا من كيدها ولا تغتروا بزينتها، وذلك يشغلكم عن ذكر الله وطاعته.

والتقوا النساء : أي احذروا فتنتهن وإغواءهن وإن كيدهن عظيم، وفي الحديث الشريف (ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء).

^{٧٣٤} رواه مسلم.

الشرح الأدبي :

يشبه النبي ﷺ الدنيا بالفاكهة الحلوة الخضراء. وحذف المشبه به وهو الفاكهة ورمز إليها بشيء من لوازمها وهي (الحلاوة والخضرة) على سبيل الاستعارة المكنية.

فالدنيا كالفاكهة الخضرة التي راق منظرها، وحلا مذاقها، وقد جمعت بين الوصفين المحبوبين إلى النفس (الحلاوة والخضرة) فإن الحلو مرغوب فيه من جهة الذوق، والخضرة مرغوب فيها من جهة الرؤية.

في هذا الحديث الشريف نفحة من نفحات القدس، ولمسة من لمسات الجمال، وإبداع في التصوير فوق ما يتصوره، الخيال فما أبدع هذا التعبير، وما أجمل ذلك التصوير الذي مثل به الرسول الكريم ﷺ لهذه الحياة الدنيا الفانية!!

ولا عجب أن نرى تلك الإشرافة المضيئة، والقبس المنير في هدي سيد المرسلين، فلقد دانت له الفصاحة، وانقادت له البلاغة، فكان له منها الحظ الوفير، وأعطى جوامع الكلم، فكان أفصح من نطق بالضاد، وأعظم من دعا إلى الهدى والرشاد وبهذا التوجيه النبوي الكريم يلفت النبي ﷺ انتباهنا، ويوجه أنظارنا إلى سبيل الخير والسعادة، ويحذرننا من فتنة الدنيا، وشهوات الحياة...، فهذا الدنيا كم خدعت من أناس، وكم فتننت من خلائق؟ اغتروا بها، وفتنوا بما فيها، فأوردتهم موارد الهلاك، وجرعتهم كؤوس الحسرة والندم، فلم ينالوا منها إلا التافه، ولم يجنوا منها إلا الحقير، فهي دار الغرور يغتر بها الجهال، ويركن إليها الغافلون، وما أجمل تصوير القرآن الكريم لهذه الحياة الزائلة، حيث قال تبارك وتعالى عنها: (اعلموا إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب كفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا، ثم يكون حطاما، وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور).

ولقد وضح الرسول ﷺ بهديه الكريم قيمة هذه الحياة الدنيا حتى لا يغتر بها المؤمنون، فقال ﷺ: "لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا

جرعة ماء"، وكذلك كانت حياة النبي ﷺ زهدا في الدنيا، وإعراضا عنها، فكان يأكل الخشن من الطعام، ويلبس اليسير من الثياب وينام على الحصير، حتى دخل عليه بعض الصحابة يوما فوجده نائما على حصير وقد أثر في جنبه الشريفين فرقوا لحاله، ورثوا بشأنه فقالوا يا رسول الله: لو اتخذنا لك وطاء (أي فراشا) فقال: مالي وللدنيا؟ ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها.

ولقد ختم الرسول ﷺ هذا الحديث الشريف بالنصح والإرشاد والتحذير من أمرين عظيمين هما: "فتنة الدنيا، وفتنة النساء" فقال: (فاتقوا الدنيا والتقوا النساء)، ثم علل ذلك بأن أول بلاء حل على بنى إسرائيل، وأول فتنة حصلت لهم إنما كانت بسبب شهوات الحياة وفتنة النساء، فليس هناك فتنة أخطر من فتنة النساء وصدق الرسول ﷺ حيث قال: (ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء).

فيا له من توجيه عظيم وإرشاد كريم دلنا عليه رسول الله ﷺ ، اللهم ارزقنا محبته، ووفقنا للاقتداء بهديه الكريم إنك أنت السميع المجيب.

٥٠ - "كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل" :

الحديث الكامل: عن ابن عمر رضي الله عنه أنه قال: "أخذ رسول الله بمنكبي فقال: كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، وعدّ نفسك من أهل القبور^{٧٣٥}. وكان ابن عمر رضي الله عنه يقول إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك.

المفردات :

غريب : الغريب مأخوذ من (العُرْبَة) وهي البعد عن الأهل والأوطان

^{٧٣٥} رواه البخاري والترمذي.

قال الشاعر:

أجارتنا إنا غريبان ههنا وكل غريب للغريب نسيب

عابر سبيل : المراد بعابر سبيل المسافر الذي يمر بطريقه على بعض البلدان والأماكن.

يقول النبي ﷺ : عش في الدنيا كالغريب الذي لا يستقر في مكان ولا يفكر بالمكث وطول الإقامة أو كعابر سبيل الذي لا يسكن ولا يقيم في مكان واحد.

الشرح الأدبي :

هذا مثال جميل الذي يرشد الرسول ﷺ المؤمن كيف يعيش في الدنيا ويحثه على الجهاد والكفاح والزهد في هذه الحياة الدنيا الزائلة الفانية، فليس المؤمن كغيره من أفراد الناس، يكد ويكدح ويشقى وينصب في سبيل حطام الدنيا، وجمع ما فيها من ثروة ومال..، بل أن له نفسا تواقفة إلى المعالي، تترفع به عن سفاسف الأمور وتعلو به إلى مدارج الرقي والكمال، إلى أجواء قدسية من حب الخير والفضيلة والبحث عما تتوق إليه النفس الكريمة من صالح الأعمال.

على هذه التربية الكريمة نشأ أصحاب رسول الله ﷺ وعليها درجوا، فكانوا مصابيح تضيء للناس في ظلمات هذه الحياة، ولا عجب فلقد اقتسبوا ذلك من معين النبوة، ومنبع الفضل والكمال، فهذا هو رسول الله ﷺ يربي أصحابه تربية إنسانية كاملة..، يعلمهم كيف يكونون جنودا للحق، وأنصارا للدعوة، ويزهدون في هذه الحياة الدنيا، فيضحون بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، ويتسابقون للأخرة، ليكونوا حملة رسالة، وقادة أمة ودعاة خير وإصلاح، واضعين نصب أعينهم قول الله تبارك وتعالى: (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة)، فما كانت الحياة تشغلهم، وما كانت الدنيا تفتنتهم عن واجب الدعوة إلى الله، والجهاد في سبيله لإعلاء دينه، ورفع منار الإسلام.

ولقد أحسن القائل حين قال:

"كأنهم في ظهور الخيل نبت ربي من شدة الحزم لا من شدة الحزم"

لقد كانت تربية النبي ﷺ لأصحابه تربية مثالية كريمة، تربية فيها الشجاعة والبسالة، وفيها العزم والحزم، وفيها الزهد والعفاف لذلك فقد كانوا رجالا وأبطالاً فتحوا الدنيا، وسادوا العالم بتلك المعاني النبيلة التي غرسها في قلوبهم المربي الأول محمد ﷺ، هذا هو رسول الله ﷺ يوجه ذلك الشاب المؤمن (عبد الله بن عمر) الوجهة الفاضلة الرشيدة، فيمسك بمنكبيه – مؤانسا ومسلّيا – ثم يقول له تلك القولة الكريمة الهادفة: (كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، وعدّ نفسك من أهل القبور).

ما أجملها من نصيحة، وما أكرمها من قولة!! وحقا إنها للفتة سامية هادفة، ونصيحة ثمينة غالية، يقدمها الرسول الكريم ﷺ لهذا الشاب المؤمن الذي ملأ الإيمان قلبه، وغمر اليقين نفسه، فيحرك فيه بواعث الخير، ويفجر فيه ينابيع الإيمان والفضيلة.

ولقد كان لهذه التربية ولهذا التوجيه أثر في نفس ذلك الشاب المؤمن فإن هذه الباقة الجميلة التي قدمها له مربي الإنسانية ومهذب البشرية محمد بن عبد الله ﷺ، قد أعطت ثمراتها الياصرة، فوقعت في نفسه موقعا عظيما وتقبلها قبولا حسنا.

ولقد جمعت هذه الكلمات القلائل أنواع النصائح، فالغريب الذي قدم بلدا غير بلده، لا مسكن له فيه يؤمه، ولا صديق يواسيه، ولا أحد من الأهل والأولاد يؤانسه، كيف يكون حاله، إلا يشعر بالوحشة والغربة، ويتمنى العودة إلى الأهل والأوطان؟! وهل يكون له رغبة في البقاء بأرض الغربة والإقامة فيها!!

والإنسان الذي انتقل من هذه الدار – دار الفناء – وأصبح في دار البقاء هل يبقى له طمع في جمع الأموال وتكديس الثروات، أم يصبح همه في نيل رحمة الله ورضوانه، ويتمنى العودة إلى الدنيا ليكثر فيها من صالح الأعمال!!

فله ما أعجب هذه الحياة الدنيا، وما أتعها وأحقرها إن لم يغتنم منها الإنسان ويتزود
بصالح الأعمال!! وهل هذه الدنيا إلا دار الغرور، يركن إليها الغافل، ويغتر فيها
الجهول، والله در القائل حيث يقول:

تعب كلها الحياة فما أعجب إلا من راغب في ازدياد

وبهذه المعاني السامية، انطلقت نفس هذا الغلام اليافع وترددت على لسانه، تلك
الكلمات العظيمة الرائعة، التي هي ثمرة التربية النبوية الصادقة: (إذا أصبحت فلا
تنتظر المساء، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وخذ من صحتك لمرضك، ومن
حياتك لموتك).

فله ما أسماها من نصيحة، وما أصدقها من تربية !!

٥١ - "الجنة تحت ظلال السيوف" :

الحديث الكامل: عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "يا أيها
الناس لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا الله العافية فإذا لقيتم فاصبروا، واعلموا أن الجنة
تحت ظلال السيوف، ثم قال النبي ﷺ: اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب، وهازم
الأحزاب، اهزمهم وانصرنا عليهم" ٧٣٦ .

المفردات :

اسألوا الله العافية : أي اطلبوا من الله السلامة، وأصل العافية السلامة من جميع ما
يؤذي، ويسوء من أمور الدنيا والآخرة.

هازم الأحزاب : المراد بالأحزاب هم أئمة الضلال الذين اجتمعوا وتحزبوا لقتال
النبي ﷺ وقد اشتهرت تلك الغزوة باسم (غزوة الأحزاب).

٧٣٦ رواه الشيخان.

الشرح الأدبي :

الجنة تحت ظلال السيوف: قال القرطبي: هذا من الكلام النفيس البديع الذي جمع ضروب البلاغة من جزالة اللفظ، وعذوبته وحسن استعارته، وشمول المعاني الكثيرة مع الألفاظ الوجيهة بحيث تعجز الفصحاء اللسن، والبلغاء المصاقع عن الإتيان بنظيره وشكله فإنه استقيد منه مع وجازته الحض على الجهاد والإخبار عن ثوابه إلى أن قال: وهذا كما جاء في الحديث الشريف (الجنة تحت أقدام الأمهات) انتهى^{٧٣٧}.

ففي التعبير استعارة تصريحية فالمجاهد في سبيل الله يدخل الجنة بسبب جهاده وصبره على لقاء العدو وضربه بالسيف حتى كأن السيوف أصبح لها – من كثرتها – ظلال تظل الضاربين بها.

"في ظلال السيوف جنة ربي والمعالي في رؤوس العوالي".

الجهاد في سبيل الله شعار دين الإسلام، وجعل هذه الأمة في العزة والحسن المتين، فما تركت أمة – الجهاد في سبيل الله – إلا ذلت وهانت، ولهذا كان الجهاد في شرعة الإسلام فريضة على كل مسلم قادر عاقل بالغ، وهي ذروة أعمال الإسلام.

والغرض من الجهاد إعلاء كلمة الله، ونشر المبادئ الإنسانية الكريمة التي جاءت بها الشرائع السماوية، ودفع كيد المعتدين، ولهذا أمر الله تعالى بالجهاد وحث عليه وبين الغرض منه فقال تعالى (الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان أن كيد الشيطان كان ضعيفا).

جعل الله الجهاد فريضة مقدسة لإعزاز الدين ورفع مناره وإعلاء كلمة الله، مع ذلك فقد جاءت السنة النبوية تنهى عن تمني لقاء العدو، وتأمّر بالصبر عند احتدام المعركة، فالأصل في المسلم أن يطلب السلامة والمعافاة، وألا يتعرض للبلاء

^{٧٣٧} محمد علي الصابوني، من كنوز السنة، دراسات أدبية ولغوية من الحديث الشريف، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت، ١٩٨١م، ص: ١٨١.

والفتنة، ولكنه حينما لا يكون مناص من القتال والحرب فلا بد له من الصبر وعدم الفرار من ساحة الحرب، ومن ميدان الكفاح والنضال، كما أشارت إليه الآية الكريمة: (يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون)، فلا بد من الصبر عند تعاقب السيوف والتحام الصفوف، ولا بد من توطئ النفس على تحمل المكاره، فإن الجنة لا تتال إلا بالصبر عند الشدائد ويتحمل الأذى في سبيل الله، والله تعالى قد وضع هذا المعنى بقوله: (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين).

وقد دعا الرسول ﷺ بأن ينصره الله على أعداء الدين فقال: اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم، فلا بد إذا من الاستعداد ثم اللجوء إلى الله وطلب النصرة منه: (ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز).

٥٢ - "الصبر عند الصدمة الأولى" :

الحديث الكامل: عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: "مر النبي ﷺ بامرأة تبكي عند قبر فقال لها: اتقي الله فاصبري، فقالت: إليك عني، فإنك لم تصب بمصيبتي - ولم تعرفه - فقيل لها: إنه النبي ﷺ ، فأنت باب النبي ﷺ فلم تجد عنده بوابين، فقالت: لم أعرفك، فقال: إنما الصبر عند الصدمة الأولى" ٧٣٨.

المفردات :

تبكي : أي تتوح وترفع صوتها بالبكاء.

إليك عني : أي تتحّ وابتعد عني فهو من أسماء الأفعال.

٧٣٨ رواه البخاري.

الصدمة الأولى: هي أول نزول المصيبة ووقوعها على النفس فإنها تكون أشد وألم، وأصل الصدم ضرب الشيء الصلب بشيء صلب مثله ثم استعير للمصيبة الواردة على القلب، أي شبه وقع المصيبة على الإنسان بالصدمة، واستعار (المشبه به) للمشبه، على سبيل الاستعارة (التصريحية الأصلية).

الشرح الأدبي :

ما أشد وقع المصيبة على النفس حين تكون بعزير غال، أو ولد حبيب!! إنها لخطب جمل وكرثة عظيمة قد يضيق عنها الصبر ولا تتحملها النفس، ولكن الدين داوى هذه النفوس الجزعة بما يخفف عنها وقع المصيبة وألم الكارثة، فالمؤمن يعتقد بقضاء الله وقدره وأن كل ما يحدث في هذه الحياة، من خير أو شر، ومن نفع أو ضرر، إنما هو بقضاء من الله وتقدير منه فيرضى بحكم الله صابرا محتسبا طمعا في مرضاة الله عز وجل وإلى ذلك تشير الآية الكريمة: (ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير، لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم، والله لا يحب كل مختال فخور)...، هذا هو فائدة الإيمان (بالقضاء والقدر) أن تخف المصيبة على قلب الإنسان بسبب اعتقاده أنها بإرادة الله ومشيئته بينما الكافر ينفذ صبره ويضيع رشده، ولربما أضاع حياته أيضا بالانتحار، لأنه ليس لديه ما يسليه أو يعزیه أو يخفف المصاب عنه، ولقد كان جزاء الصبر عظيما عند الله لأنه حبس النفس على ما تكره، وصون لها عن فعل ما يغضب الله، ومقاومة للنوازع الفطرية في نفس الإنسان ولذا كان الثواب عظيما، قال تعالى: (وبشر الصابرين، الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون). وفي هذا الحديث دعوة إلى الصبر وتقوى الله لتلك المرأة التي فقدت ولدها، ولكن وقع المصيبة كان عظيما، لذلك فقد خاطبت الرسول ﷺ بألفاظ لا تليق بمقامه الشريف ولكن الرسول ﷺ قابلها بالسماحة والعفو، ولم تلبث أن جاءت تعتذر، تقبل الرسول ﷺ اعتذارها وضرب لها أروع الأمثال في أسلوب النصيحة بقوله: (إنما الصبر عند الصدمة الأولى).

CHAPTER 7

Muhamed V.M.”Proverbs of the Prophet : Collection Classification and Literary Analysis” Thesis. Research Department of Arabic,Farook College,University of Calicut, 2014.

الباب السابع

الموازنة بين الأمثال النبوية وغيرها

الباب السابع

الموازنة بين الأمثال النبوية وغيرها

الأمثال في لفظة واحدة :

(١) المتشبع بما لم يعط كلابس ثوب زور

أبي يغزو وأمي تحدث

(٢) الإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس

الإثم حزاز القلوب

(٣) رفقا بالقوارير

إن النساء لحم على وضم

(٤) حجبت الجنة بالمكاره

إذا لم تعض على القذى لم ترض أبدا

(٥) الشؤم في المرأة والفرس والدار

إياك وعقيلة الملح

(٦) المؤمن مرآة أخيه

أخوك من صدقك النصيحة

(٧) فليتقين أحدكم النار ولو بشق تمره

إذا لم تسمع فألمع

(٨) فو الله لهم أشبه به من الغراب بالغراب

إنما الشيء كشكله

(٩) يسروا ولا تعسروا بشروا ولا تنفروا

إن كثير النصيحة يهجم على كثير الظنة

(١٠) الناس معادن

إن الهزيل إذا شبع مات

الأمثال وليدة تجارب القدماء في حياتهم اليومية ومن حكايات سابقينهم. ولكن الأمثال النبوية ليست كذلك. لأنها أقوال نبي كريم ﷺ الذي ولد في أسرة عربية ونشأ في قبيلة تعد أفصح قبائل العرب وفي فطرة نقية طاهرة، وعاش في نفحة قرآنية وحماية إلهية بل هو من أشرف البشر الذي لم يتكلم إلا من وحي يوحى.

ولم يضرب النبي ﷺ الأمثال لغاية أدبية بحتة كغاية الأدباء والشعراء في تزيين كلامهم وتحسينها، وإنما أوردتها لهدف أسمى، وهو إبراز المعاني الغامضة ويجعلها مجسمة حينما يبلغ الناس رسالة ربه وتقريب البعيد وإظهار المعقول في صورة المحسوس. بل كان ضرب أمثاله أسلوب من أساليب التربية يحث النفوس على فعل الخير ويحملها على الفضيلة ويمنعها عن الرذيلة والمعاصي.

فلا يقدر للإنسان أن يعلو على كلامه ﷺ ويسمو على بيانه لأنه أعطي جوامع الكلم ما لم يعط أحد من العالمين. يفهم أي باحث في الأحاديث النبوية وأمثال العربية الأخرى هذا الفرق المبين إذا وازن بينهما، خصوصا بين الأمثال التي يتفقان في المعاني كلا أو بعضا.

مميزات الأمثال العربية : يتميز الأمثال من أنواع الأدب الأخرى في أربعة أمور، كما يقول إبراهيم النظام: "يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام: إيجاز اللفظ وإصابة المعنى وحن التشبيه وجودة الكناية، فهو نهاية البلاغة"^{٧٣٩}.

^{٧٣٩} انظر: نظرات فقهية وتربوية في أمثال الحديث (ص ٨٣) / الميداني: مجمع الأمثال، مطبعة فؤاد بن بان وشركاه، بيروت ١٩٦٢م (ج ١ ص ٦).

مميزات الأمثال النبوية :

المتفحص لأمثاله ﷺ يرى فيها من الخصائص والميزات الآتية:

- (١) دقة التصوير : مثل قوله ﷺ: "المؤمن مرآة أخيه.
و"مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر مثل الحي والميت".
- (٢) دقة المماثلة وصدقها بين الممثل والمثل له. منها قوله ﷺ عن النساء لأنجشة حين يسوقهن ويغني: "رفقا بالقوارير".
وكذلك قوله ﷺ حين ألبس صحابي زوجته ثوبا رقيقا: "أخاف أن تصف حجم عظامها".
- (٣) التشويق والبعد عن النفور: ومنها قوله ﷺ: "إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر".
ومنها قوله ﷺ: "إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها".
- (٤) التكرار بهدف ترسيخ المعلومات والحقائق وعدم نسيانها ولتكون أكثر وقعا في النفس، منها قوله ﷺ: "حجبت النار بالشهوات وحجبت الجنة بالمكاره".
- (٥) التنوع في طرق عرض الأمثال ومنها الأمثال القياسية مثل قوله ﷺ: "إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية. فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: "هلا وضعت هذه اللبنة"، قال: "أنا اللبنة وأنا خاتم النبيين".
ومنها أيضا في كلمات موجزة: "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا".
ومنها الأمثال السائرة مثل: "الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا".
- (٦) البناء على الأمثال والحكم عليها كأنها عين الممثل له حيث إن المثل هو الطريقة لبيان صورة الممثل له في مخيلة المخاطب ثم بعد ذلك متابعة الكلام لإبراز الأمور المراد بيانها. منها: "إنما الناس كالإبل المائة لا تكاد تجد منها راحلة".

ومنها: "الذي يعود في هبته كالكلب يرجع في قيئه".
(٧) الكثرة، حتى أفرد بعض العلماء كتباً خاصة بها. وما ذلك إلا لعظيم فائدتها في الإرشاد والتربية. منها:

(أ) نظرات فقهية وتربوية في أمثال الحديث للدكتور عبد المجيد محمود عبد المجيد.

(ب) أمثال الحديث المروي عن رسول الله ﷺ لأبي محمد الحسن الرامهرمزي.

(ج) الأمثال السائرة عن رسول الله ﷺ لأبي عروبة، الحسين بن محمد الحراني.

(د) أمثال الحديث مع مقدمة في علوم الحديث وغيرها.
(٨) إبراز الحقائق المعقولة في صورة محسوسة واضحة للناظر كأنه يراها رأي العين، منها: "المتشبع بما لم يعط كلابس ثوب زور".
ومنها: "وما من مسلم يصيبه أذى إلا حاتّ عنه خطاياها كما تحات ورق الشجر".

(٩) التصوير المتحرك الحي، بحيث تبرز فيه المشاعر النفسية والوجدانية مثل:
"مثل الذي يعتق أو يتصدق عند موته مثل الذي يهدي بعد ما شبع".
ومثل "الإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس".

(١٠) الإيجاز الذي يعمل عمل الإطناب حتى في الأمثال القياسية، فهي موجزة بالنسبة لغيرها من الكلام، وهذا الإيجاز يساعد على الحفظ حيث إن الحفظ مرتبط باللفظ الرائع والمعنى النادر. ومنها: "واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف".

و"مثل أمتي مثل المطر، لا يدري أوله خير أو آخره".
و"مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين: تعير إلى هذه مرة وإلى هذه مرة".

و"مثل الذي لا يتم ركوعه وينقر في سجوده مثل الجائع يأكل التمرة والتمرثين، لا يغنيان عنه شيئاً".

(١١) موافقة أمثال القرآن الكريم بما فيها من بيان وشرح ووعظ وتذكير وتمثيل. ومنها قوله ﷺ: "إن الدنيا خضرة حلوة وأن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون. فاتقوا الدنيا واتقوا النساء".

يوافق قوله تعالى: "إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون" ^{٧٤٠}.

يريد الباحث هنا إيراد بعض من الأمثال النبوية والأمثال العربية الأخرى الواردة في مجمع الأمثال للميداني ليوازن بينهما ليفهم المتفحص تفوق الأمثال النبوية على غيرها:

١- المتشبع بما لم يعط كلابس ثوب زور :

يوافق هذا المثل النبوي المثل العربي الآتي: أبي يغزو وأمي تحدث ^{٧٤١}.

المثل النبوي قاله الرسول ﷺ في امرأة تقتخر على ضررتها أن زوجها أعطى لها كذا وكذا وهو في الحقيقة لم يعط شيئاً وهي تقتخر على ضررتها بما لم يعط إليها فنهاها النبي ﷺ وقال: من يفعل كذلك هو كالمتشبع بما لم يعط. فالمتشبع بما لم يعط كلابس ثوب زور.

الافتخار هنا فيما لم يعط شيئاً كمن يظهر أنه لبس ثوباً ولكنه في الحقيقة لم يلبس وهذا منكر وليس فيه أية فائدة.

^{٧٤٠} سورة يونس: (٢٤)
^{٧٤١} الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري، دار المعرفة، بيروت، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد. البال الأول، رقم المثل ١٨٨ ص (٥٠).

أما المثل العربي يقول عنه ابن الأعرابي: "ذكروا أن رجلا قدم من غزاة فأتاه جيرانه ويسألونه عن الخبر فجعلت امرأته تقول: قتل من القوم كذا وهزم كذا وجرح فلان فقال ابنها متعجبا: "أبي يغزو وأمي تحدث".

فالمراة هنا تقتخر في بطولة زوجها وتقول كأنما هي التي فعلت ذلك فيعجب الابن على صنيعتها.

فالمثلان إظهار الإعجاب من شخصين فالأول على ما لم يعط والآخر فيما لم يفعل هو نفسه.

في المثل النبوي تشبيهين رائعين أولا شبه النبي ﷺ من يدعي ويزعم أنه يعطى إليه بمن يظهر امتلاء بطنه وهدوء جوعه بغير أكل وشرب ثم شبهه بتشبيه آخر وهو كلابس ثوب زور لا يدل على شخصيته الحقيقية بل شخصية اختلافية وافتراضية.

ولكن المتدبر في المثل العربي لا يجد هذا الجمال والروعة وحسن التشبيه فيه كما نجد في الحديث. فالمثل النبوي يتربع على قمة الأمثال والبيان البشري.

٢- الإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس:

هذا المثل النبوي يوافقه المثل العربي: الإثم حزاز القلوب^{٧٤٢}.

الموازن بين هذين المثليين يرى أن المثل النبوي يفوق على المثل الآخر كثيرا، وكلاهما لبيان القلق القلبي للإثم. فالمثل النبوي أبلغ لأن "حاك" أكمل كلمة لوصف القلق القلبي من "الحزاز" بل يزيد روع المثل النبوي حينما يوجد كلمة أخرى تبيانها لها "وكرهت أن يطلع عليه الناس".

^{٧٤٢} مجمع الأمثال (ص ٢٨) رقم المثل-٩٧

فالحك ربما يوجد في القلب بغير إثم وإن لم يكن صاحبه آثماً. مثلاً أن إنساناً إذا كان شحيحاً وأجبر على الإنفاق فأنفق فيكون في نفسه القلق والحك. ولكن اجتماع الحك وكراهة الاطلاع عليه فلا يكون إلا من الآثم. فيصير المراد في الكلام النبوي أوفر وأكمل.

وفي الجملة أن المثل النبوي هو أفصح وأبلغ وأروع من المثل الآخر.

٣- رفقا بالقوارير:

يوافق هذا المثل النبوي مثل: إن النساء لحم على وضم.

أما المثل النبوي قاله ﷺ حينما كان أنجشة الصحابي يحدو ويسوق الإبل ويحثها على السير بالحداء أو بالغناء والأبيات المرققة المؤثرة. فخاف رسول الله ﷺ أن يؤثر صوته في قلوب النساء اللاتي فوق الإبل. ويقع فيهن موقعا غير لائق لأنهن أثر بالأغاني على الرجال فنهاه عن ذلك وقال: "يا أنجشة! رفقا بالقوارير".

شبه الرسول في هذا الحديث النساء اللاتي يؤثرن بأقوال الرجال وأغانيهم بالزجاجات لأنه يسرع إلى كل منهما الكسر، قال مصطفى صادق الرافعي: ووجه الشبه ظاهر وكأنهن نور وصفاء ورقة، ثم سلامة قلما تسلم إلا بشدة الصيانة والحفظ والمراعاة^{٧٤٣}.

وفي المثل الثاني - غير النبوي - مثل عمر الفاروق رضي الله عنه شبههن باللحم الذي على الوضم - المراد بالوضم: ما وقى به اللحم من الأرض بارية (البارية: الحصير المنسوج من القصب ونحوه). شبه عمر (ر) النساء لقلّة امتناعهن على طلابهن من الرجال باللحم الذي على الوضم. ووضع اللحم على الوضم يلصقه حتى لا يكاد يفرقه منه وإذا جد للتفريق ربما يبقى بعضه على الوضم ويفسده.

^{٧٤٣} الرافعي: تاريخ آداب العرب (٢/٣٣١)

فإن وضع اللحم على الوضم كما يقال في بلاد كيرلا: الرجل والمرأة كالذباب والسكر.

شبه النبي ﷺ النساء بالقوارير وشبه عمر (ر) النساء باللحم على الوضم، فالمثل النبوي أروع من غيره مع ما يشار في كليهما على الضرر الذي يصيب النساء لأن القوارير إذا انكسر فلا سبيل للإعادة على شكلها الأول. ولكن اللحم على الوضم يقدر للمجد أن يفرق بين اللحم والوضم بعد جهد كبير مع بعض النقص.

٤- حجت الجنة بالمكراه:

يوافق هذا المثل المثل العربي: إذا لم تعض على القذى لم ترض أبدا^{٧٤٤}.

في المثل الأول يقول رسول الله ﷺ: إن الجنة أحيطت بالمكراه - أي لا يدخل الجنة إلا من جد واجتهد جهودا كبيرا بترك الشهوات وهوى القلب وربما ينبغي إكراه الأصدقاء وإبعاد الجيران وإضاعة الأموال وترك اللذات النفسية والقلبية وإهلاك البدن وإضاعة الروح وفي كل هذا يكون للمؤمن ضرر دنيوي ولذة قلبية وطمأنينة نفسية.

فلا يقدر دخول الجنة إلا بالجد والكد والتعب واحتمال المشقات كما يقول الله تعالى: "أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون". يشبه نبينا ﷺ عن الأعمال الشاقة التي ينبغي للمؤمن في سبيل الجنة بحجاب كبير ثقيل صلب لا يقدر للسالك إليها إلا بإزالتها ولا يستطيع إزالتها إلا بجهد عظيم وكد كبير وجد دائم.

أما المثل الآخر يبين فيه قائله إن من يريد إرضاء أحد ينبغي أن يحتمل القذى أي الصعب ويشبه احتمال الشدة بالعض بالأسنان.

^{٧٤٤} مجمع الأمثال ص: ٦١ رقم المثل ٢٨١.

إن الموازن بين هذا المثلين يرى أن تشبيه المجهودات اللازمة لدخول الجنة والموانع التي تكون أمامها بالحجاب الشديد القوي الذي لا يقدر إزالتها إلا بجهد عظيم لا يقوم به إلا من أيقن أن ما وراءها من الملذات الممتعات الفاخرات التي لم ترها عين ولا تسمعها أذن ولم يخطر ببال، ولا تصل إلى درجتها المثل الثاني الذي يمثل المحتمل على الجهد في سبيل إرضاء حبيبه بمن يعرض على الفذى في روعة التشبيه وإجازة اللفظ وجمال المعنى.

٥- الشؤم في المرأة والفرس والدار:

يوافق هذا المثل النبوي المثل العربي: إياك وعقيلة الملح^{٧٤٥}.

الحديث النبوي موجز جدا. يشمل فيه ثلاثة أمور شؤم المرأة والفرس والدار. ويحذر أن يتقي الشرور التي تكون من المرأة أي ينظر الإنسان حالة المرأة قبل زواجها هل هي من أسرة كريمة تتقى المحارم وتمتثل أوامر الله وتجتنب نواهيها وهل هي صادقة عفيفة ولودة ودودة تؤدى الحقوق والواجبات وتتعد عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن. ومن شؤم المرأة أن تكون سيئة الخلق وضيقة الصدر والعقل وسيئة الأخلاق والمعاملات يتضرر الزوج منها ويلاقي منها الشدة والتعب.

وكذلك يعتبر البائع حين يشتري الفرس جنسه ونوعه وقوته وضعفه وكفايته لحاجته وإذا كان الفرس جميل اللون ضعيف الجسم لا فائدة به أو كان الفرس قويا قبيح المنظر ينفر منه صاحبه وكذلك أمر الدار حينما يريد شراء الدار أو بناءها ينظر هل الأرض التي يقوم عليها المبنى صالحة للسكنى أو هل المبنى قوية كافية للحاجة وهل الجيران صادقون أمناء أم من يخاف بوائقهم وأذاهم. والقول عن شؤم المرأة والفرس والدار يطيل البحث وذلك يمل القراء.

^{٧٤٥} العقيلة: الكريمة من كل شيء، والدرة لا تكون إلا في الماء الملح يعني المرأة الحسنات في المنبت السوء: مجمع الأمثال: ص ٦٢ (الرقم: ٢٩٥).

أما المثل العربي يحذر أمر المرأة التي نشأت في بيئة سيئة لأنها تؤثر في الإنسان. فالمرء الذي يعمل في سوق الأسماك واللحم لا تؤذيه ولا تزعجه ريحه الكريهة المؤذية التي هناك. ولكن إذا زار زائر سوق الأسماك واللحم تزعجه ريحها المؤذية وتقلقه فيجتهد ويجد أن يخرج منه في أقرب وقت ممكن.

فالإنسان الذي يعمل هناك تحول شعوره وأحاسيسه وصار موافقا لتلك البيئة الكريهة. ولذلك أشير في المثل العربي أن يحذر من المرأة التي نشأت في المنبت السوء وإن كانت حسناء شكلا ولونا.

فالمثل النبوي أبلغ وأروع لأنها أوجز منها يشتمل فيه ثلاثة أمور هامة في كلمات قليلة ولا يجد في المثل العربي إلا واحدا.

٦- المؤمن مرآة أخيه:

يوافق هذا المثل النبوي المثل العربي: **أخوك من صدقك النصيحة**^{٧٤٦}.

هذان مثلان للصدقة النقية والود الخالص. يقول ﷺ المؤمن أخو المؤمن وهو كالمرآة لصاحبه. ينعكس في المرآة كل شيء كما هي لا قصور فيه ولا زيادة فما يوجد في المرآة الصافية حق. وإذا وجد في الجسم أي عيب لونا أو شكلا أو غيرهما يرى ذلك في المرآة كما هي. كذلك الخليل الحميم الحقيقي يظهر له محاسنه ومساويه ويمدح على حسنه ويذم على قبحه ولا يحسن سيئاته ولا يقبح حسناته، بل يقرر حسنته حسنة وسيئته سيئة ويحرضه على الأول ويحذره من الثاني.

وفي المثل الثاني يقول قائله الصديق الحميم الحقيقي من ينصحك ويحرضك على الخيرات ويحذرك من السيئات. فيأمرك بالمعروف وينهاك عن المنكر فلا يحرضك

^{٧٤٦} مجمع الأمثال: الباب الأول (ص: ٢٨)، رقم المثل (٦٨).

على الآثام ولا يحملك على المنكرات ولا يقر عليك ولا يثني إذا أعرضت عن واجباتك.

إذا لم يكن الصديق كذلك ليس هو صديقك بل هو عدوك الذي يصاحبك ليغويك ويسلمك إلى الآفة ويوصلك إلى الخسران المبين.

يوافق هذا المثل مثل كبير الال: "إذا حسن الصديق فلا حاجة إلى المرأة".

فبأي شيء في الأرض أن يشبه به الصديق الخالص والمحب الودود إلا المرأة الصافية التي تتراءى فيها الصورة صادقة خالصة، فالبيان النبوي ومثله أروع وأبلغ وأحسن من المثل الآخر. وتفوق المثل النبوي على الآخر في الوجازة وحسن التشبيه فالنبي بغير شك هو سيد البيان.

٧- فليتقين أحدكم النار ولو بشق تمره فإن لم يجد فكلمة طيبة:

يوافق هذا المثل النبوي المثل العربي: إذا لم تسمع فآلمع^{٧٤٧}.

وفي المثل النبوي يقول ﷺ أن يتقي المؤمن ويحفظ نفسه عن النار ولو بشق تمره أو كلمة طيبة.

اتقاء النار بالأمر العسير لمن وفقه الله لذلك. فقد نجى الله بغيا من بغايا بني إسرائيل لسقيها كلبا كان يأكل الثرى من العطش، حيث تدلت في بئر وحملت له ماء في موقها. فشكر الله لها لهذا الصنيع. فغفر الله لها وأدخلها الجنة وأنجاها من النار.

وقد أرشد رسول الله ﷺ إلى ما هو شيء يسير ينجي المؤمن من عذاب النار التي وعدا للعصاة والمجرمين وهو التصديق ولو بشق تمره أو بكلمة طيبة.

^{٧٤٧} مجمع الأمثال: ص: ٧٨، الرقم ٣٩٥

فالصدقة قليلة كانت أم كثيرة، إن كانت من صادق ومن كسب طيب - والله لا يقبل إلا طيبا - من أجل القربات. وهي تطفئ غضب الرب سبحانه وتعالى. وعلى المؤمن أن لا يستحي من أن يتصدق بما يملك شريطة أن تكون طيبة بذلك نفسه.

قال الإمام النووي في شرح الحديث السابق: "وفيه الحث على الصدقة وأنه لا يمتنع منها لقلتها. وأن قليلها سبب للنجاة من النار".

يقول النبي ﷺ هنا اجعلوا بينكم وبينها وقاية، أي حجابا من الصدقة ولو كان الالتقاء بالتصدق بشيء قليل جدا مثل شق ثمرة أو جانبها أو نصفها، فإنه يفيد، فقد يسد الرمق، سيما للطفل. فلا يحتقر المتصدق ذلك. فلو هنا للتقليل كما تقرر. وقد ذكر التمرة دون غيرها كقمة طعام لأن التمر غالب قوت أهل الحجاز. والالتقاء عن النار كناية عن محو الذنوب، "إن الحسنات يذهبن السيئات"، "وأتبع السيئة الحسنة تمحها". وبالجملة ففيه حث على التصدق ولو بما قل.

أما الكلمة الطيبة المراد بها كلمة طيبة تطيب قلب السائل بما يتلطف به في القول والفعل. فإن ذلك سبب للنجاة من النار. والكلمة الطيبة ما تدل على هدى أو يرد عن ردى أو يصلح بين اثنين أو يفصل بين متنازعين أو يحل مشكلا أو يكشف غامضا أو يدفع تأثيرا أو يسكن غضبا.

أما المثل العربي يقول القائل فيه إذا عجزت عن إسماع كلامك آخر ولم تعجز عن الإشارة فأشر، أي إفعل ما تقدر لك ولا تولّ عنه ولو كان أيسر منه.

فالمثل النبوي أروع وأبلغ من المثل العربي في إصابة المعنى وحسن التشبيه. لأن الوقاية من النار أهم في حياة المؤمنين وكذلك يشبه النبي ﷺ الصدقة ولو كانت قليلة مثل شق التمرة بالحجاب والوقاية التي تقي صاحبه من الوقوع إلى النار الجحيم، نعوذ بالله من عذاب النار.

٨- فو الله لهم أشبه به من الغراب بالغراب :

يوافق هذا المثل المثل العربي: إنما الشيء كشكله^{٧٤٨}.

هذا الحديث النبوي ما رواه البخاري في كتاب اللباس في باب ثياب الخضر، إن رفاعة طلق امرأته فتزوجها عبد الله بن الزبير القرظي... أتت رسول الله ﷺ فجاء (عبد الله بن الزبير) ومعه ابنان له من غيرها قالت: "والله ما لي إليه من ذنب إلا أن ما معه ليس بأغنى عني من هذه"، وأخذت هدبة من ثوبها، فقال: كذبت والله يا رسول الله إني لأنفضها نفض الأديم ولكنها ناشز تريد رفاعة"، فقال رسول الله ﷺ: "فإن كان ذلك لم تحلي له أو تصلحي له حتى يذوق (عبد الله) من عسيلتك"، قال: وأبصر (النبوي) معه (عبد الله) ابنين له، فقال: "بنوك هؤلاء؟" قال: "نعم"، قال: "هذا الذي تزعمين، فو الله لهم أشبه به من الغراب بالغراب".

هذا المثل يقال عند ما يرى الشبه الشديد بين الابن وأبيه كما قال عمر بن الخطاب (ر) رجلا مع ابنه فقال: "ما أشبه الغراب بالغراب". إن المثل هنا يبين أن الرائي إذا وجد فرخ الغراب يفهم أن هذا من الغراب وكذلك هذان الولدان يدلان أنهما من أبيهما.

أما المثل الموجود "إنما الشيء كشكله" من كتاب مجمع الأمثال للميداني مثل جيد ولكن لا يبلغ درجة المثل النبوي في الجزالة وإصابة المعنى وحسن التشبيه. يفهم ذلك كل من يمعن النظر في النص النبوي والمثل العربي. فقول رسول الله ﷺ لتلك المرأة ولم يدع لها فرصة للاعتذار بل أمسك لسانها عن الكلام المزيد في ذلك الموضوع، وهذا دليل على إصابة معناه وجزالة كلامه، وكذلك تشبيه النبي ﷺ الرجل وابنيه بالغراب وفرخه أفصح وأبين بالمراد.

^{٧٤٨} الميداني: (ص: ٧٨)، الرقم: ٣٩٧

٩- يسروا ولا تعسروا بشروا ولا تنفروا^{٧٤٩}:

يوافق هذا المثل المثل العربي: إن كثير النصيحة يهجم على كثير الظنة^{٧٥٠}، أي إذا بالغت في النصيحة اتهمك من تنصحه.

هذا المثل النبوي ذكره الإمام النووي في باب الحلم والرفق والأناة في كتابه "رياض الصالحين" عن أنس بن مالك (ر). هذه أربع جمل: الأولى قوله: "يسروا" يعني اسلكوا ما فيه اليسر والسهولة. سواء كان فيما يتعلق بأعمالكم أو معاملاتكم مع غيركم ولهذا كان النبي ﷺ من هديه أنه ما خير بين الأمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما. فإن كان إثما كان أبعد الناس عنه.

فأنت اخترت الأيسر حتى في كل أحوالك وحتى في العبادات والمعاملات مع الناس، وفي كل شيء لأن اليسر هو الذي يريده الله منا ويريده بنا. فمثلا إذا كان إلى المسجد طريقان أحدهما صعب فيه حصى وأحجار وأشواك والثاني سهل فالأفضل أن تسلك الأسهل.

والثانية قوله: "ولا تعسروا" يعني لا تسكلوا طريق العسر لا في عباداتكم ولا في معاملاتكم ولا في غير ذلك. ولهذا لما رأى النبي ﷺ رجلا واقفا في الشمس، سأل عنه، قالوا: يا رسول الله هو صائم نذر أن يصوم ويقف في الشمس فنهاه.

والثالثة قوله: "بشروا" يعني اجعلوا طريقكم دائما البشارة، بشروا أنفسكم وبشروا غيركم يعني إذا عملت عملا فاستبشر فبشر نفسك بأنه سيقبل منك إذا اتقيت الله فيه لأن الله يقول: "إنما يتقبل الله من المتقين. وإذا دعوت الله فبشر نفسك أن الله سيستجيب لك لأن الله يقول: "أدعوني أستجب لكم"، هكذا.

والرابعة قوله: "ولا تنفروا" يعني ولا تنفروا الناس عن الأعمال الصالحة ولا تنفروهم عن الطرق السليمة بل شجعوهم عليها في العبادات. ومن ذلك أن يطيل

^{٧٤٩} صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب قول النبي ﷺ يسروا ولا تعسروا (رقم الحديث ٥٥٧٧)
^{٧٥٠} مجمع الأمثال، ص: ٦٨، رقم المثل: ٣٤١

الإمام بالجماعة أكثر من السنة ولذلك سأل النبي ﷺ معاذ بن جبل (ر): "أفتان أنت يا معاذ؟!" فالإطالة فوق السنة ينفر الناس عن المجيء إلى الجماعة.

ولا يجوز هذا حتى في الدعوة إلى الله عز وجل والنصيحة يعني لا تدعمهم دعوة منفر لا تقل إذا رأيت إنسانا على خطأ يا فلان أنت خالفت أو أنت عصيت أو فيك كذا وكذا من الزلات. إلى آخره هذا ينفرهم ويزيدهم في التمادي في المعصية ولكن ادعه بهون ولين حتى يألفك ويعرف ما تدعو إليه. ومن هذا أيضا إكثار النصائح وإطالتها حتى يكره الناس النصائح ويصيبهم الملل. وكان النبي ﷺ يقل النصائح، ولا يسئم أحدا بها.

أما المثل العربي يوافق مثل النبي ﷺ في بعض جوانبه. وذلك في قول النبي ﷺ "ولا تنفروا". لأن كثير النصيحة يهجم على كثير الظنة. النصيحة إذا كثرت يظن السامع لم يقول هذا كثيرا ولم يكرر؟ هل يتهمني؟ أو أولم يكن ما يقول حقا؟ هكذا ينفر الإكثار صاحبه عن النصيحة.

فالمثل النبوي أبلغ بغير شك لأن فيه ألفاظ قليلة ومعاني كثيرة - على الأقل أربعة أمور هامة وبديعة لفظية وذلك السجع "يسروا ولا تعسروا بشروا ولا تنفروا". ففي وجارة اللفظ وإصابة المعنى يعلو على المثل العربي.

١٠ - الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا:

يوافق هذا المثل المثل العربي: إن الهزيل إذا شبع مات^{٧٥١}، يضرب هذا المثل لمن استغنى فتجبر على الناس.

فالمثل النبوي قاله ﷺ حينما سئل له "من أكرم الناس؟ قال أتقاهم لله، قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: فأكرم الناس يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله، قالوا: ليس

^{٧٥١} مجمع الأمثال، (ص: ٥٦) رقم المثل: ٢٣٦

عن هذا نسألك، قال: فعن معادن العرب تسألوني؟ الناس معادن، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا^{٧٥٢}.

يقول النبي ﷺ الناس كالمعادن حتى يتبين لك الغث من السمين، والوضيع من الشريف واللئيم من الكريم. فإن ذلك يحتاج منك إلى طول الملازمة، ودوام العشرة. يقول صاحب المجازات النبوية... لأنه ﷺ شبه الناس بالمعادن التي تكون في قرارات الأرض. فلا يحكم على ظواهرها، حتى تستخرج دفائنها، وتستنبط كوامنها. فيكون منها اللجين والنضار، ويكون منها النفط والقار^{٧٥٣}.

فليست المعادن المستخرجة من باطن الأرض على قدم المساوات، فمنها الغالي النفيس مثل الذهب والياقوت والزمرد الذي تزين به تيجان الملوك، أو تصنع منه العقود التي تعلق على الصدور من الغيد الحسان، كما أن منها الداني الرخيص الذي يحتذيه الإنسان في قدميه ويدوس به على تراب الأرض.

ثم يقول رسول الله ﷺ من كان كريم الأصل إذا فقه في الدين مع اعتناهم الإسلام يكون كريما شريفا وأما من لم يكن كذلك يكون تافها.

فالمثل العربي يضرب لمن استغنى فتجبر على الناس.

وفي المثل بلاغة عزيزة فقوله مات أي هان على الناس. فليس هو من قلوبهم بالفخر الذي كان عليه. وكثير ممن استغنى بعد فقر شديد صار إلى ما صار إليه من الكبر والبخل حتى قيل: سل الفضل أهل الفضل قدما ولا تسأل فقيرا نشأ في الفقر ثم يحول.

فالمثل النبوي يفوق كثيرا على المثل العربي، في حسن التشبيه وإصابة المعنى والكناية. فالتشبيه النبوي الناس بالمعادن أروع جدا.

^{٧٥٢} صحيح البخاري، انظر فتح الباري لابن حجر العسقلاني، كتاب أحاديث الأنبياء. باب قول الله تعالى: "أفد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين" (رقم ٣٣٨٣) (ص ٢١٢/٨) الطبعة الأولى، دار أبي حيان، القاهرة.
^{٧٥٣} شريف الرضي، المجازات النبوية (ص ١٠١) (انظر: الأضواء على البلاغة النبوية، ص ١٤٣).

CONCLUSION

Muhammed V.M.”Proverbs of the Prophet : Collection Classification and Literary Analysis” Thesis. Research Department of Arabic,Farook College,University of Calicut, 2014.

الخاتمة

هذا البحث الذي يبحث عن الأمثال النبوية ويحللها أدبية بعد الجمع والتقسيم تمت بمعونة الله سبحانه وتعالى. إن اللغة العربية التي أصبحت إحدى اللغات العالمية وإحدى اللغات الستة في المجلس الأمم المتحدة، وفي المنزلة الخامسة بين اللغات العالمية بعد الصينية والأسبانية والإنجليزية والهندية - حسب عدد متكلميها - ولغة رسمية في ٢٤ دولة وقدمت ثقافة قيمة وعلوما عديدة نفيسة حينما كان العالم في ظلمات الجهل والحمافة. لم ترتق إلى هذه المنزلة المحمودة إلا بمعونة القرآن والحديث أو الدين الإسلامي، ويعتبر القرآن الكريم أحسن مثال للغة العربية الفصحى المنتشرة في الدول العربية والعالم، يليه الأحاديث النبوية في البيان والبلاغة، ويعد النبي ﷺ الذي كان يتلو القرآن ويعلم ويبين للناس ما أنزل إليه قولا وفعلا وتقريراً سيد البيان والفصاحة نثراً وشعراً.

وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم القرشي، ينتهي نسبه إلى معد بن عدنان وهو من ولد إسماعيل عليه السلام، الذي ولد يتيماً عام الفيل في الثاني عشر من ربيع الأول وهو الموافق على تاريخ ٢٠ من إبريل سنة ٥٧١ الميلادي، نشأ يتيماً في كفالة جده عبد المطلب ثم في كفالة عمه أبو طالب. وحينما بلغ عمره أربعين سنة اختاره الله نبياً ورسولاً إلى كافة الناس حتى يوم القيامة. نزل الله إليه القرآن وحياً والأحاديث تبياناً له ولكن قومه أنكروه وآذوه إيذاء شديداً، وعندما علم أنه سيقتل بأيادي قومه هجر بلده حسب إذن الله وذهب إلى يثرب التي عرفت بعدئذ بمدينة رسول الله.

وصل النبي ﷺ إلى المدينة يوم الإثنين الثاني من ربيع الأول سنة أربع عشرة من البعث الموافق الثالث والعشرين من أيلول (سبتمبر سنة ٦٢٢م). أسس النبي ﷺ هنا دولة إسلامية مستقلة وحارب قريشا الذين أخرجوه وأرادوا قتله وغلبهم وحلفاءهم

وغيرهم من العرب والعجم، أخيرا انتقل إلى جوار ربه يوم الإثنين في الثاني عشر من ربيع الأول قد تم له من العمر ثلاثة وستون سنة.

تميز الرسول ﷺ بصفات خلقية وأخلاقية كثيرة وكان أحسن مثال في كليهما. وما من خصلة حميدة ذكرت في القرآن أو الحديث إلا وكان الرسول ﷺ يتصف بها، وهو أول العاملين بها، وهي خصال يصعب جمعها في فصل من كتاب، وقد حاول كثير من العلماء والكتاب أن يفرّدوا كتابا عن شمائله ﷺ مثل الإمام الترمذي وجعفر بن حبان الأصفهاني والبخاري وابن القيم وغيرهم. ومن أجل وأنفس ما ألف فيه كتاب 'الأنوار في شمائل النبي المختار' لحسين بن مسعود البخاري. جمع فيه مؤلفه سبعة وخمسين ومائتين وألفا من الأحاديث والآثار التي يتعلق بشمائله ﷺ.

أما منطقته ﷺ وفصاحته وبلاغته بحث عنها كثير من الأدباء مثل الجاحظ والرافعي وأبو بكر الباقلاني وإبراهيم طه جعلي وغيرهم وهو يعد سيد البيان.

والمقصود هنا بالبيان منطقته ﷺ الذي يعبر عن سنته بأسلوب بلغ الغاية في البيان البشري، مما لا جدال في أن البشر يتفاوتون في البيان عما في نفوسهم من معاني وأحاسيس، على قمة هذا البيان البشري يتربع البيان النبوي بدون منازع، يليه البيان العربي شعره ونثره.

فرسول الله ﷺ اختص بالعصمة من الزلل في استعمالات اللغة، فلا يعرض لبيانه ما يعرض لبيان غيره من الجموح في العبارة أو الإسفاف في الدلالة أو النقص في التشبيه أو العوج في التمثيل أو التطويل الممل أو الإيجاز المخل إلى غير ذلك من أوجه القصور.

بلغ النبي ﷺ إلى قمة البيان لأنه ﷺ بلغ الغاية من سلامة الفطرة ونقاء القلب وذكاء الذهن وتوقد خاطر مما لم يبلغه غيره وكذلك نشأته ﷺ في قريش الذين كانوا أصحاب الأسواق مثل عكاظ - سوق الأشعار والآداب، كذلك رضاعته في بني سعد

بن بكر، وفوق ذلك أعطي النبي ﷺ جوامع الكلم منحة إلهية وأحسن كذلك نفحة قرآنية الذي أنزل فيه نعمة للعالمين.

أما أقوال النبي ﷺ - أحاديثه - خير دليل على بيانه وبلاغته. وكثير من هذه الأقوال الموجودة في كتب الأحاديث والسنن لم يثبت رفعها إلى النبي ﷺ لأن جزء كبيرا كثيرا منها اختلفت لتأييد آراء الأحزاب السياسية وكذلك افتري أعداء الإسلام وأتباع الأهواء على النبي ﷺ كثيرة ولذلك قام علماء السنة لتمييز الثابتة منها عن غيرها. ومن كتب الأحاديث الصحيحة التي لا خلاف بين أهل السنة على صحتها صحيح البخاري وصحيح مسلم، وهناك كتب السنن التي اختلفت في صحة بعضها ويعد أكثرها صحيحة وهي سنن أبي داود وجامع الترمذي وسنن النسائي وسنن ابن ماجه، وهناك كتب أخرى جمع فيها الأحاديث وأقوال الصحابة وغيرها.

أحاديث النبي ﷺ يعد أحسن مثال للأدب العربي لفظا ومعنى وأروع من ذلك أمثاله.

المثل عبارة عن قول في شئ يشبهه قولاً في شئ آخر بينهما مشابهة ليبين أحدهما الآخر ويصوره. والمثل قسم من الحكم يرد في واقعة لمناسبة اقتضت وروده فيها، ثم يتداولها الناس في غير واحد من الوقائع التي تشابهها دون أدنى تغيير لما فيه وجازة وغرابة ودقة في التصوير. وهو وشي الكلام وجوهر اللفظ وحلي المعاني - والتي تخيرت العرب وقدمتها العجم ونطق بها في كل زمان على لسان فهي أبقى من الشعر وأشرف من الخطابة لم يسر شئ سيرها ولا عم عمومها حتى قيل أسير من مثل. فالقول الصائب الصادر عن تجربة يسمى حكمة فلا يكون سائراً منتشراً وإذا صار سائراً منتشراً بين الناس دارجا على الألسن يسمى مثلاً، فالشيعوع والانتشار وكثرة الدوران على الألسنة وعدمها هو الفارق بين الحكمة والمثل وكلاهما موجزان تحمل مع إيجازها معنى صائبا ويأتیان في النثر كما يأتیان في الشعر.

المثل في الأدب قول محكي سائر يقصد به تشبيه حال الذي حكي فيه بحال الذي قيل لأجله أي: يشبه مضربه بمورده ويطلق المثل على الحال والصفة والقصة العجيبة الشأن.

للمثل أنواع ثلاثة وهي المثل الموجز السائر والمثل القياسي والمثل الخرافي. فالمثل الموجز السائر وهي إما شعبي لا تعمل فيه ولا تكلف ولا تقيد بقواعد النحو، وإما كتابي وما يصدر عن ذي الثقافة العالية كالشعراء والخطباء، أما المثل القياسي هو سرد وصفي أو قصصي أو صورة بيانية لتوضيح فكرة ما عن طريق التشبيه والتمثيل ويسميه البلاغيون: التمثيل المركب وهذا هو التشبيه المجازي. فإنه تشبيه شئ بشئ لتقريب المعقول من المحسوس أو المحسوس إلى الآخر.

وأما المثل الخرافي وهي حكاية ذات مغزى على لسان غير الإنسان لغرض تعليمي مثل (أكلت يوم أكل الثور الأبيض)، أن العرب لم يدرجوا هذا النوع الثالث ضمن اصطلاح المثل. والفرق بين المثل الخرافي والمثل القياسي أن الأول تنسب الأحاسيس الإنسانية فيه إلى غير الإنسان من حيوان أو طير أو غيرهما. أما القياسي فالحيوانات فيه - إن استخدمت - لا تعدو أن تكون مجرد توضيح للفكرة، دون أن يتعدى القوانين التي يخضع لها نوعها.

للمثل في الكلام مكانة هامة وأهمية كبيرة ووظيفة لا تنكر فائدتها فله تأثير عجيب في الأذان وتقرير غريب لمعانيها في القلوب وفيها تأنيس النفس وسرعة قبولها وانقيادها لما ضرب لها مثله من الحق - أمر لا يجحده أحد ولا ينكره - وكلما ضربت لها الأمثال ازداد المعنى ظهوراً ووضوحاً. الأمثال شواهد المعنى المراد، وهي خاصية العقل ولبه وثمرته.

يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام إيجاز اللفظ وإصابة المعنى وحسن التشبيه وجودة الكناية وهو نهاية البلاغة.

ضرب النبي ﷺ الأمثال للناس ولم يضربها لغاية فنية بحتة كغاية الأدباء في تحسين الكلام وتزيينها وإنما استخدمها لهدف أسمى، وهو إبراز المعاني فيما وكل على النبي ﷺ من رسالة ربه وبلاغه ويجعلها صورة مجسمة، لتوضيح الغامض وتقريب البعيد وإظهار المعقول في صورة المحسوس، وكان ذلك على أساليب التربية، بحيث النفوس على فعل الخير ويدفعها إلى الفضيلة ويمنعها عن المعصية والإثم، وهو في نفس الوقت يربي العقل على التفكير الصحيح والقياس المنطقي السليم.

يلخص أغراض الأمثال النبوية كما يلي:

١. إبراز المعنى المعقول في صورة المحسوس.
٢. الإعانة على فهم المعاني الرائعة بألفاظ موجزة، وتقديم أفكار غزيرة ودقيقة لتدل على المراد بعبارة مختصرة.
٣. تقرير المقصود، ففيها كشف للمعاني وتشبيه الخفي منها بالجلي والغائب بالشاهد.
٤. الترغيب والترهيب.
٥. قوة وقعها على الأسماع وتأثيرها في القلوب.
٦. إثارة المشاعر بتركيزها على محو الطمع أو الرغبة أو الخوف أو الحذر لدى الشخص المخاطب.
٧. تحريك الطاقات الفكرية وشدذ الذهن لتوجيهه للفكر والتأمل من أجل إدراك المراد.
٨. الدلالة على الحكم والفوائد العلمية والأحكام الشرعية في جوانب العقيدة.
٩. تربية النفوس بإظهار نموذج القدوة الحسنة للاقتداء بها وإظهار نموذج القدوة السيئة للنفور منها والاعتبار بها.
١٠. ترسيخ مفاهيم التوحيد والإيمان والإبلاغ عن المغيبات.
١١. تبكيث الخصم وإقناعه وإقامة الحجة عليه.

الناظر المتفحص لأمثاله ﷺ ليجد فيها الخصائص والميزات ما تروق له النفوس وتأنس به ومن تلك الخصائص ما يلي:

١. دقة التصوير.
٢. دقة المماثلة وصدقها بين الممثل والممثل له.
٣. التشويق والبعد عن النفور.
٤. التكرار بهدف ترسيخ المعلومات والحقائق وعدم نسيانها ولتكون أكثر وقعا في النفس.
٥. التنويع في طرق عرض الأمثال.
٦. البناء على الأمثال والحكم عليها كأنها عين الممثل له.
٧. الكثرة، حتى أفرد بعض العلماء كتباً خاصة بها، وما ذلك إلا لعظيم فائدتها في الإرشاد والتوجيه والتربية.
٨. إبراز الحقائق في صورة واضحة للناظر كأنه يراها رأي العين.
٩. التصوير المتحرك الحي، بحيث تبرز فيه المشاعر النفسية والوجدانية.
١٠. الإيجاز الذي يعمل عمل الإطناب.
١١. موافقة أمثال القرآن.
١٢. الجمال في التنغيم الصوتي الذي ينفذ إلى الروح.

ولمكانة الأمثال وأهميتها اهتم العلماء بالتأليف فيها قديماً وحديثاً جمعوها ورتبوها وشرحوا غريبها وبيينوا القصص التي صدرت عنها والمناسبات التي تضرب فيها وتحكى. وهنا كتب كثيرة ألفت عن الأمثال والحديث.

ومن كتب أمثال القرآن ما يأتي:

أمثال القرآن للجنيد القواريري وأمثال القرآن لإبراهيم بن محمد نبطويه وأمثال القرآن لأبي على محمد الإسكافي وأمثال القرآن لأبي عبد الرحمن محمد السلمي

النيسابوري وأمثال القرآن الظاهرة وغيرها. وألف في هذا النوع ابن القيم الجوزية
وعبد الرحمن حسن حنكة الميداني والكوزكعاني والأبدلي والماوردي وغيرهم.

ومن كتب أمثال الحديث ما يأتي:

الأمثال السائرة عن رسول الله لأبي عروبة الحراني وروائع من أقوال الرسول لعبد
الرحمن حسن حنكة الميداني ومن روائع الأدب النبوي لكامل دقس وأمثال الحديث
مع مقدمة في علوم الحديث لعبد المجيد محمود وأمثال في الحديث النبوي لأبي الشيخ
الأصفهاني ونظرات فقهية وتربوية في أمثال الحديث مع مقدمة في علوم الحديث
للدكتور عبد المجيد والأمثال في الحديث النبوي الشريف للعلواني والصحيح المسند
في الأمثال والحكم للطبيي وجمهرة الأمثال للعسكري وغيرها.

يوجد في الأمثال النبوية قسمين، هما القياسية والسائرة.

أما المراد بالقياسية كل مثل فيه تشبيه مهما كان نوع هذا التشبيه. أما وجه الشبه ربما
يكون صفة أو يكون صفات مشتركة بين المشبه والمشبه به، وأدوات التشبيه إما
حروف كالكاف أو كأن، وإما أسماء كمثل أو شبه أو شبيه أو نظير أو مثيل، وإما
أفعال كيشبه ويمائل ونحوهما.

وأما السائرة ما أثر عن النبي ﷺ من أقوال موجزة وكلمات جامعة حكيمة سارت
وفشت بين المسلمين فأصبحت أمثالا.

تنقسم الأمثال النبوية على صراحتها ووضوحها إلى ثلاثة أقسام هي الأمثال
المصرحة والأمثال الكامنة والأمثال المرسلة. فالمراد بالمصرحة ما صرح فيه لفظ
المثل أو ما يدل على التشبيه، فالكامنة هي التي لم تصرح فيها لفظ التمثيل نحو: "لا
يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين"، فالمرسلة هي جمل أرسلت إرسالا من غير
تصريح لفظ التشبيه مثاله: "سبقك بها عكاشة".

وكان النبي ﷺ يتكلم بالقول الموجز القليل اللفظ والكثير المعنى، وهذه منحة إلهية أشار النبي ﷺ إلى ذلك فقال: "أوتيت جوامع الكلم".

الأحاديث النبوية كثيرة واكتشاف الأمثال منها صعب لأن بعضا إنما يصير مثلا لتداولها لسنة الناس، وكثرة عدد الأحاديث أيضا يتعب الباحث وكذلك يوجد بين الأحاديث ما كان موضوعا - مفترى - لغاية سياسية أو حزبية أو هوى شخصيا أو لم يصح سنده إلى النبي ﷺ ولم يثبت رفعه إليه. فتميز الأمثال الصحيحة من الضعيفة والموضوعة صعب جدا لأن قلة الوقت تمنع عن الولوع به والخوض فيه، وجمع في هذا البحث ما اكتشف صحيحا أو حسنا، وأما الأمثال التي لم يثبت الرفع إلى النبي ﷺ لم يشمل هنا.

ومن الصعب أيضا لا يعد الحديث مثلا إلا إذا صار سائرا متداولاً على السنة الناس. فالحديث الذي في عهد النبي ﷺ ربما لا يكون سائرا بل يسير في عهد الصحابة سائرا فيعد مثلا، وجمع هنا في هذا البحث ما عدّه الأدباء والعلماء مثلا وما وجد في بحث الباحث أيضا.

بعد جمع الأمثال أخذ منه الباحث اثنين وخمسين مثلا وشرحها شرحا أدبيا بعد إيضاح المفردات المهمة منها. هذا العدد كاف ليفهم قيمة الأمثال النبوية وعلو كعبها على سائر الأمثال ويقدر للباحثين وعشاق اللغة ذوي الألباب أن يقيسوا الباقية عليها.

وبعد شرح هذه الأمثال قارن الباحث بين الأمثال النبوية والأمثال العربية الأخرى ليوضح مرة أخرى تربع البيان النبوي على سائره.

أخيرا أقدم هذا البحث إلى محبي العلم والأدب، تقبل الله منا صالح أعمالنا، إنه هو السميع العليم.

محمد. ف.م.

BIBLIOGRAPHY

Muhammed V.M."Proverbs of the Prophet : Collection Classification and Literary Analysis" Thesis. Research Department of Arabic,Farook College,University of Calicut, 2014.

المصادر والمراجع

١. ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، مصنف، تحقيق محمد عوامة، المكتبة الشاملة، ٢٢/١٠/٢٠١٣م.
٢. ابن العربي، أبو بكر الماكي، عارضة الأحوزي بشرح صحيح الترمذي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٧م.
٣. ابن القيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر، أعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية www.AREFE.com ٣/١/٢٠١٠م.
٤. ابن القيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر، الأمثال في القرآن الكريم، تحقيق: إبراهيم بن محمد، مكتبة الصحابة، طنطا، الطبعة الأولى ١٩٨٦م، المكتبة الشاملة.
٥. ابن القيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر، الوابل الصيب من الكلم الطيب، المطبعة السلفية، الطبعة الثانية ١٣٩٤هـ.
٦. ابن القيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر، زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة عشر، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
٧. ابن حبان، محمد بن حبان التميمي، أبو حاتم، الدارمي، صحيح ابن حبان على ترتيب علي بن بلبان، مؤسسة الرسالة، موقع مكتبة المدينة الرقمية. تحقيق محمد بن عبد الرزاق حمزة، المطبعة السلفية، مصر.
٨. ابن خزيمة، محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري، صحيح ابن خزيمة، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، الأحاديث مذيبة بأحكام الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٧٠م.
٩. ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، تحقيق محمد عبد العزيز النجار، مطبعة الفجالة الجديدة، القاهرة.

١٠. ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، حقق وخرج وعلق عليه مجلس التحقيق العلمي، دار الفتح، الشارقة، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.
١١. ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل، تحقيق أمين عبد الوهاب، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٦م.
١٢. ابن هشام، أبو محمد عبد الله بن هشام الحميري، السيرة النبوية، تحقيق الدكتور همام عبد الرحمن سعيد ومحمد عبد الله أبو صعيليك، مكتبة المنار، الأردن، الطبعة الأولى ١٤٥٩هـ / ١٩٨٨م.
١٣. أبو داود، سليمان، سنن أبي داود، دار الريان للتراث ١٩٨٨م.
١٤. أحمد أمين، فجر الإسلام، لجنة التأليف والترجمة والنشر، الطبعة السادسة ١٩٥٠م / ١٣٧٠هـ.
١٥. أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: محمد بن عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م.
١٦. الأصبهاني، أبو الشيخ الأصبهاني، أمثال الحديث، المكتبة الشاملة، ١٥/١ / ٢٠١٢م.
١٧. الأصفهاني، أبو الشيخ عبد الله بن محمد، أخلاق النبي ﷺ وآدابه، تحقيق السيد الجميلي، دار الكتب العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
١٨. الأصفهاني، أبو القاسم الراغب، المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد سيد كيلاني، مطبعة المصطفى البابي الحلبي بمصر، ١٩٦١م.
١٩. الألباني، محمد ناصر الدين، الترغيب والترهيب، مكتبة المعارف، الرياض.
٢٠. الألباني، محمد ناصر الدين، الجامع الصحيح سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، مذيلة بأحكام الألباني، دار إحياء التراث الإسلامي، بيروت.
٢١. الألباني، محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة، مكتبة المعارف، الرياض، طبعة جديدة، ١٩٩٥م.

٢٢. الألباني، محمد ناصر الدين، سنن ابن ماجة (محمد بن يزيد القزويني)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مذيبة بأحكام الألباني، دار الفكر، بيروت.
٢٣. الألباني، محمد ناصر الدين، سنن النسائي (أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب) بأحكام الألباني، مكتبة المعارف، الرياض.
٢٤. الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الجامع الصغير وزيادة (الفتح الكبير)، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨م.
٢٥. الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح السيرة النبوية، المكتبة الإسلامية، عمان - الأردن، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.
٢٦. الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح وضعيف الجامع الصغير، المكتب الإسلامي، المكتبة الشاملة، ١٥/١/٢٠١٢م.
٢٧. الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح وضعيف سنن ابن ماجة، مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالاسكندرية، المكتبة الشاملة، ١٥/١/٢٠١٢م.
٢٨. الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح وضعيف سنن الترمذي، مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالاسكندرية، المكتبة الشاملة، ١٥/١/٢٠١٢م.
٢٩. الألباني، محمد ناصر الدين، مصابيح التتوير على صحيح الجامع الصغير (مختصر فيض القدير شرح الجامع الصغير للإمام عبد الرؤوف المناوي) المكتبة الشاملة، ١٥/١/٢٠١٢م.
٣٠. الباقلائي، أبو بكر محمد بن الطيب، إجاز القرآن، دار المعرفة، القاهرة، *Global Arabic Encyclopedia*
٣١. البخاري، محمد بن إسماعيل، أدب المفرد، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٩٨٩م.
٣٢. البخاري، محمد بن إسماعيل، التاريخ الكبير، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٦٠م / ١٣٨٠هـ.

٣٣. البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري بشرح أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، حققه: سيد بن عباس الجليمي وأيمن بن عارف الدمشقي، الطبعة الأولى، دار أبي حيان، القاهرة، ١٩٩٦م. / طبعة الشعب القاهرة بحاشية السندي، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م، دار البيان للتراث، ١٩٨٦م. / المكتب الإسلامي، إستانبول، تركيا، ١٩٨٠م. / مطبعة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٩٧٨م.
٣٤. بدوي، أحمد، بلاغة القرآن، طبعة نهضة مصر، الفجالة، الطبعة الثالثة.
٣٥. البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق، مسند البزار، المحققون: محفوظ الرحمن زين الله وعادل سعد وصبري عبد الخالق، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى بدأت سنة ١٩٨٨م وانتهت سنة ٢٠٠٩م.
٣٦. البغوي، محي السنة الحسين بن مسعود، الأنوار في شمائل النبي المختار، تحقيق: إبراهيم اليعقوبي، دار الضياء، بيروت، ١٩٨٩م.
٣٧. البكري، أبو عبد، فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، المحقق: د. إحسان عبد و د. عبد المجيد عابدين، مؤسسة الرسالة، دار الأمانة، ١٩٨٣م - ١٤٠٣هـ.
٣٨. البيضاوي، عبد الله بن عمر، تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، www.AREFE.com ٢٠١٠/١/٣م.
٣٩. البيهقي، أبو بكر أحمد بن حسين بن علي، السنن الكبرى، محقق: علاء الدين علي بن عثمان ابن التركماني، مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد، الهند، الطبعة الأولى ١٣٤٤هـ، المكتبة الشاملة، ٢٠١١م/٥/٦.
٤٠. البيهقي، أبو بكر أحمد بن حسين بن علي، دلائل النبوية ومعرفة أحوال الصحابة، تحقيق: الدكتور عبد الله المعطى قلعه جي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

- ٤١ . البيهقي، أبو بكر أحمد بن حسين بن علي، شعب الإيمان، تحقيق: الدكتور عبد
العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م.
- ٤٢ . الترمذي، محمد بن عيسى، سنن، أشرف على التعليق والطبع عزة عبيد
الدعاس، دار مكتبة دار الدعوة، حمص، سورية، ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م.
- ٤٣ . التهانوي، محمد علي بن محمد حامد الفاروقي، كشفاف اصطلاح الفنون،
طبع ليز، ١٩٦٢م.
- ٤٤ . الثعالبي، أبو منصور، الإعجاز والإيجاز، المطبعة العمومية، مصر، الطبعة
الأولى ١٨٩٧م.
- ٤٥ . الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون،
مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الرابعة، ١٩٧٥م - ١٣٩٥هـ / دار الفكر
للجميع، ١٩٦٨م.
- ٤٦ . جربوع، عبد الله بن عبد الرحمن، الأمثال القرآنية القياسية المضروبة
للإيمان، ٣ مجلدات، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة
المنورة، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م.
- ٤٧ . الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر، أسرار البلاغة، zaza@alwarraq.com،
٢٠١٣/٩/١٠م.
- ٤٨ . جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، دار الفكر، بيروت، لبنان،
٢٠٠٥م. طبعة جديدة، راجعها يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر،
٢٠٠٦م.
- ٤٩ . الجزائري، أبو بكر، هذا الحبيب محمد ﷺ يا محب، مكتبة العلوم والحكم،
المدينة المنورة، الطبعة الثانية ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م.
- ٥٠ . الجعلي، إبراهيم طه، أضواء على البلاغة النبوية، مكتبة الرشد، الرياض،
الطبعة الثانية ٢٠٠٧م.
- ٥١ . الجوهرى، إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية،

zaza@alwarraq.com

٥٢. الحاكم، محمد بن عبد الله النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین، تحقیق: عبد القادر عطا، دار الکتب العلمیة، بیروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م. / مكتبة مطابع النصر الحديثة، الرياض.
٥٣. حسین سمیر هانی طاهر محمد، الأمثال فی صحیح البخاری - دراسة لغویة دلالیة، جامعة النجاح الوطنیة، نابلس، فلسطین ٢٠٠٤م (رسالة).
٥٤. حنا الفاخوری، الجامع فی تاریخ الأدب العربی - الأدب القدیم، دار الجیل، بیروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م.
٥٥. الحنبلی، ابن رجب، جامع العلوم والحکم، مؤسسة الرسالة ٢٠٠١م.
٥٦. الخضری بك، محمد، تاریخ التشریع الإسلامی، المكتبة التجاریة الكبرى، مصر، الطبعة السابعة ١٩٦٠م.
٥٧. الخضری بك، محمد، محاضرات تاریخ الأمم الإسلامیة، الجزء الأول، دار الفكر.
٥٨. الخطیب، د. محمد عجاج، السنة قبل التدوین، دار الفكر، بیروت، الطبعة الخامسة ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.
٥٩. د. عبد المجید محمود عبد المجید، نظرات فقهیة وتربویة فی أمثال الحدیث مع مقدمة فی علوم الحدیث، مكتبة السوادی، جدة، الطبعة الثانیة، ١٩٩٢م.
٦٠. الدارمی، عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد، سنن الدارمی، تحقیق: فواز أحمد زمرلی، خالد السبع العلمی، الطبعة الأولى، دار الکتب العربی، بیروت.
٦١. الذهبی، شمس الدین، سیر أعلام النبلاء، تحقیق محب الدین العمری، الطبعة الأولى، دار الفكر، ١٩٩٧م.
٦٢. الرافعی، مصطفی صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبویة، دار الکتب العربی، بیروت ١٤١٠هـ / ١٩٩٥م.
٦٣. الرافعی، مصطفی صادق، تاریخ آداب العرب، دار الکتب العربی، بیروت، لبنان، الطبعة الثانیة، ١٩٧٤م / مطبعة الاستقامة، الطبعة الثانیة ١٩٤٠م.

٦٤. الرفاعي، مصطفى صادق، وحي القلم، دار الكتب العربي، بيروت، المكتبة الشاملة.
٦٥. الرامهرمزي، أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خالد، أمثال الحديث المروية عن رسول الله ﷺ، حققه: أمة الكريم القرشية، طبع بحيدر آباد، باكستان، ١٩٦٨م/١٣٨٨هـ. / حققه: أحمد عبد الفتاح تمام، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.
٦٦. رشيد رضا، محمد، تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٢م.
٦٧. الزركشي، بدر الدين، البرهان في علوم القرآن، www.AREFE.com، ٢٠١٠/١/٣م.
٦٨. الزركلي، خير الدين، الأعلام، الطبعة الرابعة عشر، دار العلم للملايين، ١٩٩٩م.
٦٩. الزمخشري، محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي، أساس البلاغة، دار صادر، بيروت، ١٩٦٥م.
٧٠. الزمخشري، محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: محمد الصادق القمحاوي، طبعة الحلبي، ١٩٧٢م.
٧١. زولهائم رودلف، الأمثال العربية القديمة، ترجمة رمضان عبد التواب وتحقيقه، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٢م.
٧٢. الزيات، أحمد حسن، تاريخ الأدب العربي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية عشرة، ٢٠٠٩م.
٧٣. الساعاتي، أحمد عبد الرحمن البناء، الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ومعه كتاب بلوغ الأمان من أسرار الفتح الرباني، بيت الأفكار الدولية، الرياض، وبيت الشهاب، القاهرة.
٧٤. السبحاني، جعفر، الأمثال في القرآن الكريم، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م.

٧٥. سيرة الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المقاطير والأعلام، مجلس قسم السيرة
ومجلس قسم المغازي، تحقيق الدكتور عمر عبد السلام تدمري، دار الكتب
العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
٧٦. السيوطي، الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، الإتيان في علوم
القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة مشهد الحسيني، الطبعة
الأولى ١٩٦٧م.
٧٧. السيوطي، جلال الدين، الجامع الصغير من حديث البشير النذير، المكتبة
الشاملة، ٢٩/١٠/٢٠١٣م.
٧٨. السيوطي، جلال الدين، الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير،
ترتيب الشيخ يوسف النبهاني، مطبعة دار الكتب العربية الكبرى، مصطفى
البابلي وشركاه، مصر.
٧٩. السيوطي، جلال الدين، تدريب الراوي في شرح تقرير الراوي، حققه وراجع
أصوله عبد الوهاب عبد اللطيف، مكتبة الرياض الحديثة.
٨٠. السيوطي، جلال الدين، جامع الصحيح، طبع بمصر، المكتبة الشاملة، ٢٢/٩/
٢٠١٢م.
٨١. الشريف الرضي، تلخيص البيان في مجازات القرآن، تحقيق: د. علي محمود
مقلد، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٨٦م.
٨٢. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي (العصر الإسلامي)، الطبعة السابعة،
دار المعارف، مصر، ١٩٧٦م.
٨٣. الشيباني، أحمد بن حنبل، فضائل الصحابة، تحقيق وصي الله بن محمد
عباس، جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، مكة
المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
٨٤. الشيباني، أحمد بن حنبل، مسند: تعليق شعيب أرنؤوط، مؤسسة قرطبة،
القاهرة، الموسوعة الشاملة، ٢٠/١٠/٢٠١٣م. المكتب الإسلامي، بيروت،
الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م.

٨٥. الشيخ صيفي الدين الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم - بحث في السيرة النبوية، دار الوفاء المنصورة، مصر، ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م.
٨٦. الشيرازي، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزا بادي، قاموس المحيط، المكتبة الشاملة.
٨٧. الصابوني، محمد علي، من كنوز السنة، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت ١٩٨١م.
٨٨. الصباغ، د. محمد بن لطفي، التصوير الفني في الحديث النبوي، الطبعة الأولى، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨م.
٨٩. صحيح سنن الترمذي، مكتبة التربية العربية لدول الخليج، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
٩٠. الصلابي، الدكتور علي محمد، السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دولة قطر، طبعة خاصة ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م، دار المعرفة، بيروت- لبنان.
٩١. الصنعاني، عبد الرزاق بن هشام بن نافع، المصنف، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، منشورات المجلس العلمي، المكتب الإسلامي، بيروت ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م.
٩٢. الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد، المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ.
٩٣. الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، العراق، ١٤٠٤هـ.
٩٤. الطحاوي، أبو جعفر، بيان مشكل الآثار، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، المكتبة الشاملة، ٢٠١١م / ٨/٨.
٩٥. الطيالسي، سليمان بن داود البصري، مسند الطيالسي، دار هجر، موقع جامع الحديث، <http://www.alsunnah.com> / ٢/٢ / ٢٠١٠م.

٩٦. عابدين، عبد المجيد، الأمثال في النثر العربي القديم مع مقارنتها بنظائرها في الآداب السامية الأخرى، دار المصر، الطبعة الأولى ١٩٥٦م.
٩٧. عبد الرزاق مصنف، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، منشورات المجلس الأعلى، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٧٢م.
٩٨. عبد الهادي عبد المهدي، طرق تخريج حديث رسول الله، دار الاعتصام ١٩٨٧م.
٩٩. العجلوني، إسماعيل، كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، مكتبة التراث الإسلامي، حلب.
١٠٠. عروة بن زبير بن العوام، مغازي رسول الله، المغازي برواية أبي الأسود عنه، جمع وتحقيق الدكتور محمد مصطفى الأعظمي، مكتبة التربية العربية لدول الخليج الرياض، الرياض، الطبعة الأولى.
١٠١. العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر، النكت على كتاب ابن الصلاح، تحقيق د. بيع بن هادي عمير، دار الراية، الرياض، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
١٠٢. العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، المطبعة السلفية، مصر ١٩٥٩م.
١٠٣. العسكري، أبو هلال حسن بن عبد الله، جمهرة الأمثال على هامش مجمع الأمثال، دار الجيل، www.al-mostafa.com ٢٠١٣/٣/٢م.
١٠٤. علاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي البرهان فوري، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تحقيق: بكرى حياني، مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة ١٩٨١م.
١٠٥. العلواني، محمد جابر، الأمثال في الحديث النبوي الشريف، الطبعة الأولى، مكتبة المؤيد، ١٩٩٣م.
١٠٦. علي بن سلطان بن محمد، مرقاة المصابيح، دار الفكر، ٢٠٠٢م.

١٠٧. عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة ١٩٨٤م.
١٠٨. العيني، بدر الدين محمد بن محمود بن أحمد، عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، المكتبة الشاملة.
١٠٩. فلاته، عمر بن حسن عثمان، الوضع في الحديث، مكتبة الغزالي، دمشق ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.
١١٠. القاضي أبو عبد الله بن سلامة، مسند الشهاب، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت.
١١١. القرآن الكريم.
١١٢. القرضاوي، يوسف، وعليوه مصطفى على جماز، مصطلح الحديث، مكتبة الماس، كاليكوت.
١١٣. كامل سلامة دقس، من روائع الأدب النبوي، دار الشروق، جدة ١٩٧٥م.
١١٤. مالك بن أنس، الموطأ، صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
١١٥. المبارك فوري، أبو علي محمد بن عبد الرحمن، تحفة الأحوذبي بشرح جامع الترمذي، تحقيق عبد الرحمن بن عثمان، المكتبة السلفية، مكة المكرمة، ١٩٦٤م.
١١٦. مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد ٢٥، نيسان ١٩٩٥م، (الدورية).
١١٧. مجلة جامعة الأقصى، المجلد ١١، العدد الثاني، يونيو ٢٠٠٧م، (الدورية).
١١٨. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ١٩٦٠م.
١١٩. محمد أبو زهو، الحديث والمحدثون، الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
١٢٠. محمد بن سعد البصري، الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م.

١٢١. محمد قطب، قبسات من الرسول، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٦٢م.
١٢٢. محمد نعمان الدين الندوي، الروائع والبدايع في البيان النبوي، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.
١٢٣. مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، بشرح النووي، بتحقيق عصام الصبابطي وحازم محمد وعماد عامر، الطبعة الأولى، دار أبي حيان، القاهرة، ١٩٩٥م. / تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، رئاسة إدارات البحوث والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.
١٢٤. المطلبي، محمد بن اسحق بن يسار، السير والمغازي، تحقيق الدكتور سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.
١٢٥. المطيري، حاكم عبيسان، تاريخ تدوين السنة وشبهات المستشرقين، لجنة التأليف والتعريب والنشر، جامعة الكويت، ٢٠٠٢م.
١٢٦. مغطاي بن قليج بن عبد الله، شرح سنن ابن ماجة أبي عبد الله محمد بن يزيد، المحقق: كامل عويضة، مكتبة نزار مصطفى الباز، السعودية، ١٩٩٩م.
١٢٧. المقرئزي، إمتاع الأسماع، تصحيح أحمد شاكر، لجنة التأليف والترجمة والنشر، المكتبة الشاملة.
١٢٨. مناع القطان، تاريخ التشريع الإسلامي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثامنة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
١٢٩. المننقى سليمان بن خلق بن سعد، شرح الموطأ، المكتبة الشاملة، ٨/٧ / ٢٠١٣م.
١٣٠. الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري، مجمع الأمثال، تحقيق محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٥٩م، دار المعرفة، بيروت.
١٣١. الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة، أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع، دار القلم، دمشق.

١٣٢. الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة، روائع من أقوال الرسول ﷺ ، دار القلم، دمشق، الطبعة الخامسة، ١٩٩١م.
١٣٣. النسائي، أبو عبد الرحمن بن شعيب، سنن، بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي، وحاشية الإمام السندي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٤٨هـ / ١٩٣٠م.
١٣٤. النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف، رياض الصالحين، المكتبة الحضرية، القاهرة، الطبعة الثالثة ٢٠٠٦م.
١٣٥. النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف، شرح مسلم، المطبعة المصرية بالأزهر ١٩٥٩م.
١٣٦. الهيتمي، نور الدين علي بن أبي بكر، كشف الأستار عن زوائد البزار، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.
١٣٧. الهيتمي، نور الدين علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، المكتب الإسلامي، الطبعة الخامسة، ١٤٠٥هـ. / دار الكتاب، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م.
١٣٨. الهيتمي، نور الدين علي بن أبي بكر، موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان، المحقق: حسين سليم أسد الداراني، دار الثقافة العربية، ١٩٩٥م.
١٣٩. ويكيبيديا - الموسوعة الحرة - لغة عربية، ar.wikipedia.org / ٢٠/٥/٢٠١٣م.
١٤٠. اليعمري، محمد بن محمد المصري، عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير، دار المعرفة، بيروت.
١٤١. اليوسي، الحسن، زهر الأكم في الأمثال والحكم، طبعة دار الهلال، بيروت <http://www.alwarraq.com>
١٤٢. Manorama Year Book – 2009